ترانيم الروح

محاضرات

أخلاقية، عرفانية، عقائدية، تأريخية، بأسلوب شيق

مشفوعا بقصص طريفة

تأليف سماحة السيد يوسف حلو الناجي

امام وخطيب حسينية الامام الحسين عليه السلام

مؤسسة البلاغ - بيروت

ترانيم الروح

ترانيم الروح

محاضرات أخلاقية عرفانية عقائدية تأريخية
وبأسلوب شيق مشفوعاً بقصص طريفة

السيد يوسف حلو خضر الناجي الموسوي
إمام وخطيب حسينية الإمام الحسين عليه السلام

قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾

[آل عِمرَان: الآية ١٥٩]

الإهداء.............

إلى المربي والمعلم الأول

خاتم الرسل والأنبياء وآله عليه وعليهم السلام.

وإلى روح والدي

أهدي هذا الجهد المتواضع...

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم القيامة. . .

تلبيةً لنداء الرسول وآله عليه وعليهم السلام حيث وردت أحاديث كثيرة يجمعها مضمون مفاده الحث على تدوين فضائلهم وأحاديثهم وعلمهم ومنها:

قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تبارك وتعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب عليه السلام فضائل لا يحصي عددها غيره، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين، ومن كتب فضيلة من فضائل علي لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رسم أو أثر، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتابة فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر»(١).

وعن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صلّى عليَّ في كتابٍ، لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»(٢).

---

(١) روضة الواعظين.

(٢) تدوين السنة الشريفة.

وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً في ما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكلّ حرفٍ مكتوبٍ عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرّاتٍ»(١).

وتلبيةً لنداء الخطباء الذين قالوا: معاشر الخطباء دوّنوا تجاربكم... وأسوةً بالخطباء الذين كتبوا تجاربهم من أجل الحفاظ على هذا التراث (أي المحاضرات المنبرية) وضعت بين دفتي هذا الكتاب مجموعة محاضرات أُلقيت خلال عام (**١٤٣٢**هـجري - **٢٠١١** ميلادي في الحسينية التي نمارس عملنا التبليغي فيها - حسينية الإمام الحسين عليه السلام) وفي مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية راجياً بذلك معالجة بعض الآفات المعنوية التي تصيب المجتمع الإنساني.

وأخيراً أعتذر من الأساتذة الكبار والعلماء الأعلام الذين اقتبست من محاضراتهم ودروسهم وكتبهم من الخلل أو التقصير أو الهفوة أثناء الاقتباس.

وأقول: إن كان شيء حسناً ورصيناً فهو عائد لهم (أعزّهم الله) وإن كان خللاً أو هفوة فالتقصير مني. سائلاً المولى سبحانه والنبي وآله عليه وعليهم السلام أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن وأن ينفعنا به ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

المؤلف

(١) تدوين السنة الشريفة.

أثر التقوى في العمل

أثر التقوى في العمل(١)

في وصيته لأبي ذر، قال رسول الله ﷺ : (يا أبا ذر، كن بالعمل بالتقوى أشدّ اهتماماً منك بالعمل).

وذلك لسببين:

الأول: إنّ التقوى ليست فقط تدفعك إلى العمل، وإنّما توجد فيك تلك الدوافع المباركة التي تدعوك إلى الاستمرار في العمل.

فكثير من الناس يندفعون إلى العمل من وحي العواطف وبسبب ردود الأفعال، وهؤلاء سرعان ما تخبو في أنفسهم جذوة العمل ويتوقفون ويتركون العمل ويكون ضررهم على العمل حينذاك أكثر من نفعهم، كالذي يحفر الأرض ويضع الأساس ويبني إلى النصف ثم يترك البناء، فالأرض كانت صالحة والمواد الإنشائية كانت مفيدة للبناء، أمّا الآن فإنّه أشغل الأرض وأفسد المواد الإنشائية.

بينما الذي يعمل بدافع التقوى، فإنه يستمر في عمله، ولذلك جاء في الحديث عن الإمام علي عليه السلام : (قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه).

(١) الموضوع مقتبس من كتاب قيم التقدم في المجتمع الإسلامي لآية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي دامت إفاضاته/ بتصرف.

الثاني: إن التقوى تصحح العمل.

فالعمل إذا كانت وجهته وجهة باطلة، فإنّه قد يكون كبيراً ومفيداً في الظاهر، ولكنه في لحظة واحدة يتحطم ويكون مثله مثل بقرة حلوب، تعطي مقداراً كبيراً من اللبن السائغ ولكن في آخر لحظة تضرب برجلها إناء الحليب فتقلبه.

كثيرٌ من الناس يعمل الواحد منهم ويجتهد، ولكن في سبيل أي شيء؟ في سبيل أن يصل إلى الحكم، وحينما يصل إلى الحكم، تراه يتحالف مع الشرق والغرب كي يستقر في الحكم، حتى لو كان تحالفه هذا على حساب مصالح الشعب.

والقوى الكبرى كذلك تجتهد وتبني المصانع والمعاهد وتقوم بالدراسات العلمية المكثفة، ولكن من أجل ماذا؟

من أجل صناعة وإنتاج أسلحة الدمار الشامل كالقنابل الذرية، والهيدروجينية والنيترونية وذلك لفرض سيطرتها على العالم!

إذن، التقوى ضمان لوجهة العمل، فالعمل الذي يكون وراءه دافع فاسد يكون ضرره أكبر من نفعه.

نموذجان:

الأول: عمل بدون تقوى

ولذلك فإنّ رسول الله ﷺ عندما رأى في إحدى غزواته رجلاً مقتولاً، قال: هذا شهيد الحمار، لأنّ هذا القتيل كان قد خرج مع المسلمين إلى المعركة، طمعاً في حمار كان في جبهة العدو. ولكن

الدائرة دارت عليه فقتله صاحب الحمار، وهكذا خسر دنياه وآخرته. ومثل هذا في الحياة كثيرون، حيث تكون نتيجة جهدهم هباءً منثوراً. قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

الثاني: عمل مع تقوى

في يوم الخندق حينما جلس الإمام علي عليه السلام على صدر عمرو بن عبد ود العامري، بصق عمرو في وجه الإمام عليه السلام فقام الإمام ومشى خطوات ثم عاد واحتزّ رأسه، فتعجب المسلمون من ذلك وقد كانوا ينتظرون قتل عمرو ويخشون أن تحدث مفاجأة غير مرتقبة، فسألوا علياً عن السبب فيما فعله.

قال: لأنه بصق في وجهي فثار غضبي وكنت أريد أن يكون قتلي له خالصاً لوجه الله عز وجل دون أن يداخلني غضب لنفسي وانتقام لشخصي. وهكذا الإسلام يجعل العمل في إطار التقوى محوراً للمجتمع.

التقوى ضمانة ضد الانحراف

والعمل قد يخلّف رواسب سلبية في نفس العامل، إلّا العمل الصادر عن التقوى. فالإنسان الذي يعمل ويرجو جزاء عمله ولكنه لا يرى ذلك، يتراجع شيئاً فشيئاً ويصبح إنساناً معقداً. أما المتقي الذي يعمل من أجل الله سبحانه وتعالى فإنه لا يزداد بكثرة العمل إلّا اجتهاداً. لذلك يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الإنسان عن العاملين في سبيله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ

مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨-١٢].

وجاء في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام قوله لجابر الجعفي: (يا جابر بلّغ شيعتي عني السلام، وأعلمهم أنّه لا قرابة بيننا وبين الله عزّ وجلّ، ولا يُتقرب إليه إلّا بالطاعة له، يا جابر من أطاع الله وأحبنا فهو ولينا، ومن عصى الله لم ينفعه حبنا)(١).

وجاء في حديث آخر - عنه عليه السلام - قال فيه لخيثمة: (أبلغ موالينا أنّا لسنا نغني عنهم من الله شيئاً إلاّ بعمل، وأنّهم لن ينالوا ولايتنا إلّا بورع، وإن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره)(٢).

هذه الأحاديث تضرب القيم الفاسدة ومنها قيمة ولاء الأمنية أي الولاء بالكلام دون العمل بما يأمر به الإمام.

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٨٢، ح٨.
(٢) مستدرك الوسائل، كتاب الحج، أبواب العشرة، الباب١، ح١.

أصحاب القلوب
وحقوق الآخرين

أصحاب القلوب وحقوق الآخرين[١]

أصحاب القلوب لهم أقوال حول حق الناس، تلفت الإنسان إلى أن الذي يتجاهل حق الناس فلن يحقق أي شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة.

الفقيه الكبير، المرحوم آية الله العظمى[٢] دُرچه‌أي كان أستاذ أستاذنا الكبير آية الله العظمى البروجردي، كان قد دعاه أحد الأشخاص لتناول طعام العشاء، فلبى الدعوة وذهب لتناول العشاء في دار ذلك الشخص وعندما أراد الخروج، وقف أمامه صاحب المنزل وطلب منه أن يمضي على سند معاملة، وفجأة تغير لون درچه أي لأنه لاحظ شبهة الرشوة في ذلك العمل، يعني أن ذلك العشاء كان مقابل الإمضاء، وشرع بدنه يرتعش، وكان يقول لصاحب المنزل مع حالة من التضرع: ماذا فعلت لك لكي تسقيني سم الأفعى هذا؟ ثم جاء وتوسط حديقة المنزل ووضع أصبعه في بلعومه وتقيأ ما كان قد تناوله[٣].

البقرة التي نبت لحمها من علف الناس لا ينفعني حليبها؟!!

ونقل البعض أن شخصاً كان يملك أرضاً زراعية وبقرة يستفيد من

(١) أصحاب القلوب هم الذين سلكوا طريق العبودية.

(٢) الموضوع مقتبس من محاضرة للعلامة (الشيخ حسين مظاهري) أعلى الله مقامه.

(٣) الكلام للعلامة المظاهري أعلى الله مقامه.

حليبها، وفي أحد الأيام انقطع رباطها وذهبت إلى أرض الناس تأكل من علفهم ثم عادت إلى أرض صاحبها تحمل في أرجلها طين أرض الناس. فتألم هذا الشخص وباع البقرة وقال: البقرة التي نبت لحمها من علف الناس لا ينفعني حليبها.

ثم باع الأرض وقال: الأرض التي فيها تراب مغصوب لا ينفعني زرعها[١].

وطبعاً هضم مثل هذه التصرفات صعب من قبلنا، ولكنه سهل على أهل القلوب.

لازمته الحمى ثلاثة أيام بسبب سماعه الغيبة!!!

أنا[٢] لا أنسى ذلك اليوم الذي جاء فيه أستاذنا الكبير مؤسس الجمهورية الإسلامية حضرة الإمام الراحل (رضوان الله تعالى عليه) إلى مسجد السلماسي في مدينة قم لإلقاء درسه، فتسارعت أنفاسه وتعثّر لسانه ولم يستطع عرض الدرس، وكان قد أصيب بالحمى فعاد إلى منزله ولازمته الحمى ثلاثة أيام لم يتمكن خلالها من إلقاء الدرس ذلك لأنه سمع أن أحد طلابه لجأ إلى اغتياب أحد المراجع ليفيد الإمام بذلك.

---

(١) أيها الفطن اللبيب قارن هذه الحالة مع حالة الرشوة والفساد في بلدنا (العراق) وخصوصاً عند من يدعي التدين أو ينتمي إلى تيارات إسلامية أو تيارات مرتبطة باسم الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

(٢) قارن هذا التصرف الذي صدر من أحد العرفاء مع تصرفاتنا والتي منعت الإمام المعصوم من حقه الشرعي (الخمس والزكاة) انظر أيها العزيز كيف يكون مصيرنا يوم القيامة. !!؟؟

ثم وجه إلينا نصيحة حادة يعني مثل حضرة الإمام (قده) يرتجف عندما يسمع اسم الغيبة ويتغير لونه، ذلك لأن رواياتنا وقرآننا قد ركزوا على حق الناس، ولأنه يجب علينا يوم القيامة أن نجتاز مضايق ومنعطفات وانحناءات عسيرة، ومنها المرصاد الذي يتحدث عنه القرآن: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] حيث يسأل الله هناك عن حق الناس، وقد أقسم بعزته وجلاله أن لا يعفو عن حق الناس.

أنين ذلك الكلب آلم قلبي !!!

أحد(١) رفقائي ذكر لي بأن أحد الأشخاص كان مستأجراً في الأراضي التابعة لأوقاف حرم الإمام الرضا عليه السلام، وكان يذهب كل سنة مرة إلى مدينة مشهد لدفع الإيجار وللزيارة أيضاً، وكان لهذا الشخص كلبة تفيده في الحراسة، وفي سنة ولدت تلك الكلبة وانشغلت بصغارها ولم ترع الحراسة جيداً، فحمل الرجل صغارها إلى قرية أخرى، وبقيت الكلبة منطوية على نفسها عدداً من الأيام وتئن، حتى عادت إلى حالتها الأولى شيئاً فشيئاً.

يقول هذا الشخص: عندما ذهبت إلى الزيارة في ذلك العام وبعد زيارة حضرة الإمام، أخذتني غفوة ورأيت في المنام وكأني تشرفت بزيارة الحرم ورأيت الإمام الرضا عليه السلام، وعندما تقدمت وسلمت رأيت الإمام أشاح بوجهه عني فكررت السلام مرة ثانية وثالثة وقلت: سيدي أنا من رعيتكم ولم أخن، فلماذا أنت لست براضٍ عني؟

(١) الكلام للعلامة المظاهري أعلى الله مقامه.

فأجابني حضرته وبحدة: أنين ذلك الكلب آلم قلبي.

إن الذي يؤلم قلب صاحب الزمان عليه السلام، آهات الآخرين، حق الناس حتى ولو كان تفريقاً بين كلب وصغاره(١).

عدم التوفيق لصلاة الليل بسبب شكاية عصفورة في الحضرة الإلهية!!:

شخص من أصحاب القلوب كان يقول: مررت من مكان في أحد الأيام وشاهدت صغاراً يلعبون بعصفورة صغيرة، فتجاهلت ذلك ومررت، إلى أن ماتت العصفورة بيد الصغار، وفي غد ذلك اليوم حصلت لي حالة قبض وهي في اصطلاح العرفانيين حالة من عدم التوفيق، فلم يبق عندي توجه لأداء صلاة الليل، ولا لأداء الصلاة أول وقتها، وبشكل عام اقترنت علاقتي بالله بعدم التوجه، فتعجبت من ظهور تلك الحال، فرأيت في المنام من يقول لي: (شكت عنك عصفورة في الحضرة) اشتكت عليك أمام الله عصفورة.

فتألمت لذلك وتبت إلى الله وتضرعت وتوسلت بأهل البيت عليهم السلام وبسبب الغم والضيق ذهبت يوماً إلى الصحراء، وفجأة رأيت عصفورة في فم أفعى، فرفعت العصا، فألقت الأفعى العصفورة من فمها وهربت. فأخذت العصفورة ولاطفتها وأعدتها إلى أمها.

فرأيت في الليل مناماً قيل لي فيه: «شكرت عنك عصفورة في الحضرة».

(١) أقول: فما مصير أولئك الذين يقتلون المسلمين لاسيما شيعة أهل البيت عليهم السلام وفي كل مكان والطامة الكبرى القتل يكون باسم الإسلام؟؟؟!!!

وقال: فذهبت عني حال عدم الموفقية[١].

إثم الإنسان يسقط الإنسان، أياً كان ذلك الإثم صغيراً، أو كبيراً وإذا لم يجبر الإنسان ذلك بالتوبة، فإنّ مصيره الضياع (حق الناس) مشكلة صعبة.

توفي عبد الرحمن بن سيابة أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، فجمع أصدقاؤه مالاً وأعطوه لابنه بعنوان أمانة لكي يعمل به، وقالوا له: هذا قرض لك فاشتغل به فإذا حصل لك رأس مال أعد القرض.

وقد بارك الله في عمله واستطاع إعادة القرض والذهاب إلى مكة في عام واحد، وكان ذهابه لمكة كي يتمكن من زيارة الإمام عليه السلام.

يقول: ذهبت إلى مكة وعدت إلى المدينة لأزور الإمام عليه السلام، وقد كنت وحدي والإمام عليه السلام.

وقد علم الإمام عليه السلام بموت أبي وتأثر لذلك، ثم قال لي: ماذا تفعل؟ فعرضت عليه الأمر وقبل أن أكمل كلامي قال لي: ماذا فعلت بمال الناس؟ فقلت: سيدي أعدت المال أولاً، وحججت وجئت لزيارتكم.

فتبسم الإمام عليه السلام وقال: بارك الله فيك. ثم قال: انتبه لحق الناس ما دمت شريكاً لهم في أموالهم.

وشبيه هذه الأمور شيء كثير، وعلى هذا أرجوكم رجالاً ونساءً أن تجتنبوا الذنوب، وخاصة حق الناس، لئلا يكون في رقابكم لأنه أمر صعب.

---

(١) أقول: فكيف يوفقنا الله لعمل الخير والعبادة بالمعنى الأخص ونحن قد غرقنا في بحر المعاصي والذنوب؟.

الصغيرات الكبيرات

الصغيرات الكبيرات[1]

يستخدم علماء النفس أحياناً مصطلح (الصغيرات الكبيرات) ويرون أن الإنسان في بعض الأحيان يرى صغر بعض الأمور إلّا أن هذه الأمور نفسها لها دور كبير في سحق البشرية وفنائها، وقد اهتم الإسلام بذلك. ولمحدثينا في كتبهم باب عنوانه: (أدب المعاشرة)، ذكروا فيه طرق معاشرة الناس. فينبغي على الإنسان أن يكون مؤدباً من جميع النواحي لاسيما اللسان: فاللسان لا ينبغي أن يكون بذيئاً يجري عليه الفحش والاستهزاء بالآخرين والطعن فيهم[٢].

طائفة من الآيات والروايات

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

- قال رسول الله ﷺ: «راحة الإنسان في حبس اللسان»[٣].
- وقال ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تستكفي

---

(١) فكرة الموضوع مقتبسة من كتاب خصائص المعلم الناجح للعلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه.

(٢) خصائص المعلم الناجح للعلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه/ بتصرف.

(٣) نقلاً عن جامع الأخبار الفصل الثاني والخمسون في اللسان.

اللسان، أي تقول: اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[١].

- وعنه ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[٢].
- وقال ﷺ في الوصية: «يا علي من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار»[٣].
- وقال الإمام علي عليه السلام: «لسان العاقل وراء قلبه، ولسان الجاهل مفتاح حتفه».
- وعنه عليه السلام: «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»[٤].
- وعنه عليه السلام قال: ولقد قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم سليم اللسان من أعراضهم فليفعل»[٥]
- وقال عليه السلام: «سكوت اللسان سلامة الإنسان»[٦].

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - (ج ٤/ ص ١٨) المكتبة الشاملة.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نقلاً عن جامع الأخبار الفصل الثاني والخمسون في اللسان.
(٤) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - (ج ٤/ ص ١٨) بحسب المكتبة الالكترونية الشاملة الإصدار الثاني.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.

- وقال عليه السلام: «البلاء موكل بالمنطق»(١).
- وقال عليه السلام: «بلاء الإنسان من اللسان»(٢).
- وقال عليه السلام: «فتنة اللسان أشد من ضرب السيف»(٣).
- وقال عليه السلام: «ضرب اللسان أشد من ضرب السنان»(٤).
- وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «نجاة المرء حفظ لسانه»(٥).

ما أقبح هذا الكلب!

روي: أنَّ نوحاً عليه السلام مر على كلب كريه المنظر فقال نوح: ما أقبح هذا الكلب! فجثا الكلب وقال بلسان طلق ذلق: إن كنت لا ترضى بخلق الله فحولني يا نبي الله، فتحير نوح عليه السلام وأقبل يلوم نفسه بذلك، وناح على نفسه أربعين سنة حتى ناداه الله تعالى: إلى متى تنوح يا نوح فقد تبت عليك؟.

فالنبي بكى على الزلة المغفورة، على نفسه المعصومة، وأنت يا غافل لا تبكي على الكبيرة وعلى نفسك العاصية(٦).

لا بدّ أن يكون الإنسان لطيفاً في كلامه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩] وهو خطاب

(١) نقلاً عن جامع الأخبار الفصل الثاني والخمسون في اللسان.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر.

موجّه إلى المعلم الأول النبي الخاتم ﷺ ينبغي أن يكون كلام المعلم والمربي جميلاً معروفاً.

بذاءة اللّسان وآثارها السيئة

إن لبذاءة اللّسان آثاراً سيئة، والبذاءة ذنب كبير قال فيه الله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

وقال أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: (كنت أمشي مع الإمام الصادق عليه السلام، وقد تأخر غلامي عنّا، فناديته فلم يُجب، فناديته مرة ثانية وثالثة، فغضبتُ وصحت فيه: يا بن الفاعلة! وهنا وضع الإمام يده على جنبه - مشيراً أني كسرت ظهره - وقال: (لِمَ هذا السباب)؟ فقلت له: يا بن رسول الله! إن أبوي هذا الغلام لا يدينان بالإسلام.

فأجاب الإمام: (لا دخل لي بوالديه وإنما اعترضت على سبابك، لا يحق لكَ بعد هذا أن ترافقني)، فمنعت من مرافقته مدة حياته عليه السلام.

(لماذا تفحشين)؟.

وينقل أن اليهود تواطؤوا على أن يستهزئوا بالرسول، وكان الرسول جالساً في المسجد مع إحدى نسائه، فدخل اليهودي الأول وقال للرسول ﷺ: (السام عليكم) فأجابه الرسول: (وعليكم). وهكذا تكررت الحالة مع اليهوديَّين الثاني والثالث، وعندها غضبت زوجة النبي وقالت للثالث منهم: (يا أبناء القردة والخنازير)! فتألم الرسول وقال لها: (لماذا تفحشين)؟.

فقالت: (ألا تراهم كيف يستهزئون)؟ فأجابها: (قد رددت عليهم كل

ما قالوه لي، فلا داعي للسباب) ثم قال لها ناصحاً إياها: (في الليلة الأولى من القبر يظهر السباب على هيئة كريهة ويحشر مع الإنسان ويفضحه في البرزخ والقيامة خذي معك رفيقاً محبوباً إلى قبرك).

نستفيد من هذه الرواية أنه ليس فقط على المسلمين بل على جميع أفراد البشر أن يراعوا الأدب في الكلام، إن الكثير من الأشخاص لاسيّما النساء، يصابون بضعة اللسان ونحن لا نتألم أن يصاب الرعاع من الناس بهذا الداء، إلّا أنه عار على النساء والسادة المربين، وحتى لو تجاوزنا كون بذاءة اللسان ذنباً عظيماً فإنها تسبّب عقدة في نفس السامع...

تقيأت فرأت في قيئها لحماً فاسداً!!

سألت امرأة رسول الله ﷺ مسألة بحضور عائشة، وبعد أن ذهبت المرأة، التفتت عائشة إلى الرسول وقالت له: (وكانت هذه المرأة قصيرة وأشارت بيدها إلى قصرها فتألم الرسول وقال لها: لِمَ اغتبتها، تقيئي حالاً، فلما تقيأت رأت في قيئها لحماً فاسداً، فتعجبت وقالت للرسول: (مرت عليّ ثلاثة أيام لم أذق خلالها طعم اللحم، فما هذا الذي أراه)؟ فقال لها الرسول ﷺ: (ألم تقرئي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢]).

الإنصاف وآثاره

الإنصاف وآثاره

والإنصاف في المعاملة[١]: العدالة، وذلك أن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلّا مثل ما يعطيه، ولا ينيله من المضار إلّا مثل ما يناله منه، واستعملت النصفة في الخدمة، فقيل للخادم: ناصف، وجمعه: نصف، وهو أن يعطي صاحبه ما عليه بإزاء ما يأخذ من النفع. والانتصاف والاستنصاف: طلب النصفة.

والنَّصَفَةُ: اسْمُ الإنصافِ، وتفسيرُه أن تُعطِيَه[٢] من نفسِكَ النِّصْف أي تُعطي من نَفْسِك ما يَسْتَحِقُّ من الحَقِّ كما تأخُذُه، وانتَصَفتُ منه: أخَذْتُ حَقّي كَاملاً حتى صِرتُ وهو على النِّصْفِ سَواء.

وقال الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عزّ[٣] وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضل.

الإنصاف ومدحه بواسطة كلمات أمير المؤمنين عليه السلام [٤]:

- «الإنصاف عنوان النبل».

(١) مفردات ألفاظ القرآن.
(٢) العين.
(٣) وسائل الشيعة.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.

- «الإنصاف شيمة الأشراف».
- «الإنصاف أفضل الفضائل».
- «الإنصاف من النفس كالعدل في الإمرة».
- «المؤمن من ينصف من لا ينصفه».
- «الإنصاف أفضل الشيم».
- «عامل سائر الناس بالإنصاف وعامل المؤمنين بالإيثار».

آثار الإنصاف بواسطة كلمات أمير المؤمنين عليه السلام [١]:

- «مع الإنصاف تدوم الأخوّة».
- «الإنصاف يألف القلوب».
- «الإنصاف يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف».
- «بالنصفة تدوم الوصلة».
- «الإنصاف يرسخ المودة».
- «من منع الإنصاف سلبه الله الإمكان».
- «الإنصاف يستديم المحبة».
- «انصف من نفسك قبل أن ينتصف منك فإنّ ذلك أجل لقدرك وأجدر برضا ربك».
- «من تحلّى بالإنصاف بلغ مراتب الأشراف».
- «إنك إن أنصفت من نفسك أزلفك الله».

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

- «المنصف كثير الأولياء والأوداء».
- «ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة أبداً: العاقل من الأحمق والبر من الفاجر والكريم من اللئيم (هنا عدم الإنصاف يدل على ثلاث رذائل - فجور - لُؤم - حمق) ونبي الله عيسى عليه السلام يقول: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه فقيل: يا روح الله وما الأحمق قال: المعجب برأيه ونفسه الذى يرى الفضل كله له لا عليه ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها حقاً فذاك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته»(١).

من قصص الإنصاف

بين الشيخ حسين حجّت والشيخ الأنصاري (أعلى الله مقامهما)(٢)

ينقل أنّ المرحوم آية الله السيد حسين حجت الكوه كمري رحمه الله وهو أحد تلامذة العلامة صاحب كتاب الجواهر، ومن المجتهدين المشهورين الذين كانت لهم حوزة دراسية ممتازة كان في كل يوم يأتي في ساعة معينة إلى أحد مساجد النجف الأشرف للتدريس، وكما هو معلوم فإنّ حوزة التدريس تضم بالإضافة إلى دروس الفقه والأصول مقام الرئاسة والمرجعية غالباً والمرجعية بالنسبة إلى أكثر طلاب العلوم الدينية تعتبر تحولاً كبيراً في حياتهم لأنّ العالم الديني بمجرد أن يتحول إلى مرجع فإنّ

(١) مستدرك الوسائل.
(٢) قصص وخواطر رقم القصة ٤٧ للمهتدي البحراني.

رأيه يصبح مطاعاً لدى مؤيديه، ومن الناحية الاقتصادية يكون لديه الاختيار التام في الحقوق الشرعية ضمن الضوابط التي حددها الدين بالطبع فالعالم الذي ينال مرتبة التأهل للمرجعية إذن يكون قد قطع مرحلة حساسة من تأريخ حياته، وكان المرحوم السيد حسين الكوه كمري قد وصل إلى هذه المرحلة، وفي يوم من الأيام كان قادماً من مكان لزيارة أحد الأشخاص، ولاحظ أنه لم يبق لوقت تدريسه سوى نصف ساعة ففكر في نفسه أنه إذا ذهب بهذا الوقت القصير إلى منزله فقد يفوت عليه وقت الدرس فصمّم على الذهاب إلى مكان الدرس وانتظار طلابه، ولما وصل إلى المكان المخصص شاهد في أقصى المسجد شيخاً متحمساً يجلس بين طلابه وهو يلقي عليهم درسه، أنصت المرحوم السيد حسين إلى حديثه فشعر أن هذا الشيخ الذي لا يجلب الانتباه محقق من الطراز الأول، وفي اليوم التالي قرر السيد المجيء إلى المسجد مبكراً عن عمد ليستمع إلى هذا الشيخ المحاضر، وناله العجب مما سمع وأخذ في كل يوم يأتي في الوقت المعين ليستمع أكثر حتى حصل له اليقين بأنّ هذا الشيخ أفضل منه في العلم والبيان والإبداع وأنه بنفسه يستفيد منه شيئاً جديداً، وطلابه سوف يستفيدون من هذا الشيخ أكثر مما يمكن أن يستفيدوا منه، وهكذا وجد نفسه في صراع بين الآخرة والدنيا، فالآخرة تقتضي التسليم للأفضل، والدنيا تقتضي العناد وحب الذات، ولكنه في اليوم التالي وعندما اكتمل عدد طلابه افتتح السيد حديثه قائلاً: أريد اليوم أن أحدثكم في موضوع جديد وهو أنّ هذا الشيخ الذي يجلس في أقصى المسجد مع تلك المجموعة من الطلاب أقدر مني على التدريس وأكفأ مني به، وأنا أيضاً ممن يستفيد منه، ويحسن بنا جميعاً أن نجلس منه

مجلس الطلاب إلى أستاذهم، وانتقلوا جميعاً إلى حلقة درس ذلك الشيخ المتواضع الذي تبدو عليه آثار الفقر ولم يكن ذلك الشيخ سوى من عرف فيما بعد باسم آية الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله وهو من أهالي مدينة شوشتر الإيرانية والذي نال لقب أستاذ المتأخرين، وكان الشيخ قد عاد لتوه من سفر دام عدة سنوات إلى مشهد وأصفهان وكاشان وحمل من سفره هذا ثروة علمية ضخمة وخاصة من دروس المرحوم الملا أحمد النراقي رحمه الله، وهكذا فإن كل إنسان مثل هذا السيد الكوه كمري يمتلك إرادة التسليم لمقتضيات الآخرة فإنه يغدو مصداقاً لمن أسلم وجهه لله تعالى.

جزاء الإنصاف

التشرّف بلقاء صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)(١)

الإنصاف في كل شيء وخاصة في التعامل مع الناس (وخاصةً في الأعمال التجارية) من جملة الأمور المهمة التي أكدها الإسلام كثيراً. ورد في حديث عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (الإنصاف أفضل الفضائل)... (إنّ أعظم المثوبة مثوبة الإنصاف).

ولكي نعرف مدى تأثير الإنصاف في التعامل في بناء الذات الإنسانية وأن العناية من قبل الله تعالى لم تأتِ من غير استحقاق فلا بأس بالتأمل في الحكاية التالية:

كان أحد العلماء يتمنى رؤية الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وكان يتألم كثيراً لعدم تحقق هذه الأمنية فدأب مدة طويلة على

(١) كيمياء المحبة للعلامة محمد الريشهري (دامت بركاته).

ممارسة الرياضة الروحية وكان معلوماً بين طلاب العلوم الدينية وفضلاء الروضة العلوية في النجف الأشرف أن كل من يزور مسجد السهلة أربعين ليلة أربعاء متواصلة بلا انقطاع ويصلي المغرب والعشاء هناك يحظى برؤية الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فاستمر هذا العالم بهذه الأعمال مدة مديدة لكنه لم ينل غايته ثم إنه التجأ إلى العلوم الغريبة وأسرار الحروف والأعداد وانكب على ترويض نفسه إلّا أنه لم يحصل على أية نتيجة ولكن بما أنه كان يسهر الليالي ويتهجد في الأسحار فقد صقلت نفسه وصفا ضميره وأصبح يتمتع بشيء من النورانية وكان ينقدح أمام بصره في بعض المواقف بريق يضيء له طريقه فكانت تأتيه جذبة يرى على أثرها حقائق ويسمع أصواتاً متناهية في البعد.

وفي إحدى هذه الحالات قيل له: لن يتسنى لك رؤية إمام الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إلّا بالسفر إلى تلك المدينة وكان محفوفاً بالمصاعب ولكن هونتها الرغبة في بلوغ المقصود.

ينقل هذا الشخص قائلاً: وصلت بعد عدة أيام إلى تلك المدينة واستغرقت في الرياضة مدة أربعين يوماً وفي اليوم السابع والثلاثين أو الثامن والثلاثين قيل لي: إن صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) جالس الآن في دكان شيخ يبيع الأقفال في سوق الحدادين فقم واذهب لرؤيته الآن، نهضت مسرعاً نحو دكان الحداد فرأيته بالشكل الذي رأيته في عالم الخلسة ووقفت على بابه فإذا الإمام صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) جالسٌ هناك يتحدث مع الشيخ بانشراح وودّ.

فلما سلمت عليه أجابني وأشار إلي بلزوم الصمت والنظر فقط إذ إنهم في حالة سير معنوي.

وفي تلك الحالة شاهدت عجوزاً ضعيفة منحنية الظهر وهي تتوكأ على عصا بيد مرتعشة واقتربت من الحداد وأرته قفلاً وقالت: هل لك أن تشتري هذا القفل مني بمبلغ ثلاثة شاهيات فأنا بحاجة إلى هذا المبلغ.

نظر الشيخ إلى القفل فرآه قفلاً سالماً لا عيب فيه.

فقال لها: يا أختي هذا القفل قيمته ثمانية شاهيات لأنه لا يحتاج إلا إلى مفتاح وقيمة مفتاحه أقل من ربع شاهي ولو أنك دفعت لي ربع شاهي فسأصنع له مفتاحاً ويكون ثمنه حينئذ عشرة شاهيات فقالت له العجوز: لا داعي لذلك فأنا بحاجة إلى مبلغ ثلاثة شاهيات ولو أنك اشتريته مني بهذا المبلغ فسأكون لك شاكرة وأدعو لك بالتوفيق.

فقال لها الحداد: يا أختي أنتِ مسلمة وأنا مسلم فلماذا أشتري بضاعة المسلم بثمن بخس وأغبنه حقه؟ فهذا القفل قيمته ثمانية شاهيات ولو أنني أردت الحصول على نفع فإني أشتريه منك بمبلغ سبعة شاهيات ويكون نفعي شاهياً واحداً وهو نفع معقول بالنسبة لي، ظنت العجوز أن هذا الرجل لا يصدقها القول لأنها عرضت هذا القفل على حدادين قبله فلم يدفعوا لها أكثر من ربع شاهي لكنها لم تبعه لأنها كانت بحاجة إلى مبلغ ثلاثة شاهيات فدفع لها هذا الشيخ الحداد مبلغ سبعة شاهيات واشترى القفل منها.

وبعدما ذهبت العجوز قال لي مولاي صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف): أيها السيد العزيز هل رأيت هذه الحالة من السلوك المعنوي؟ إذا كنت على هذه الشاكلة فإنني سوف أزورك بنفسي ولا داعي لترويض النفس كن مثل هذا ولمدة أربعين يوماً لا أكثر وما

جدوى إلى الجفر أو السفر إلى هنا وهناك وإنما يكفي أن تثبت تدينك وإخلاصك بالعمل لكي أكون في عونك.

وقد وقع اختياري على هذا الشيخ من بين أهالي هذه المدينة لأنه رجل متدين وعارف بربه وقد رأيت الاختبار الذي مر به، فالحدادون حينما شاهدوا هذه العجوز في وضع اضطراري لم يشتروا منها القفل حتى بثلاثة شاهيات، أما هذا الرجل فقد دفع لها سبعة شاهيات فلا يمر أسبوع إلّا وأنا آتيه وأتفقده.

الكلام وآثاره

الكلام وآثاره

ما هو الكلام؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «مغرس الكلام القلب ومستودعه الفكر ومقويه العقل ومبديه اللسان وجسمه الحروف وروحه المعنى وحليته الإعراب ونظامه الصواب»(١).

الكلام في القرآن والحديث

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

وقال تعالى: ﴿ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإنّ أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة»(٢).

---

(١) غرر الحكم.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب.

سُئل أمير المؤمنين عليه السلام أي شيء مما خلق الله أحسن؟ فقال عليه السلام: الكلام فقيل: أي شيء مما خلق الله أقبح؟ قال: الكلام، ثم قال: بالكلام ابيضّت الوجوه وبالكلام أسودّت الوجوه[١].

يقال: إن حكيماً سأل ابنه ما هو أخبث ما في الإنسان؟

قال الولد: اللسان يا أبي.

قال الأب: لماذا؟

قال الولد: لأنه إن خبث وفسد يؤدي بصاحبه إلى الهلاك وإلى النار.

قال الأب: وما هو أطيب ما في الإنسان؟

قال الولد: اللسان يا أبي.

قال الأب: لماذا؟

قال الولد: لأنه إن طاب وحسن قاد صاحبه إلى النجاة وإلى الجنة.

آثار كثرة الكلام في غير محله[٢]:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك عليك من أعدائك ما سكن».

كثرة الكلام تبسط حواشيه وتنقص معانيه فلا يرى له أمد ولا ينتفع به أحد.

إياك والهذر فمن كثُر كلامه كثُرت آثامه.

(١) تحف العقول.

(٢) مصدر الأحاديث غرر الحكم ودرر الكلم.

وعليه يجب علينا أن نجعل كلامنا أسيراً لنا وإلا أصبحنا أسراءه وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا تكلمت بالكلمة ملكتك وإذا أمسكتها ملكتها»[١].

آثار الكلام الحسن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عوّد لسانك لين الكلام وبذل السلام يكثر محبوك ويقل مبغضوك»[٢].

عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق وينسىء في الأجل، ويحبب إلى الأهل، ويدخل الجنة[٣].

. . . عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الإمام الصادق عليه السلام وعنده نفر من الشيعة فسمعته وهو يقول: معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول وقبيح القول[٤].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده ما أنفق الناس من نفقة أحب من قول الخير»[٥].

سؤال: أيهما أفضل السكوت أم الكلام؟

سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨.
(٤) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨.
(٥) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨.

فقال عليه السلام : لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل:كيف ذلك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لأنّ الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام. .[1].

من يقول كلمة طيبة له ٤٠٠ دينار[2]:

يحكى أن الملك الفارسي أنوشروان «الذي وُلد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عهده» أعلن في الدولة بأن من يقول كلمة طيبة فسيمنحه **٤٠٠** دينار، وفي يوم كان الملك يسير بحاشيته في المدينة ورأى فلاحاً عجوزاً في التسعينيات من عمره وهو يغرس شجرة زيتون فقال له الملك: لماذا تغرس شجرة الزيتون وهي تحتاج إلى عشرين سنة لتثمر وأنت عجوز في التسعين من عمرك، وقد دنا أجلك؟ فقال الفلاح العجوز: السابقون زرعوا ونحن حصدنا ونحن نزرع لكي يحصد اللاحقون فقال الملك: أحسنت فهذه كلمة طيبة فأمر أن يعطوه **٤٠٠** دينار فأخذها الفلاح العجوز وابتسم، فقال الملك: لماذا ابتسمت؟ فقال الفلاح: شجرة الزيتون تثمر بعد عشرين سنة وشجرتي أثمرت الآن، فقال الملك: أحسنت أعطوه **٤٠٠** دينار أخرى، فأخذها الفلاح وابتسم فقال الملك: لماذا ابتسمت؟ فردّ الفلاح: شجرة الزيتون تثمر مرة في السنة وشجرتي

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٦٨.
(٢) من كتاب الأخلاق والآداب الإسلامية/ تأليف عبد الله الهاشمي.

أثمرت مرتين، فقال الملك: أحسنت أعطوه ٤٠٠ دينار أخرى ثم تحرك الملك بسرعة من عند الفلاح فقال له رئيس الجنود: لماذا تحركت بسرعة؟ فقال الملك: إذا جلست إلى الصباح فإنّ خزائن الأموال ستنتهي وكلمات الفلاح العجوز لا تنتهي.

حبُّ علي عليه السلام
حسنة لا تضر معها سيئة

كيف ولماذا حبُّ علي حسنة لا تضر معها سيئة؟[(١)] [(٢)]

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حُبُّ عَليٍّ حَسَنَةٌ لا تَضُرُّ مَعَها سَيِّئَةٌ، وَبُغْضُهُ سَيِّئَةٌ لا يَنْفَع مَعَها حَسَنَةٌ»[(٣)].

إنّ أحاديث النبي محمد وآله عليه وآله السلام فيها محكم ومتشابه ولا بد من إرجاع المتشابه إلى المحكم وهذا الحديث إذا عرض على القرآن والسنة المتواترة فهو لاينسجم مع الآيات والروايات التي لسانها أنّ الإنسان رهين بعمله وأن الشيعة لهم مواصفات خاصة وعالية بحيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣]. . . وعليه يقول السيد الإمام العارف الكبير الخميني قدس سره الشريف في كتابه الأربعين[(٤)]: «اعلم أن من يراجع الأخبار المأثورة في ترجمة حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الهدى عليهم السلام، وكيفية عبادتهم وبذلهم الجهد فيها، وفي تضرعهم وبكائهم وذلهم ومسكنتهم وخشيتهم وحزنهم أمام

(١) ألقيت المحاضرة بذكرى ولادة أمير المؤمنين عليه السلام رجب ١٤٣٢هـ.
(٢) المحاضرة مقتبسة من دروس العلامة الحيدري دامت إفاضاته لشرح الأربعين للإمام الخميني قدس سره الشريف.
(٣) كتاب مناقب ابن شهر آشوب، المجلد ٣، ص١٩٧.
(٤) الأربعون للسيد الإمام الخميني قدس سره الشريف ص٥٨٣.

ساحة قدس رب العزّة، وفي كيفية مناجاتهم بين يدي قاضي الحاجات لوجدها أوسع من التواتر وأكثر من المئات. وهكذا إذا راجع وصايا الرسول ﷺ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ووصايا الأئمة بعضهم لبعض، ووصاياهم للخواصّ من شيعتهم، والخُلّص من مواليهم، ووصاياهم البليغة جداً التي كانوا يوصون بها محبيهم، ويحذرونهم من معصية الله تعالى والتأكيد عليهم في الابتعاد عن مخالفة الله سبحانه في أصول الأحكام وفروعها، المدونة في كتب الأخبار، إذا راجع تلك الأحاديث وهذه الوصايا، لحصل له علم قطعي بأن بعض الروايات التي يتنافى ظاهرها مع تلك الأحاديث لم يكن هذا الظاهر مقصوداً، فإن أمكن تأويل هذه الأخبار بصورة لا تتضارب مع تلك الأحاديث الصريحة القطعية التي تعتبر من ضروريات الدين، لأخذنا بالتأويل، وإذا أمكن الجمع بين هاتين الطائفتين على أساس الجمع العرفي بين الروايات، لقمنا بهذا الجمع، وإن لم يمكن التأويل ولا الجمع العرفي، أرجعنا علمها إلى قائلها».

المحور الأول

طائفة من الآيات التي لا تنسجم مع ظاهر الحديث

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثِّر: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. وقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البَقَرة: ٢٨٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسَان: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر: ١-٣].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فَاطِر: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝﴾ [القَلَم: ٣٤-٣٦].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النِّساء: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يُونس: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ

ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: ٩٢-٩٣].

وغيرها من الآيات الشريفة الموجودة في كلّ صفحة من الكتاب المجيد التي تدل على أن الورع والعمل الصالح هما الركيزتان لنجاة الإنسان[1].

---

(١) الأربعون حديثاً/ ص ٥٨٧.

المحور الثاني طائفة من الروايات التي لا تنسجم مع ظاهر الحديث وتنقسم إلى قسمين

الأولى: تبين مواصفات الشيعة:

١ - . . . بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «شيعَتُنا [هُم] الشّاحِبُون الذّابِلُونَ النّاحِلُونَ الَّذِينَ إذا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ اسْتَقْبَلوهُ بِحُزْنٍ»[1].

٢ - قال أبو عبد الله عليه السلام: «إيّاك وَالسَّفْلَةَ فَإنَّما شيعَةُ عَلِيٍّ عليه السلام مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَاشْتَدَّ جِهادُهُ وَعَمِلَ لِخالِقِهِ وَرَجا ثَوابَهُ وَخافَ عِقابَهُ، فَإذا رَأَيْتَ أولئِكَ فَأُولئِكَ شيعَةُ جَعْفَرٍ»[2].

٣ - . . . بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قالَ: «لا تَذْهَبْ بِكُمُ الْمَذاهِبُ، فَوَاللهِ ما شيعَتُنا إلّا مَنْ أَطاعَ الله»[3].

٤ - وبإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: «يا جابِرُ أيَكْتَفي مَنْ يَنْتَحِلُ التَّشَيُّعَ أنْ يَقولَ بِحُبِّنا أهْلَ الْبَيْتِ؟ فَوَاللهِ ما شيعَتُنا إلّا مَنِ اتَّقى اللهَ وَأطاعَهُ - إلى أن قال: فاتَّقوا اللهَ وَاعْمَلُوا لِما عِنْدَ اللهِ، لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَلا بَيْنَ أحَدٍ قَرابةٌ، أَحَبُّ الْعِبَادِ إلَى اللهِ تَعالى وَأكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أتْقاهُمْ وَأعْمَلُهُمْ بِطاعَتِهِ. يا جابِرُ وَاللهِ ما نَتَقَرَّبُ إلَى اللهِ تَعالى إلّا بِالطاعَةِ، ما مَعَنا بَراءَةٌ مِنَ النّارِ وَلا عَلَى اللهِ لِأحَدٍ مِنْ

---

(١) الكافي، المجلد ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته، ح ٧.
(٢) أصول الكافي، المجلد ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته، ح ٩.
(٣) أصول الكافي، المجلد ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى، ح ١ و٣.

حُجَّةٍ، مَنْ كانَ لِلّهِ مُطيعاً فَهُوَ لَنا وَليٌّ، وَمَنْ كانَ لِلّهِ عاصياً فَهُوَ لَنا عَدُوٌّ، وما تُنالُ وِلايَتُنا إلّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ»(١).

الثانية:الروايات الدالة على العمل الصالح

١ - بالسَّند المتَّصل إلى الشّيخ الأقدم محمّد بن يعقوب الكلينيّ - رضوان الله عليه - عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عمَّن ذكره، عن عبيد بن زرارةَ، عن محمَّد بن مارد قال: قُلْتُ لِأَبي عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «حَديثٌ رُويَ لَنا أَنَّكَ قُلْتَ: إذا عَرَفْتَ فَاعْمَلْ ما شِئْتَ، فَقالَ: قَدْ قُلْتُ ذلِكَ، قالَ: قُلْتُ: وَإِنْ زَنَوْا وَإِنْ سَرَقُوا وَإِنْ شَرِبُوا الْخَمْرَ؟ فَقَالَ لي: إنّا للهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ، وَاللهِ ما أَنْصَفُونا أَنْ نَكُونَ أُخِذْنا بِالْعَمَلِ وَوُضِعَ عَنْهُمْ! إنَّما قُلْتُ: إذا عَرَفْتَ فَاعْمَلْ ما شِئْتَ مِنْ قَليلِ الْخَيْرِ وَكَثيرِهِ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْكَ»(٢) (٣).

٢ - وعن الأمالي للحسن بن محمَّد الطوسيّ شيخ الطائفة رحمه الله بإسناده عن الرِّضا عليه السلام عن أبيه، عن جدِّه، عن أبي جعفر عليه السلام، أَنَّهُ قالَ

---

(١) أصول الكافي، المجلد ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى، ح ٦.

(٢) أصول الكافي، المجلد ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة، ح٥.

(٣) الشرح («وإِنْ زَنَوْا» إنّ كلمة إن وصلية أي إذا عرفوا فليعملوا ما شاؤوا وإن كان من الكبائر. قوله عليه السلام: «إنّا للهِ» إن هذه الكلمة تسمى بكلمة الاسترجاع، وتقال لدى شدّة المصيبة وعظم الخطب. وحيث إن هذا الافتراء أو سوء الفهم، يعدّ من المصائب الكبيرة، استرجع الإمام حتى يثبت منتهى بُعْده عنها. قوله عليه السلام: أنْ نَكُونَ أي في أن نكون بمعنى أنهم لم ينصفونا في أن نكون مكلفين ومأخوذين على التكاليف، وهم لأجل عقيدتهم فينا لم يكلفوا ولم يؤخذوا على أعمالهم. ثم ذكر عليه السلام مغزى كلامه من أن الولاية شرط في قبول الأفعال) كما جاء في شرح الأربعون ص٥٨٣.

لِخَيْثَمَةَ: «أبْلِغْ شِيعَتَنا، أنّا لا نُغْني مِنَ الله شيئاً، وَأَبْلِغْ شيعَتَنا أَنَّهُ لا يُنالُ ما عِنْدَ اللهِ إلّا بِالْعَمَلِ، وَأبْلِغْ شَيْعَتَنا أنّ أعْظَمَ النّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلاً ثُمَّ خالفَهُ إلى غَيْرِهِ، وَأَبْلِغْ شيعَتَنا أَنَّهُمْ إذا قامُوا بِما أُمِرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ»(١).

٣ - وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «. . . وَاللهِ ما مَعَنا مِنَ الله بَراءَةٌ وَلا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ قَرابَةٌ وَلا لَنا عَلَى اللهِ حُجَّةٌ وَلا نَتَقَرَّبُ إِلَى اللهِ إلّا بِالطّاعَةِ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مُطيعاً لِلّهِ تَنْفَعَهُ وَلايتُنا، وَمَنْ كانَ مِنْكُمْ عاصِياً لِلّهِ لَمْ تَنْفَعْهُ وِلايتُنا، وَيْحَكُمْ لا تَغْتَروّا وَيْحَكُمْ لا تَغْترّوا»(٢).

٤ - عَنْ أبي عُبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قالَ: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الصَّفا فَقالَ: يا بَني هاشِمَ يا بني عَبْدِ الْمُطلِب إنّي رِسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ وَإِني شَفِيقٌ عَلَيكُمْ وَإِنَّ لي عَمَلي وَلِكُلِّ رجُلٍ مِنْكُمْ عَمَلَهُ لا تَقوُلُوا: إنَّ مُحَمَّداً مِنَّا وَسَنَدْخُلُ مَدْخَلَهُ فَلا وَاللهِ ما أَوْليائي مِنْكُمْ وَلا مِنْ غَيْركُمْ يا بَني عَبْدِ الْمُطّلب إلّا الْمتَّقُون ألّا فَلا أَعْرِفُكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ، تَأْتُونَ تَحْمِلُون الْدُّنيا عَلى ظُهورِكُمْ، وَيَأْتُونَ النّاسِ يَحْمِلُونَ الآخِرة»(٣).

٥ - وفي حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام فَقالَ: يا جَابِرُ لَا تَذْهَبُ بك المذاهبُ حَسْبَ الرَّجُلِ أن يقُولَ: أُحِبُّ عَليّاً وَأتَوَلاهُ ثُمَّ لا يَكوُنُ مَعَ ذلك فَعّالاً؟ فَلَوْ قَالَ: إنّي أُحِبُّ رَسُولَ الله، فَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم خَيرٌ مِنْ عَليّ عليه السلام ثُمَّ لا يَتَّبعُ سِيرَتَهُ ولا يَعْمَلُ بِسُنّتِه ما نَفَعَهُ حُبّهُ إيّاه شيئاً(٤).

(١) أمالي الطوسي، المجلد ١، ص ٣٨٠.
(٢) أصول الكافي، ج٢ ص٧٥ «كتاب الإيمان والكفر باب الطاعة والتقوى» ح٦.
(٣) روضة الكافي - ص ١٥٩ ح ٢٠٥.
(٤) أصول الكافي، المجلد ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى، ح٣.

المحور الثالث: نماذج من السيرة العملية للرسول الأعظم وآله عليه وعليهم السلام

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يطوي فراشه في بعض الليالي ويتعبد إلى الصباح وهذا أمير المؤمنين عليه السلام صاحب الألف ركعة... وهذه الزهراء عليها السلام التي كانت تحيي الليالي إلى الصباح... وهكذا بقية الأئمة عليهم السلام وهنا أنقل نموذجين لسيرتهم العملية.

النموذج الأول: عبادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنزل بحقه المولى سبحانه وتعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طـــــه: ١-٣]. وردت روايات كثيرة في سبب نزول هذه الآيات من هذه السورة، يستفاد من مجموعها أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول الوحي والقرآن كان يعبد الله كثيراً، وخاصّة أنّه كان يكثر القيام والوقوف في العبادة حتى تورمت قدماه، وكان من شدّة التعب أحياناً يستند في وقوفه على إحدى قدميه، ثمّ يستند على الأُخرى حيناً آخر، وحيناً على كعب قدمه، وآخر على أصابع رجله، فنزلت الآيات المذكورة وأمرت النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يحمّل نفسه كل هذا التعب والمشقّة[١].

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي، تفسير سورة طه، الآيات: ١ - ٣.

النموذج الثاني: الإمام زين العابدين عليه السلام ومناجاته في السحر:

قال طاووس الفقيه: رأَيته - الإمام زين العابدين عليه السلام - يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبّد، فلمّا لم ير أحداً رمق السماء بطرفه، وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدِّي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة، ثمَّ بكى وقال: وعزَّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكٌّ، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرّض، ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليَّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عنّي؟ فواسوأتاه غداً من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفّين جُوزوا، وللمثقلين حطّوا، أمع المخفّين أجوز؟ أم مع المثقلين أحطّ؟ ويلي كلّما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربّي؟! ثمّ بكى وأنشأ يقول: أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثمَّ أين محبّتي؟ أتيت بأعمال قباح زريّة وما في الورى خلق جنى كجنايتي ثمَّ بكى وقال: سبحانك تُعصي كأنك لا ترى وتحلم كأنّك لم تعص تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأنَّ بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيّدي الغنيُّ عنهم ثمَّ خرَّ إلى الأَرض ساجداً قال: فدنوت منه ورفعت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتّى جرت دموعي على خدِّه، فاستوى جالساً وقال: من الّذي شغلني عن ذكر ربّي؟ فقلت: أنا طاووس يا بن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن عليّ وأُمّك فاطمة الزهراء، وجدُّك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! قال: فالتفت إلي وقال: هيهات هيهات يا طاووس دع

عنّي حديث أبي وأُمّي وجدّي خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشيّاً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشيّاً أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] والله لا ينفعك غداً إلّا تقدمة تقدّمها من عمل صالح(١).

إذن ما معنى الحديث؟

الجواب: ذكر للحديث ثلاثة وجوه:

الأول: ذكره العلامة المجلسي قدس سره الشريف من أن المقصود من الضرر المنفي هو الخلود في النار أو الدخول فيها، فيكون المعنى أن حبّ عليّ عليه السلام الذي هو أساس الإيمان وإكماله وإتمامه يوجب بواسطة شفاعة الشافعين، التخلص من النار. وعليه لا يتنافى هذا الاحتمال مع ألوان العذاب في عالم البرزخ. وقد ورد في ذلك عن الصادق عليه السلام: (وَاللهِ ما أخافُ عَلَيْكُمْ إلّا الْبَرْزَخَ فَأَمّا إِذا صَارَ الأَمْرُ إِلَيْنا فَنَحْنُ أَوْلى بِكُمْ)(٢).

الثاني: ذكره العلامة المحقق آية الله العظمى السيد الحيدري دامت إفاضاته (السيئة مع حبّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من الحسنة مع بغضه لأنّ السيئة مع الحب تغفر مع التوبة والحسنة لا تقبل مع البغض) ومحل الشاهد قول أمير المؤمنين عليه السلام قال: «كانَ أميرُ الْمُؤْمِنينَ عليه السلام كَثيراً ما يَقُولُ في خُطْبَتِهِ: يا أَيُّهَا النّاسُ دينَكُمْ دينَكُمْ، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ فيهِ خَيْرٌ مِنَ

(١) بحار الأنوار، المجلد ٤٦، ص ٨٢.
(٢) فروع الكافي، ج٣ ص٢٤٢.

الْحَسَنَةِ في غَيْرِهِ، وَالسَّيِّئَةُ فِيهِ تُغْفَرُ وَالْحَسَنَةُ في غَيْرِهِ لا تُقْبَلُ»[(١)]. ويدل هذا الحديث الشريف وأمثاله من الأخبار التي ترغّب على ملازمة الديانة الحقة، على أن خطايا المؤمنين وذوي الدين الحق، تؤول إلى المغفرة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٥٣]، ولهذا نستطيع أن نقول بأن سيئات المؤمنين أفضل من حسنات الآخرين التي لا تقبل أبداً، بل لعلّ الحسنات التي لا تحتوي على شرائط القبول مثل الإيمان والولاية، تنطوي على ظلمات أكثر من الظلمات الموجودة في سيئات المؤمنين الذين يعيشون في حال الخوف والرجاء نتيجة نور الإيمان المشعّ في قلوبهم، وعلى أيّ حال لا يدّل هذا الحديث على أن أهل الإيمان لا يحاسبون على سيئاتهم كما هو الظاهر[(٢)].

الثالث: ذكره الإمام الخميني قدس سره الشريف من أن حبّ الإمام علي عليه السلام يبعث على نور وإيمان يجنّبان صاحبهما الآثام، ويدفعانه إلى التوبة والإنابة إذا ابتلى بالمعصية من دون أن يفسح المجال أمامه للتمادي في الغيّ والعصيان[(٣)].

إذن حب أمير المؤمنين عليه السلام نافع لمن يعمل وفق ما أوضحه وبيّنه

(١) أصول الكافي، المجلد ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الإيمان لا يضر معه سيئة، ح٢، ٦.

(٢) الأربعون حديثاً ص٥٨٨.

(٣) ويظن الكاتب (الإمام العارف بالله آية الله العظمى روح الله الخميني هكذا ورد في الأربعين ص٥٨٨) بأنه يمكن تفسير هذه الأخبار، بأن الإيمان ينور القلب قليلاً وفي درجة محدودة لو اقترف الإنسان خطيئة أو ذنباً عولج ببركة ذلك النور وملكة الإيمان، الإثم وتلك الجريرة، بالتوبة والرجوع إلى الله، فإنّ صاحب الإيمان بالله واليوم الآخر، لا يسمح لنفسه أن يترك أعماله إلى يوم القيامة. فهذه الأخبار في الحقيقة تحفز الإنسان على التمسك بالإيمان، والمحافظة عليه.

النبي وآله عليه وعليهم السلام أو لمن خلط عملاً صالحاً وآخر طالحاً ولم يتمكن في الدنيا من إصلاح السيّىء... مع عدم الإصرار على المعاصي معتمداً على حب أمير المؤمنين عليه السلام وإلّا خلاف ذلك لا ينتفع بحب أمير المؤمنين عليه السلام.

التوبة شرط لقبول الإنسان في ولاية الله والنبي وآله عليه وعليهم السلام:

ومن تلك الأحاديث، الأخبار الواردة في[1] تفسير الآيات الشريفة المذكورة في سورة الفرقان. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفُرقان: ٦٨، ٦٩] ونحن نقتصر على ذكر واحدة من تلك الأخبار، لأنها جميعاً متقاربة في المضمون والمعنى: عن الشيخ في أماليه بإسناده عن محمَّد بن مسلم الثّقفي قال: «سَأَلْتُ أبا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَليٍّ عليهما السلام عَنْ قَول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] فقال عليه السلام: يُؤْتى بِالْمُؤْمِنِ الْمُذْنِبِ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتّى يُقامَ بِمَوْقفِ الحِسابِ، فَيَكُونُ اللهُ تَعالى هُوَ الَّذي يَتَوَلّى حِسابَهُ لا يُطْلِعُ عَلى حِسابِهِ أَحَداً مِنَ النَّاسِ، فَيُعَرِّفُهُ ذُنوبَهُ حَتّى إذا أَقَرَّ بِسَيِّئاتِهِ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَتَبَةِ: بدِّلوها حَسَناتٍ وَاظْهِروها لِلنّاسِ، فَيَقُولُ النّاسُ حينَئِذٍ: ما كانَ لِهذا الْعَبْدِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ! ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ بِهِ إِلى الْجَنَّةِ، فَهذا تَأْويلُ الآيَةِ، وَهِيَ فِي الْمُذْنِبِينَ مِنْ شيعَتِنا خاصَّةً[2].

(١) الأربعون حديثاً ص٥٨٩.
(٢) كتاب أمالي الشيخ الطوسي، المجلد ١، ص ٧٠.

ومن يقرأ الآيات المذكورة الثلاث من أولها إلى آخرها، يفهم بأنّ الناس جميعاً مطوّقون بأعمالهم ويحاسبون على قبائحها، إلّا الذين آمنوا، وتابوا من جرائرهم، وعملوا عملاً صالحاً فكل من توّفرت فيه هذه الأمور الثلاثة، فاز وشملته ألطاف الله سبحانه وأصبح مكرّماً أمام ساحة قدسه، فتتحوّل سيئاته وآثامه إلى حسنات،وقد فسّر الإمام الباقر عليه السلام الآية المباركة بهذا التفسير أيضاً، وجعل كيفية حساب هؤلاء الأشخاص وموقفهم يوم القيامة على الشكل الذي ذكرناه، ومن المعلوم أن هذا الأمر يختص بشيعة أهل البيت، ويحرم عنه الناس الآخرون لأن الإيمان لا يحصل إلّا بواسطة ولاية عليّ وأوصيائه من المعصومين الطاهرين عليهم السلام، بل لا يقبل الإيمان بالله ورسوله من دون الولاية،... إذن لا بدّ من اعتبار هذه الآية المباركة والأخبار التي وردت في تفسيرها،... تدلّ على أن الشخص إذا كان مؤمناً ولم يحاول القضاء على سيئاته بالتوبة والعمل الصالح لما شملته الآية الكريمة. فيا أيها العزيز لا يغرّنك الشيطان، ولا تخدعنّك الأهواء النفسية، ومن المعلوم أن الإنسان الخامل المبتلى بالشهوات وحبّ الدنيا والجاه والمال مثل الكاتب يبحث عن مبرّر لخموله، ويقبل على كل ما يوافق شهواته، ويدعم رغباته النفسية وأوهامه الشيطانية، وينفتح بكل وجوده على مثل هذه الأخبار، من دون أن يفحص عن مغزاها، أو يتأمل في الأخبار الأخر التي تعارضها وتقابلها. إنّ هذا المسكين يظن أن مجرد ادعاء التشيع وحبّ التشيع وحبّ أهل بيت الطهارة والعصمة، يسوّغ له - والعياذ بالله - اقتراف كل محرّم من المحظورات الشرعية،

ويرفع عنه قلم التكليف. إنّ هذا السيّىء الحظ لم ينتبه بأنّ الشيطان قد ألبس الأمر عليه، ويُخشى عليه في نهاية عمره أن تُسلب منه هذه المحبة الجوفاء التي لا تجدي ولا تنفع، ويحشر يوم القيامة صفر اليدين وفي صفوف نواصب أهل البيت عليهم السلام. إنّ ادعاء المحبة من دون دليل وبيّنة، لا يكون مقبولاً، إنه لا يمكن أن أكون صديقك وأضمر لك الحبّ والإخلاص، وأقوم بكل ما هو مناقض لرغباتك وأهدافك. إنّ شجرة المحبة تنتج وتثمر في الإنسان المحبّ، العمل حسب درجة المحبّة ومستواها، وإن لم تحمل تلك الشجرة هذه الثمرة فلا بدّ من معرفة أنها لم تكن محبة حقيقية وإنما هي محبة وهمية. إنّ النبي الأكرم وأهل بيته العظام صلوات الله عليهم، قد بذلوا حياتهم في نشر الأحكام الشرعية والعقائد والأخلاق، وأرادوا في ذلك البلوغ إلى منشودهم الوحيد وهو إبلاغ أحكام الله وإصلاح الإنسان وتهذيبه، واستساغوا في هذا السبيل الشريف أنواع السلب والقتل والإذلال والإهانة، ولم يتوانوا في ذلك. فمحب أهل البيت، وشيعتهم، هو الذي يشاركهم في أهدافهم، ويعمل على ضوء أخبارهم وآثارهم. إن ما ذكر في الأخبار الشريفة من أن الإقرار باللسان والعمل بالأركان من دعائم الإيمان، فهو بيان لسرّ طبيعي، ولسنة الله الجارية، لأن حقيقة الإيمان، تلازم العمل والتنفيذ. إنّ العاشق في جوهر طبيعته، يظهر العشق تجاه المعشوق ويتغزّل به، وإن المؤمن إذا لم يعمل بمتطلبات الإيمان وما تستدعيه محبة الله وأوليائه، لما كان مؤمناً ومحبّاً. وإنّ هذا الإيمان الشكلي والمحبّة الجوفاء، من دون جوهر ومضمون، ينتفي ويزول أمام حوادث بسيطة

وضغوط يسيرة، وينتقل هذا المحبّ إلى دار جزاء الأعمال، صفر اليدين(١).

ختامه مسك(٢)

في الكافي عن الباقر عليه السلام والقمي عن الصادق عليه السلام قال: سأل علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [مريم: ٨٥]. الآية قال: يا علي إن الوفد لا يكون إلّا ركباناً أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله واختصّهم ورضي أعمالهم فسماهم المتقين، ثم قال: يا علي أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم وإن الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق العز عليها رحال الذهب مكللة بالدر والياقوت وجلالها الإستبرق والسندس وخطامها جدل الأرجوان وزمامها من زبرجد فتطير بهم إلى المحشر مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه وعن يمينه وعن شماله يزفونهم زفاً حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم، وعلى باب الجنة شجرة الورقة منها تستظل تحتها مئة ألف من الناس وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكية قال: فيسقون منها شربة شربة فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد ويسقط عن أبشارهم الشعر وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] من تلك العين المطهرة ثم ينصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون فيها وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً. ثم قال: يوقف بهم

---

(١) الأربعون حديثاً ص٥٩٠

(٢) التفسير الصافي - (ج ٤، ص ٣٠٦).

قدام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحر والبرد أبداً قال فيقول الجبار للملائكة الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنة ولا توقفوهم مع الخلايق فقد سبق رضائي عنهم ووجبت رحمتي لهم فكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحساب والسيئات؟ قال: فتسوقهم الملائكة إلى الجنة فإذا انتهوا إلى باب الجنة الأعظم ضربت الملائكة الحلقة ضربة فتصر صريراً فيبلغ صوت صريرها كل حوراء خلقها الله وأعدها لأوليائه فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقة ويقول بعضهم لبعض: قد جاءنا أولياء الله فينفتح لهم الباب فيدخلون الجنة فيشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين فيقلن مرحباً بكم فما كان أشد شوقنا إليكم ويقول لهن أولياء الله مثل ذلك.

وزاد القمي فقال علي عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هؤلاء شيعتك يا علي وأنت إمامهم وهو قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] على الرحايل.

الغيبة وصورها الملكوتية والملكية

الغيبة وصورها الملكوتية والملكية[(١)]

بِسَنَدِيَ المُتَّصِلِ إِلى ثِقَةِ الإِسْلامِ وَالمُسْلِمينَ[(٢)] مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الكُلَيْني - رضوان الله تعالى عليه - عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْراهِيمَ، عَنْ أبيه عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «الغِيبَةُ أَسْرَعُ في دينِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ مِنَ الأَكْلَةِ فِي جَوْفه».

والأكلَةُ. . .، داءٌ في العضو يأتَكِلُ منه. . . وعلى أي حال فالمقصود هو أن مرض الأكلة عندما يحلّ في العضو وخاصّة الأعضاء اللطيفة من الجسم مثل الباطن منه يأكله بسرعة ويقضي عليه، كذلك الغيبة تأكل دين الإنسان أسرع من ذلك وتفسده وتقضي عليه.

ما هي الغيبة؟

ما ذكره المشهور: «هُوَ ذِكْرُ الإِنْسانِ حالَ غَيْبَتِه بِما يَكْرَهُ نِسْبَتَهُ إِلَيْهِ مِمّا يُعَدُّ نُقْصاناً فِي العُرْفِ بِقَصْدِ الانْتِقاص وَالذَّمِّ».

(١) العنوان من الكاتب.

(٢) البحث مقتبس من كتاب (الأربعون حديثاً) - (ص ٣٢٨ - ٣٤٦) للعارف الكبير آية الله العظمى السيد روح الله الخميني قدس سره الشريف (وعليه لم نخرج مصادر الآيات والأحاديث فمن شاء فليراجع المصدر المذكور) وبتصرف بسيط لايخل بالمعنى الأم والتصرف بما يلائم البيئة التي نحن فيها.

ما هو تعريفها في الروايات؟

عن أبي بصير في وصيّة النبيّ ﷺ لأبي ذَرٍّ رضوان الله عَليهِ وفيه «قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ما الغيبَةُ؟ قالَ: ذِكْرُكَ أخاكَ بِما هُوَ فِيهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِذا ذَكَرْتَهُ بِما لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

ويستفاد من رواية عائشة أن الغيبة أعمّ من الذكر القولي: «قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ فَلَمّا وَلَّتْ أَوْمَأْتُ بِيَدي أَنَّها قَصِيرَةٌ فَقَالَ ﷺ: اغْتَبْتِها».

... العرف لا يفهم من أخبار الغيبة(١)، خصوصية اللفظ، وإنما تعرض له من جهة أنه أسلوب من أساليب التفهيم، بمعنى أن الغيبة غالباً ما تكون باللفظ، لا من جهة أن للّفظ خصوصية مميزة.

(١) إن المستفاد من أخبار الغيبة أن كشف ستر المؤمنين حرام بمعنى أنه يحرم إظهار عيوب المؤمنين المستورة، من دون فرق بين أن تكون هذه العيوب خلقية أو خُلقية أو سلوكية، سواء كان الشخص المتصف بالعيب راضياً بكشف عيبه أو لا. وسواء كان هناك قصد انتقاصاً أم لا. ولكن يستفاد من مراجعة عدّة روايات في المقام أن لقصد الانتقاص والطعن دوراً في حرمة الغيبة، إلاّ إذا كان العمل بنفسه من الأمور التي يحرم شرعاً ذكره وإشاعته. بأن يكون معصيةً وتعدّياً على حقوقه سبحانه حيث لا يجوز لصاحب المعصية إظهارها للآخرين، وإنها من إشاعة الفاحشة. وهذا لا يكون مرتبطاً بحرمة الغيبة. ولا يبعد أن يكون إظهار المستور من عيوب المؤمنين عند عدم رضاهم بذلك محرّماً، حتى وإن لم يكن هناك قصد للانتقاص منهم. وعلى أي حال إن التفصيل في هذا الموضوع، أكثر مما ذكرنا، يكون خارجاً عن المطلوب(منه قدس سره الشريف).

ما هي مساوئ الغيبة (من خلال القرآن والسنة وكلمات العرفاء)؟

لهذه الخطيئة الكبيرة في عالم الغيب، وراء حجاب الملكوت، صورة مشوهة بشعة، تبعث - مضافاً إلى قبح منظرها - على الفضيحة في الملأ الأعلى ولدى محضر الأنبياء المرسلين والملائكة المقربين. والصورة الملكوتية لها، هي التي أشار إليها سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، وشرحتها الأحاديث الشريفة صراحةً وتلويحاً أيضاً.

● قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

نحن غافلون عن أنّ أعمالنا بأنفسها في صور تناسب معها، تعود إلينا، في عالم آخر. وغافلون عن أن لهذا العمل، صورة أكل الميتة. إنّ صاحب هذا العمل - المغتاب - يضاهي الكلاب الجارحة، في افتراسه لأعراض الناس ولحومهم، وسترجع إليه الصورة الملكوتية لهذا العمل - كلب ينهش لحم الميت - في نار جهنم.

● وفي رواية أنّ رسول الله ﷺ لمّا رجم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه: «هذا أُقْعِصَ كَما يُقْعَصُ الكَلْبُ فَمَرَّ النَّبِيّ مَعَهُما بِجيفَةٍ فَقالَ: انْهَشا مِنْها، فَقالا: يا رَسْولَ اللهِ نَنْهَشُ جيفَةً؟ فَقالَ: ما أَصَبْتُما مِنْ أخيكُما أَنْتَنُ مِنْ هذِه».

نعم إنّ رسول الله ﷺ قد شاهد نتيجة قوّة نور بصيرته وحدّة مشاهدته - النبوية الغيبية - عملهم - المغتابين - وعرف بأن جيفة الغيبة أشدّ من جيفة الميتة وصورة عمل الغيبة أشدّ قبحاً وفظاعة من صورة الميتة المتفسخة.

- وفي رواية أخرى إن المغتاب يأكل من لحمه يوم القيامة. وفي وسائل الشيعة عن كتاب «المجالس» لصدوق الطائفة - رضوان الله عليه - عن نوف البّكالي قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام (إلى أن قال) قلت: زدني قال: «اجْتَنِبْ الغيبَةَ فَإنها إدام كِلابِ النَّارِ ثُمَّ قالَ: يا نوفُ كَذَبَ مَن زَعَمَ أنَّهُ وُلِدَ مِنْ حَلالٍ وَهوَ يَأْكُلُ لُحُومَ النّاس بِالغيْبَةِ»(١).
- وعن عقاب الأعمال بإسناده... عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث: «.. وَمَنْ مَشى في غيبَةِ أخيهِ وَكَشْفِ عَوْرَتِهِ كانَتْ أَوَّلُ خُطْوَةٍ خَطاها وَضَعَها في جَهنَمَّ وَكَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ عَلى رُؤوسِ الخَلائق».

هذا وضعه يوم القيامة وفي جهنم حيث يفضحه الله تعالى بين الناس وأمام الملكوتيين

- وفي وسائل الشيعة عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... ونهى عن الغيبة وقال: «مَنْ اغْتابَ امْرَءًا مُسْلِماً بَطَلَ صَوْمُهُ وَنَقَضَ وُضُوءَهُ وَجاءَ يَوْمَ القِيامَة يَفُوحُ مِنْ فيه رائِحَةٌ أنْتَنُ مِنَ الجيفَةِ يَتَأَذّى بِها أَهْلُ المَوْقِفِ وَإنْ ماتَ قَبْلَ أنْ يَتُوبَ ماتَ مُسْتَحِلّاً لِما حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

وهذا حاله قبل وروده على نار جهنم حيث يكون أمره مفضوحاً على

(١) ولا تهافت بين هذه الأحاديث الشريفة. إذ يمكن أن يتحقق كل ذلك: يأكل - المغتاب - لحم الميتة ويأكل لحم جسده أيضاً. يكون على صورة الكلب فيأكل الجيفة، ويكون على صورة الميتة تأكله كلاب جهنم أيضاً. هناك - في عالم الآخرة - إن الصورة تابعة للحيثيات التي توجد في الفاعل فيمكن أن تكون لموجود واحد صورٌ مختلفة. كما هو مقرّر في محله، العلوم الفلسفية والعرفانية (منه قدس سره الشريف).

رؤوس الأشهاد ويعتبر من الكفار، لأن المستحل لما حرّمه الله يكون كافراً، وتكون نهاية المغتاب - يوم القيامة - حسب هذه الرواية تضاهي نهاية الكافر لأنهما يستحلان ما حرّمه الله.

- وروي أيضاً عن رسول الله ﷺ في بيان حال المغتاب في البرزخ الرواية التالية: «عن أَنَسٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلى قَوْمٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ بِأَظافِيرِهِمْ، فَقُلْتُ: يا جَبْرَائيلَ! مَنْ هؤُلاءِ؟ قَالَ: هؤلاء الَّذينَ يَغْتابُونَ النَّاسَ وَيَقَعُونَ في أَعْراضِهِمْ».

فتبيّن أن المغتاب مفضوح في عالم البرزخ وعلى استحياء أمام أهل المحشر يوم الوقوف بين يدي رب العالمين، وفي حال من الذلّ والمسكنة عندما يزجّ به في نار جهنم، بل إن بعض مراتب الغيبة تدفع بصاحبها إلى الفضيحة في هذا العالم أيضاً.

- ففي أصول الكافي عَنْ إِسْحاق بْنِ عَمّارٍ قالَ: «سَمِعْتُ أبا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسانِهِ وَلَمْ يَخْلُصِ الإيمانُ إِلى قَلْبِه لا تَذُمُّوا المُسْلِمينَ وَلا تَتَبّعُوا عَوْراتهمْ فَإِنَّ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْراتهم تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحُهُ وَلَوْ فِي بَيْتِه».

إنّ الله سبحانه وتعالى غيور، ويكون هتك ستر المؤمنين وكشف عوراتهم هتكاً لناموس إلهي وكرامته. ولو أن إنساناً تجاوز في الاستهتار الحدود، وهتك حرمات الله، كشف الله الغيور عيوبه التي سترها عن الآخرين بلطفه وستّاريته، وهتك أسراره وفضح أمره في هذا العالم أمام الناس وفي عالم الآخرة أمام الملائكة والأنبياء والأولياء عليهم السلام.

- وفي الحديث الشريف في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام: «قالَ: لَما أُسْرِيَ بِالنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسلم قالَ: يا رَبِّ ما حالُ المُؤْمِنِ عِنْدَكَ؟: قالَ: يا مُحَمَّدُ مَنْ أهانَ لي وَليًّا فَقَدْ بارَزَني بِالْمُحارَبَةِ وَأنَا أسْرَعُ [شَيْءٍ] إلى نُصْرَة أوْليائي».
- وعن الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وَمَنْ اغْتابَهُ بِما فيهِ فَهُوَ خارِجٌ مِنْ وِلايَةِ اللهِ تَعالَى داخِلٌ في ولايَةِ الشَّيْطانِ».

ومن الواضح أن من يخرج عن ولاية الله تعالى ويدخل في ولاية الشيطان، لا يكون من أهل النجاة والإيمان.

ومعلوم أن من يؤمن بالله ويُصدِّق بيوم الجزاء ويعتقد اعتناقه - يوم القيامة - لصور أعماله وحقائق سيئاته، لا يقترف موبقة كبيرة، تفضحه في عوالم الغيب والشهادة وفي عالم الدنيا والبرزخ والآخرة، وتقوده إلى شرّ المصائب، التي هي نار جهنم، وتخرجه عن ولاية الحق المتعالي وتدخله تحت ولاية الشيطان.

لو أننا اجترحنا مثل هذه المعصية العظيمة لوجب أن نعرف بأن الأساس غير سليم، وأن حقيقة الإيمان لم تدخل في قلبنا. ولو أن الإيمان تغلغل في القلب، لصلحت الأمور، لأنّ آثار الإيمان تتسرب إلى الظاهر والباطن والسرّ والعلن.

فلا بدّ من معالجة الباطن وأمراض القلب. ويستفاد من الأحاديث أن ضعف الإيمان وعدم خلوصه كماً يسبّب فساداً في الأخلاق وانحرافاً في الأعمال، كذلك توجب المفاسد الأخلاقية نقصاً في الإيمان بل زواله.

واعلم أنّ هذه المعصية من جهة أخرى أشدّ من كافة المعاصي، وأنّ آثارها أخطر من آثار الذنوب الأخرى، لأنّ الغيبة مضافاً إلى أنها تمسّ حقوق الله، تمسّ حقوق الناس أيضاً.

ولا يغفر الله للمغتاب حتى يرضى صاحب الغيبة. كما ورد هذا المضمون في الحديث الشريف المأثور بطرق مختلفة.

- عن محمّد بن الحسن في المجالس والأخبار بإسْناده عن أبي ذَرٍّ، عَنِ النَّبيّ ﷺ في وَصِيَّةٍ لَهُ قَالَ: «يا أبا ذَرٍّ إيّاكَ وَالغيبَةَ، فَإِنَّ الغيبَةَ أشَدُّ مِنَ الزِّنا. قُلْتُ: وَلِمَ ذاكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: لأنَّ الرَّجُلَ يَزْني فَيَتُوبُ إِلَى اللهِ فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ وَالغيبَةُ لا تُغْفَرُ حَتّى يَغْفِرَها صاحبها».

ولو أنّ الإنسان والعياذ بالله مات وعليه حقوق الناس، كان أمره صعباً جداً.

إذ إنّ علاقة الإنسان في حقوق الله تكون مع الكريم الرحيم الذي لا يتطرق إلى ساحته القدسية شيء من البغض والضغينة والعداوة والتشفي ولكنه - في حقوق العباد قد يرتبط بإنسان فيه تلك الصفات الفاسدة ولا يتجاوز عنه بسرعة أو لا يرضى عنه نهائياً.

فلا بدّ للإنسان من المواظبة على نفسه كثيراً، والانتباه إلى الملاحظات التي ذكرناها فإنّ الأمر خطير جداً وصعب للغاية، والأحاديث في خطورة الغيبة أكثر من مجال هذه الصفحات. ونحن نقتصر على ذكر بعضها.

- رُوِيَ عَنِ النَّبِيّ ﷺ أَنَّهُ خَطَبَ يَوْماً فَذَكَرَ الرِّبا وَعَظَّمَ شَأْنَهُ فَقالَ: «إنَّ الدرْهَمَ يُصيبُهُ الرَّجُلُ مِنَ الرِّبا أعظْمُ مِنْ سَتٍّ وَثَلاثينَ زَنْيَة وَإِنَّ أرْبى الرِّبا عِرْضُ الرَّجُلِ المُسْلِمِ».

- ورُوِيَ عنه ﷺ أنَّهُ قالَ: «مَا النّارُ في اليَبْس بِأسْرَعَ مِنَ الغيبَةِ في حَسَناتِ العَبْدِ».
- وَعَنِ النَّبِيّ ﷺ: «يُؤْتى بِأحَدٍ يَوْمَ القِيامَةِ يُوقَفُ بَيْنَ يَدَي الربِّ عَزَّ وَجَلَّ وَيُدْفَعُ إلَيْهِ كِتابُهُ فَلا يَرى حَسَناتِهِ فيهِ فَيَقُولُ: إلهي لَيْسَ هذا كِتابِي [فإنّي] لا أرى فيهِ حَسَناتي فَيُقالُ لَهُ: إنَّ رَبَّكَ لا يَضِلُّ وَلا يَنْسى ذَهَبَ عَمَلُكَ بِاغْتِياب النّاسِ ثُمَّ يُؤْتى بِآخَرَ وَيُدْفَعُ إلَيْهِ كِتابُهُ فَيَرى فيهِ طاعاتٍ كَثيرةً فَيَقُولُ: إلهي ما هذا كِتابي فَإنّي ما عَمِلْتُ هذِهِ الطّاعاتِ، فَيُقَالُ لَهُ: إنَّ فُلاناً اغْتابَكَ فَدُفِعَت حَسَناتُهُ إلَيْكَ».
- وعن النبي ﷺ: «أَدْنَى الكُفْرِ أَنْ يَسْمَعَ الرَّجُلُ مِنْ أَخِيهِ كَلِمَةً، يَحْفَظُهَا عَلَيْهِ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَحَهُ بِهَا أولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ».

هل الاستماع إلى الغيبة محرّم؟

إنّ الاستماع إلى الغيبة محرّم، كما أنّ الاستغابة تكون محرّمة بل يظهر في بعض الروايات أن المستمع مثل المغتاب في كل الأمور حتى وجوب التسامح منه، وإنه من الكبائر.

- عن النبي ﷺ: «المُسْتَمِعُ أحَدُ المُغْتابَيْنِ».
- وعن علي عليه السلام: «السامِعُ أحَدُ الْمُغْتابَيْنِ».

بل يظهر من الروايات الكثيرة وجوب ردّ الغيبة.

- عَنِ الصَّدُوقِ بِإسْنادِهِ عَنِ الإمام الصّادِقِ عليه السلام في حَدِيثِ مَناهِي النَّبِي ﷺ «أنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهى عَنِ الغيْبَةِ والاسْتِماعِ إلَيْها إلى أنْ قالَ: ألا وَمَنْ تَطَوَّلَ عَلى أَخيه في غِيْبَةٍ سَمِعَها فيهِ في مجْلسٍ فَرَدَّها عَنْهُ رَدَّ اللهُ عَنْهُ ألْفَ بابٍ مِنَ الشَّرِّ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ فَإنْ هُوَ

[لَمْ يَرُدَّها وَهُوَ] قادِرٌ عَلَى رَدِّها كانَ عَلَيْهِ كَوِزْرَ مَنِ اغْتابَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً».

- وَعَنِ الصَّدوق بِإسْنادِه عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام عَنْ آبائِه في وَصِيَّةِ النبِيِّ لعليّ عليه السلام: «يا عَلِيُّ! مَنِ اغْتيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ المسْلِمُ فَاسْتَطاعَ نَصْرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ خَذَلَهُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ».
- وَعَنْ عِقابِ الأعْمالِ بِسَنَدِهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ رَدَّ عَنْ أَخيه غيبَةً سَمِعَها في مَجْلِسٍ رَدَّ اللهُ عَنْهُ أَلْفَ بابٍ مِنَ الشرِّ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ فَإِنْ لَمْ يَرُدّ عَنْهُ وَأَعْجَبَهُ كانَ عَلَيْهِ كَوِزْرِ مَنِ اغْتابَ».

ويلاحظ أحياناً أنّ المستمع فضلاً عن أنه لم يمنع الغيبة، يعمد إلى تحريض الشخص المستغيب، أو يشجّعه عليها من خلال مشاركته معه في الاستغابة، أو تحسينه إياه على غيبته وإذا كان المستمع من أهل الصلاح، رغّب المستغيب في الاستغابة نتيجة موقفه ذي الطابع الديني لدى استماع الغيبة، من الاشتغال بذكر الله أو الاستغفار أو الأمور الأخرى التي تعدّ من الوسائل الشيطانية لأنه بموقفه هذا يدفع المستغيب إلى الاستغابة.

ومن الممكن أن يكون الحديث الشريف الذي يضاعف وزر المستمع للغيبة سبعين مرّة بالنسبة إلى وزر المستغيب، إشارة لهؤلاء الأشخاص - يستمعون الغيبة ويشجعون المستغيب من خلال مواقفهم الدينية الظاهرية على المضي فيها - نعوذ بالله منه.

وأحياناً تضاف عناوين أخرى على عنوان الغيبة أيضاً فيبعث على ازدياد الفساد والقبح والعقاب مثل أن يثني المستغيب على المستغاب

أمامه ويعرب له عن حبه له. ويكون هذا من مراتب النفاق ويعدّ من ذوي اللسانين والوجهين والروايات تذم مثل هذا الإنسان.

- ففي الكافي الشريف بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «مَنْ لَقِيَ الْمُسْلِمِينَ بِوَجْهَيْنِ وَلِسَانَيْنِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ».

هذه هي صورة هذا العمل القبيح ونتيجة هذا النفاق في عالم الآخرة.

«أعوذ بالله من شرّ لساني ونفسي الأمّارة والحمد لله أوّلاً وآخراً»[1].

(١) (منه قدس سره الشريف).

كيف نحافظ على عملنا؟

كيف نحافظ على عملنا؟

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٖ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

كلمة[١] «العمل» على ما قاله «الراغب» في المفردات بمعنى: كل فعل يكون بقصد، ولكن الفعل أعم منه، فهو يطلق على الأفعال التي تكون بقصد أو بغير قصد.

جملة «قدمنا» من «القدوم» بمعنى «المجيء» أو «الذهاب على أثر شيء» وهي هنا دليل على تأكيد وجدّية المسألة، يعني مسلّماً وبشكل قاطع أن جميع أعمال أُولئك التي قاموا بها عن قصد وإرادة - وإن كانت أعمال خير ظاهراً - سنمحوها كما تمحى ذرات الغبار في الهواء، لشركهم وكفرهم.

كلمة «هباء» بمعنى ذرات الغبار الصغيرة جدّاً التي لا تُرى بالعين المجرّدة وفي الحالة العادية أبداً إلّا في الوقت الذي يدخل نور الشمس إلى الغرفة المظلمة من ثقب أو كُوّة، فيكشف عن هذه الذرات ويمكن مشاهدتها.

هذا التعبير يدل على أن أعمال أُولئك لا قيمة لها ولا أثر إلى حدّ كأنّهم لم يعملوا شيئاً، وإن كانوا قد سعوا واجتهدوا سنين طويلة.

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - (ج ١١ ص ٢٢٨) بحسب المكتبة الالكترونية.

هذه الآية نظيرة الآية (١٨) من سورة إبراهيم التي تقول: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾.

آفات العمل الصالح

الدليل المنطقي لذلك واضح أيضاً، لأنّ الشيء الذي يعطي عمل الإنسان الشكل والمحتوى، هو النّية والدافع وغاية العمل النهائية، فأهل الإيمان يتوجهون لإنجاز أعمالهم بدافع إلهي وعلى أساس أهداف مقدسة طاهرة، وخطط سليمة صحيحة، في حين أنّ من لا إيمان لهم، فغالباً يقعون أسارى التظاهر والرياء والغرور والعجب، فيكون سبباً في انعدام أية قيمة لأعمالهم.

فساد العمل على مستويات ثلاثة

الأول: من وجهة نظر المنطق الإسلامي، فإنّ للأعمال الصالحة آفات، ينبغي مراقبتها بدقة، فقد يكون العمل أحياناً سيئاً وفاسداً منذ البداية، كمثل العمل الذي يتخذ (رياءً).

الثاني: أحياناً أخرى يلحقه الفساد أثناء العمل كما لو أصاب الإنسان الغرور والعجب حينه فتزول قيمة عمله بسبب ذلك.

الثالث: قد يمحى أثر العمل الصالح بعد الانتهاء منه بسبب القيام بأعمال مخالفة ومنافية، كمثل الإنفاق الذي تتبعه «منّة»، أو كالأعمال الصالحة التي يعقبها كفر وارتداد.

حتى ارتكاب الذنوب أحياناً يترك أثره على العمل الصالح بعدها -

طبقاً لبعض الرّوايات الإسلامية كما نقرأ في مسألة شارب الخمر حيث لا تقبل أعماله عند الله أربعين يوماً.

على أية حال، فللإسلام منهج فذّ، دقيق وحساس في مسألة خصوصيات العمل الصالح.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٥].

و«الشقي» مشتق من مادة «الشقاء» ومعناه توفر أسباب البلاء والمحنة.

وأن أحد الأشقياء يوم القيامة(١)

تذكر رواياتنا أنّ أحد الأشقياء يوم القيامة هو الذي كان يكدح ليل نهار في العمل من أجل عياله ولكنهم سيعادونه يوم القيامة ويلعنونه ويطلبون من الله أن يقتص منه لأنه لم يؤد حق الخمس فأطعمهم من المال الحرام وجعل قلوبهم قاسية.

هذا الشقي سيعاني من جهة البؤس والأوزار والوبال ومن جهة أخرى ستلحقه لعنات زوجته وأطفاله يقول تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

الآية الكريمة تتحدث عن طائفة من الناس يتعبدون بصورة جيدة ظاهرياً فهم قد أقاموا الصلاة وصاموا وحجّوا وزاروا كربلاء والإمام الحسين عليه السلام وأقاموا العزاء... وهو العمل الذي يصفه الإمام

(١) راجع القصص الأسرية والبيتية بتصرف ص٤٠.

الصادق عليه السلام بأنه يجعل أصحابه يتألّقون يوم القيامة بحلل بيض لكنهم أكلوا المال الحرام وحقوق الآخرين وهذا ما يؤدي إلى تحوّل كافة أعمالهم إلى الذين أكلوا أموالهم عن طريق محرّم... وعلى الآكل أن يدفع يوم الفصل الغرامات وهي أن يعطي أعماله ويبقى هو دون عمل فيكون مصيره جهنم... إن دخول المال الحرام إلى بيوتكم يذهب عنكم الرحمة والبركة والمودة وفي النهاية يؤدي إلى أن يقوم نفسه هذا الطفل الذي تكدح كثيراً من أجله الآن يلعنك يوم القيامة ويجعلك من أهل جهنم.!!

وهناك روايات عديدة تدل على هذه الحقيقة المرة ومنها:

- عن سالم مولى أبي حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [1]: ليجيء يوم القيامة بقوم معهم حسنات مثال جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعل الله تعالى أعمالهم هباء ثم قذفهم في النار. قال سالم: بأبي وأمي يا رسول الله حل لنا هؤلاء القوم، قال: كانوا يصلون ويصومون ويأخذون سنة من الليل ولكن كانوا إذا عرض عليهم شيء من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله تعالى أعمالهم. وفي الكافي، بإسناده عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ قال: أما والله لقد كانت أعمالهم أشد بياضاً من القباطي ولكن كانوا إذا عرض لهم حرام لم يدعوه.

(١) تفسير الميزان - العلامة الطباطبائي - (ج ١٥ ص ١٠٧) بحسب المكتبة الالكترونية.

البكاء والتباكي وأثرهما

البكاء والتباكي وأثرهما

- عن أبي عبد الله عليه السلام [1]: قال: «ما من شيء إلّا وله كيل أو وزن إلّا الدموع، فإنّ القطرة تُطفىء بحاراً من نار، وإذا اغرورقت العين بمائها لا يرهق وجهه قتر ولا ذلة، فإذا فاضت حرّمه الله على النار، ولو أنَّ باكياً بكى في أمّة لرحموا».
- عن الإمام الصّادق عليه السلام عن أبيه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لصورة نظر الله إليها تبكي على ذنب من خشية الله تعالى لم يطّلع الذنب غيره».
- قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كلّ عين باكية يوم القيامة إلّا ثلاث أعين: عين بكت من خشية الله تعالى، وعين غضت عن محارم الله تعالى، وعين باتت ساهرة في سبيل الله تعالى».
- وقال عليه السلام: «من بكى على ذنوبه حتى يسيل دمعه على لحيته حرّم الله ديباجة وجهه على النار». وقال عليه السلام: «من خرج من عينه مثل الذباب من الدمع من خشية الله آمنه الله تعالى به يوم الفزع الأكبر».
- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها».

(١) جامع الأخبار الأحاديث من ١ - ٦.

- عن الإمام الصادق عليه السلام [(١)]: «إن لم يجئك البكاء فتباك، فإن خرج منك مثل رأس الذباب فبخ بخ».
- البكاء على النفس - فيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام: ابك على نفسك ما دمت في الدنيا، وتخوف العطب والمهالك، ولا تغرنك زينة الحياة الدنيا وزهرتها.
- فيما أوحي إلى عيسى عليه السلام: ابك على نفسك بكاء من قد ودّع الأهل، وقلى الدنيا، وتركها لأهلها، وصارت رغبته في ما عند إلهه.
- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من علامات الشقاء جمود العين».
- عن الإمام علي عليه السلام: «ما جفت الدموع إلّا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلّا لكثرة الذنوب».
- عن أبي جعفر عليه السلام [(٢)] قال: كان في ما ناجى الله به موسى عليه السلام على الطور: أن يا موسى أبلغ قومك أنه ما تقرّب إلي المتقرّبون بمثل البكاء من خشيتي، وما تعبّد إليّ المتعبّدون بمثل الورع عن محارمي، وما تزّين لي المتزّينون بمثل الزهد في الدنيا عما بهم الغنى عنه، قال: فقال موسى: يا أكرم الأكرمين فماذا أثبتهم على ذلك؟ فقال: يا موسى أما المتقربون إلي بالبكاء من خشيتي فهم في الرفيق الأعلى لا يشاركهم فيه أحد، وأما المتعبدون لي بالورع عن محارمي فإني أفتش الناس على أعمالهم ولا أفتشهم حياء منهم،

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري الأحاديث من ٧ - ١١.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ١٣.

وأما المتقرّبون إليّ بالزهد في الدنيا فإني أبيحهم الجنة بحذافيرها يتبوؤون منها حيث يشاؤون.

حكاية الأصمعي المؤثّرة[1]:

ومن المناسب هنا ذكر حكاية نقلها «الغزالي» في كتابه «بحر المحبّة» عن الأصمعي، تؤيّد ما ذهبنا إليه وذات مسائل جديرة بالاهتمام.

يقول الأصمعي: «كنت أطوف حول الكعبة في ليلة مقمرة، فسمعت صوتاً حنوناً لرجل يناجي ربّه. بحثت عن صاحبه وإذا به شاب جميل رشيق القامة يبدو عليه الطيب. وقد تعلّق بأستار الكعبة، وكان يقول في مناجاته:

يا سيّدي ومولاي، نامت العيون وغابت النجوم، وأنت ملك حيّ قيّوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، غلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حرّاسها وحجّابها، وقد خلا كلّ حبيب بحبيبه، وبابك مفتوح للسائلين، فها أنا سائلك ببابك مذنب فقير، خاطىء مسكين، جئتك أرجو رحمتك يا رحيم، وأن تنظر إليّ بلطفك يا كريم!

ثمّ أنشد:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الكرب والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وعين جودك ياقيّوم لم تنم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سرف ... فمن يجود على العاصين بالنعم
هب لي بجودك فضل العفو عن سرف ... يا من أشار إليه الخلق في الحرم

ثمّ رفع رأسه إلى السّماء وناجى:

---

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - (ج ١٠ ص ٥٢٠) بحسب المكتبة الالكترونية.

إلهي وسيّدي ومولاي! إن أطعتك بعلمي ومعرفتي فلك الحمد والمنّة عليّ، وإن عصيتك بجهلي فلك الحجّة عليّ.

ورفع رأسه ثانيةً إلى السّماء مناجياً بأعلى صوته: يا إلهي وسيّدي ومولاي، ما طابت الدنيا إلّا بذكرك، وما طابت العقبى إلّا بعفوك، وما طابت الأيّام إلّا بطاعتك، وما طابت القلوب إلّا بمحبّتك، وما طاب النعيم إلّا بمغفرتك.

يضيف الأصمعي: إنّ هذا الشاب واصل مناجاة ربّه حتّى أُغمي عليه، فدنوت منه وتأمّلت في محيّاه فإذا هو علي بن الحسين زين العابدين، فأخذت رأسه في حجري وبكيت له كثيراً، فأعادته إلى وعيه قطرات دمع سكبت على وجنتيه، فتح عينيه وقال: من الذي شغلني عن ذكر مولاي؟ قلت: إنّك من بيت النبوّة ومعدن الرسالة. ألم تنزل فيكم آية التطهير؟ ألم يقل الله فيكم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] نهض الإمام السجّاد وقال: يا أصمعي! هيهات هيهات! خلق الله الجنّة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشيّاً، وخلق النّار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشياً ألم تقرأ القرآن؟ ألم تسمع كلام الله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾؟ [المؤمنون: ١٠١].

يقول الأصمعي: عندما وجدته على هذه الحال، تركته ومضيت لسبيلي.

سوء الخلق وأثره

سوء الخلق وأثره [١]

لا نعني بسوء الخلق السباب والشتائم، والتلفظ بالكلمات النابية عمل قبيح وغير محمود، بل لا ينبغي للمسلم أن يطعن ويلعن ويتفوّه ببذيء الكلام حتى على عدوّه فقد منع أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين نفراً من جنده كانوا يسبّون ويشتمون أفراداً في جيش العدو، وقال عليه السلام :

«إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي اَلْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي اَلْعُذْرِ وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ : اَللَّهُمَّ اِحْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَاصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ اَلْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ[٢] عَنِ اَلْغَيِّ وَاَلْعُدْوَانِ. . . »[٣].

وعلى المسلمين أن يدعوا لعدوّهم، ويطلبوا لهم من الله الهداية إذا كانوا هم أهلاً لذلك.

---

(١) مقتبس من محاضرات العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه.

(٢) والارعواء: الندم على الشيء والانصراف عنه والترك له نقلاً عن غريب الحديث لأبي عبيد - (ج ٤ ص ٢٢٧) بحسب المكتبة الالكترونية.

(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة.

قبح البذاءة والسفاهة[(١)]

طوبى لمن حسن خلقه، وعرف قدره، وأنصف الناس عن نفسه فعرف حقوقهم، وأدّاها إليهم راضياً. . إنه يتمتع يومئذ بسكينة نفسية وعلاقات متينة، وسمعة طيبة بينما سيئ الخلق لا يتوب من ذنب حتى يقع في آخر، وتراه بذيء اللسان سفيه الفعال ظالماً لحقوق الناس.

طائفة من الروايات الشريفة التي تبيّن قباحة سوء الخلق

- أتى النبي ﷺ رجل فقال: إنّ فلاناً مات فحفرنا له فامتنعت الأرض فقال رسول الله ﷺ: «إنه كان سيئ الخلق»[(٢)].
- عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من ذنب إلّا وله توبة، وما من تائب إلّا وقد تسلم له توبته ما خلا سيّئ الخلق لايكاد يتوب من ذنب إلّا وقع في غيره أشرّ منه»[(٣)].
- جاء عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام أن النبي ﷺ قال في وصيته لعلي عليه السلام: «يا علي أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد، يا علي من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار، يا علي شرّ الناس من أكرمه الناس اتقاء فحشه وأذى شره، يا علي شرّ الناس من باع آخرته بدنياه وشرّ منه من باع آخرته بدنيا غيره»[(٤)].

---

(١) جهاد النفس - للعلامة محمد تقي المدرسي.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ٦٨ ص ٣٩٦).
(٣) مستدرك سفينة البحار - (ج ١٩٥ ص ١): المكتبة الالكترونية.
(٤) وسائل الشيعة ج١١ ص٣٢٨ باب ٧١ ح١١.

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[١].
- وعن الحسين بن بشار قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام: إن لي قرابة قد خطب إلي وفي خلقه سوء قال: لا تزوجه إن كان سيئ الخلق[٢].
- وروي عن الإمام الرضا، عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليكم بحسن الخلق فإنّ حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإنّ سوء الخلق في النار لا محالة»[٣].
- وروي عنه عليه السلام في حديث أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ من شرّ عباد الله من تكره مجالسته لفحشه»[٤].
- روى أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «من علامات شرك الشيطان الذي لا يشك فيه، أن يكون فحاشاً لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه»[٥].
- روى أبو جعفر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعائشة: «يا عائشة إنّ الفحش لو كان مثالاً لكان مثال سوء»[٦].
- وقال سماعة: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي مبتدئاً: يا

(١) وسائل الشيعة ج١١ ص ٣٢٣ باب ٦٩ ح١.
(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - (ج ١٠٠ ص ٢٣٤).
(٣) المصدر ح٧.
(٤) المصدر ح٥.
(٥) وسائل الشيعة ج ١١ ص٣٢٧ باب ٧١ ح١.
(٦) المصدر ح٥.

سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جمّالك؟ إياك أن تكون فحّاشاً أو سخّاباً أو لعّاناً، فقلت: والله لقد كان ذلك إنه ظلمني، فقال: إن كان ظلمك لقد أربيت عليه، إن هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي، استغفر ربك ولا تعد، قلت: أستغفر الله ولا أعود(١).

- ... عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: ... وأما العنكبوت فكانت امرأة سيئة الخلق عاصية لزوجها مولية عنه فمسخها(٢) الله عنكبوتاً، وأما القنفذ فكان رجلاً سيئ الخلق فمسخه الله قنفذاً(٣).

يُحرم من صحبة الإمام الصادق عليه السلام بسبب بذاءة لسانه!!

في خبر عن الإمام الصادق عليه السلام بصدد البذاءة، أن أحد أصحابه عليه السلام كان عنده وقد أوصاه بالذهاب إلى مكان ما وإذ مضى كان غلامه يمشي خلفه، فناداه، لكن الغلام لم يرد.

وناداه ثانية، فلم يرد أيضاً.

وناداه الثالثة، فلم يسمع منه جواباً، فسبه قائلاً: «يا بن الفاعلة، إياك أعني».

يقول الراوي: وعند سماع الإمام الصادق عليه السلام قبيح كلامه وقف عن الاستمرار في سيره، ووضع يديه على خاصرتيه، وقال: ماذا قلت؟

قال: يا بن رسول الله، هذا الذي قلته للغلام لعلمي أن أبوي الغلام

---

(١) المصدر ص٣٢٨ باب ٧١ ح٧.

(٢) المسخ على هيئة هذه الحيوانات لفترة من الزمن ثم يموت الممسوخ وقيل ثلاثة أيام.

(٣) الخصال: ص ٤٩٣.

ليسا من الإسلام في شيء وأنهما كانا هنديين. قال الإمام الصادق عليه السلام: دعنا من أبويه، أريد أن أقول لك: لماذا تسب وتشتم؟ ليس لك بعد الآن حق في صحبتي.

قال الراوي: لم يقبل الإمام الصادق عليه السلام يوماً ضيافة هذا الصحابي ولم يصاحبه في قليل أو كثير على مدى حياته.

خذ معك رفيقاً محبوباً إلى قبرك

وينقل أن اليهود تواطؤوا على أن يستهزئوا بالرسول، وكان الرسول جالساً في المسجد مع إحدى نسائه، فدخل اليهودي الأول وقال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(السام عليكم) فأجابه الرسول: (وعليكم) وهكذا تكررت الحالة مع اليهوديَّين الثاني والثالث، وعندها غضبت زوجة النبي وقالت للثالث منهم: (يا أبناء القردة والخنازير)! فتألم الرسول وقال لها: (لماذا تفحشين)؟.

فقالت: (ألا تراهم كيف يستهزئون)؟ فأجابها: (قد رددت عليهم كل ما قالوه لي، فلا داعي للسباب) ثم قال لها ناصحاً إياها: في الليلة الأولى من القبر يظهر السباب على هيئة كريهة ويحشر مع الإنسان ويفضحه في البرزخ والقيامة خذي معك رفيقاً محبوباً إلى قبرك.

نتيجة

من هذه الروايات والأخبار يمكن أن نخلص إلى نتيجة هي: إنّ المسلمين ينبغي لهم أن يكونوا متأدبين، ممتنعين عن لغو الحديث وما

إلى ذلك من السب والشتم وأن يحفظوا ألسنتهم كما يحفظون أموالهم.

ومراعاة هذا الأمر في الأسرة خصوصاً تحظى بأهمية كبرى، فإذا لم يراع المسلمون هذا الأمر، فلا يمكن لأحد أن يطلق عليه اسم حارس الإسلام وقد يشطب اسمه من سجل النبي الأكرم ﷺ ليخرج بذلك من أمة رسول الهدى ﷺ.

وليس لأحد حق في أن يسب أو يشتم زوجته أو أي شخص آخر، إذا ضيعوا حقه، لأنكم سوف تواجهون بسبابكم هذا شدة عذاب القبر، وستجرون في الغد القريب (يوم القيامة) إلى العذاب بالسب والشتم.

سوء الظن والنظرة السلبية تجاه الناس

سوء الظن والنظرة السلبية تجاه الناس(١)

تمهيد:

قبل الشروع بالبحث أودّ التذكير بأن سوء الظن بالآخرين، والنظرة السلبية لهم، وتجاهل الإيجابيات لديهم، يعدّ مرتبة من حق الناس لا من حق الله، وحق الناس له مراتبه، منها ما يتعلق بأقوال الناس، فلا تكن من المبالين بذلك مثلاً.

ومنها ما يتعلق بأعراض الناس وشرفهم واحترامهم، ومن المعلوم أنّ عدم رعاية كرامة الناس، جريمتها ستكون أكبر، من هذه الناحية فإنّ سوء الظن بالآخرين، وسوء النظرة للآخرين وتجاهل الجوانب الإيجابية في الفرد والمجتمع، والتشبث بالحالات المعاكسة السلبية والبناء عليها في التعامل، كل ذلك يعتبر من حق الناس وإثمه كبير جداً.

---

(١) الموضوع مقتبس من محاضرات العلامة الشيخ حسين مظاهري أعلى الله مقامه تحت عنوان «التخيل الاجتماعي والذي يعني: التخيلات والأوهام والوسوسة الاجتماعية وهو ينقسم إلى قسمين: الأول: سوء الظن بالآخرين. الثاني: النظرة السلبية تجاه الناس»/ بتصرف بسيط.

سوء الظن

سوء الظن بالآخرين أحد مراتب حق الناس، يعني أن ينظر الإنسان إلى الناس نظرة تشاؤم. سواء كانت هذه النظرة من الزوج لزوجته، أو من الزوجة لزوجها، أو الصديق لصديقه، أو الغريب إلى الغريب، وسواء كان سوء الظن هذا يتعلق بالشرف، أو بالمال، أو بشيء عرفي، أو بشيء آخر، فسوء الظن إثم وذنب عظيم حيث يقول القرآن الكريم: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

يقول: تأتون بسوء الظن على ألسنتكم وبلا حياء وتظنون أنّ إثمه قليل، ولكن إثم كبير، أي أنه من الكبائر، ويقول في موضع آخر:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

لا تكن سيئ الظن ولا تتبع التخيلات والأوهام، لأنك في يوم القيامة ستكون عرضة للسؤال، ستسأل عينك وأذنك وسيسأل قلبك، وسوف يشهدون عليك، فالسيئ الظن يشهد عليه قلبه يوم القيامة وإذا نطق بشيء فإن لسانه سوف يشهد عليه.

وإذا فعل شيئاً فإنّ يده ورجله سوف تشهدان عليه.

أمير المؤمنين عليه السلام ينصح ويقول: «ضع أمر أخيك على أحسنه»[١].

(١) أصول الكافي، ج٤ ص٥٨ باب التهمة وسوء الظن.

فكل ما تراه من الآخرين احمله على المحمل الحسن، وانتبه أن لا تظن سوءاً بالآخرين.

قال أمير المؤمنين والإمام الصادق عليهما السلام: يجب على المرء ما استطاع أن يحمل قول وفعل الآخرين على الخير حتى سبعين محملاً، وإذا عجز بعد السبعين فلا يقولن سوءاً بل ليقل: كم أنا سيئ إذ عجزت عن إيجاد محمل حسن.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام [(١)]: «لا تظننّ بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً» كلما كان هناك مجال للمحمل الحسن فاحمل القول عليه، وإذا عجزت فلا تلومنّ أحداً سواك، واعلم أن نفسك ليست سليمة، ولو كانت نفسك سليمة وكنت مهذباً وإنساناً سوياً لما ظننت بالآخرين سوءاً.

أحياناً يؤدي سوء الظن إلى المفاسد، فعندما ترى أحداً ينظر أحداً ما، فتظن أنه ينظر إلى أجنبية، ولا تكتفي بذلك وإنما تشرع بتفسيقه، والشيطان لا يقنع بالقليل فيحيل سوء ظنك هذا إلى ذنب فوق ذنب فتقول: إنه ليس بمسلم أصلاً[(٢)].

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار ٣٦٠.

(٢) وعندما نجري بحثاً نجد أن أفراداً نظير مجموعة فرقان، نظير المنافقين وأمثالهم، والذين قتلوا أمثال الشهيد مطهري، إنما بدأوا من سوء الظن.
فأساؤوا الظن بمطهري هذا الرجل الذي قل نظيره، ذلك العالم العامل، والذي لم يترك الصلاة ليلة حتى موته، ذلك الذي يخفق قلبه للإسلام، ففسقوه بسوء الظن ثم كفروه وقتلوه بهذا التكفير.
وقضية المرحوم بهشتي ألم تجر كذلك؟ ذلك الرجل الذي كان لائقاً لكل شيء. ذلك الرجل الذي كان بمرتبة عالية في السياسة والعلم والدراية، ذلك الرجل الذي =

إن قضية سوء الظن كثيرة في الوسط الاجتماعي، خاصة في أوساط الرجال والمتقدسين الجافين والجاهلين، مثلاً يكون ماشياً مع زوجته وقد تلتفت إلى دكان فيظن أن زوجته نظرت إلى رجل أجنبي فتنبت شوكة في ذهنه وروحه، فيبدأ بالشك بعفة زوجته ويحمل نظراتها على أنها نظرات سوء، ويستمر ذلك الشك يوخزه ويديم الشيطان تأجيج النار، وفجأة يتغير الشك إلى يقين بعدم عفة زوجته ولا ينتهي الأمر إلّا بالطلاق.

أو أنّ أحد الأزواج قد يأتي متأخراً ساعة أو ساعتين، فيكون هذا التأخير باعثاً لثورة حسدها، وليس السبب هنا هو الغيرة أو التدين الجاف، فيتحول ذلك شوكة تؤذي روح تلك المرأة وإذا كانت تلك المرأة سليطة، تشرع بالجدل والمنازعة عند مجيء زوجها. والتي يعد ذنبها كبيراً حتى أن المرأة السليطة إذا ماتت بدون توبة، تُعلق في جهنم من لسانها.

أو أن امرأة تكون شكاكة يؤذي زوجها ذلك الشك، وشيئاً فشيئاً يصبح لديها يقين أن زوجها يسعى لأجل الزواج، هنا شيئاً فشيئاً تنجر إلى المفاسد الكبيرة.

فقد تفقد المرأة أحياناً عفتها بسبب سوء ظنها لأجل الانتقام من زوجها، زوجها طاهر ولكن سوء ظنها يوصلها إلى الطريق المسدود لذا

= كان فرداً استثنائياً، ذلك الرجل الذي لم يبك الإمام (قده) على شهادته وإنما بكى على مظلوميته.
لقد كان مظلوماً لذلك المستوى الذي قال فيه الإمام (رضوان الله تعالى عليه): إن قلبي يحترق لمظلومية الدكتور بهشتي.
وكذلك شهادة اثنين وسبعين فرداً من أعضاء الحزب الجمهوري الإسلامي كانت من هذا الباب.

أرجو أن لا يظن أحدكم بالآخر سوءاً. خاصة المرأة بالنسبة لزوجها والزوج بالنسبة لزوجته، سوء الظن هذا حرام، وإثمه كبير، فقد يؤدي أحياناً إلى الطلاق، وقد يؤدي أحياناً إلى انحراف الأبناء وإلى حملهم للعقد النفسية.

النظرة السلبية:

حيث لا يرى الإنسان الجوانب الإيجابية لدى الآخرين وإنما ينظر فقط للجوانب السلبية فيهم، أي أن هذا الشخص مصاب بحالة الذباب فعندما يدخل بستان ورد وزهور لا يستقر عليها وإنما يبحث عن أماكن القذارة فيه يعني أن الإنسان أحياناً لا يرى الشيء الإيجابي، وإنما يرى السلبيات فقط فيكتسب حالة الذباب. مثلاً يدخل الرجل بيته، وقد أجهدت زوجته نفسها برعاية أطفالها وبيتها وهيأت الطعام، وهيأت نفسها استعداداً لمجيء زوجها، ولكنه عندما يدخل لا يرى كل ذلك المجهود، فيلتفت إلى هذه الجهة أو تلك ليعثر على شيء ما وأخيراً يعثر على شيء فيجد أن عباءتها مثلاً قد سقطت في جانب، فيعلو صياحه لماذا هذا الإهمال؟ فتذهب هدراً جهود تلك المرأة من الصباح إلى الليل بهذا الكلام ونحوه. الزوج بجملته هذه لا شك في كونه يدخل النار وإذا لم يتب فإنه سوف يعلق بلسانه في النار.

هذا اللسان الذي سوف يطول يوم القيامة حتى أن أهل المحشر يطأونه.

وهذا الذنب من العظم والكبر إلى درجة أن من لم يتب منه فحين رحيله من الدنيا يتعرض لضغطة القبر، ويعاقب من أول ليلة ينزل فيها القبر.

وأما النتيجة في الدنيا فهي فتور المرأة وبرودها في رعاية بيتها وزوجها وأطفالها.

وأحياناً المرأة تكون سلبية بنظرتها، مثلاً زوجها يكدّ من الصباح إلى العصر لتهيئة مصروف البيت، وعندما يعود إلى البيت تكون حواسه مجهدة فقد لا يغسل يديه أو شيئاً من هذا القبيل. ولكن هذه المرأة تنسى كل تلك الجهود، ولا ترى إلا هذا الفعل سيئاً فيعلو صياحها، وتسمى هذه المرأة السلبية النظرة امرأة سليطة جهنمية.

أما في المجال الاجتماعي العام فكذلك أيضاً، فقد لا يرى الأفعال الحسنة الكثيرة في سلوك صديقه، ولكن إذا رأى منه خطأً اتخذ منه علماً، يلوح به خلفه وأمامه ويصرح به هنا وهناك.

أو عندما يجتمع عدد من الأشخاص في مجلس ويشرعون بالغيبة لأحد أصدقائهم وعندما يقوم من المجلس أحدهم مثلاً يبدؤون باغتيابه، ويأكلون لحم الميتة طالما كان المجلس منعقداً وكلما استمر المجلس كان إثمه أشدّ من الزنا.

وعندما ندقق نرى أن هؤلاء سلبيو النظرة، فلا بدّ أن يكون ذلك الشخص الذي اغتابوه ذا صفات حسنة تجاهلوها وبدل الإشارة إليها عدلوا إلى الغيبة.

لذا فإن الأشخاص الذين يغتابون الآخرين من ذوي النظرة السلبية عليهم أن يعلموا أن قلوبهم غير سليمة ويعلموا أن رذيلة التخيل والتوهم تتحكم بقلوبهم وكذلك رذيلة النظرة السلبية.

وإذا ترسخت هذه الرذيلة في القلب فلا يمحوها من القلب إلّا نار جهنم.

النظرة الإيجابية

مر عيسى عليه السلام مع الحواريين على عنزة ميتة، فاقترب أحدهم منها ثم نهض بسرعة وهو يقول: تفوح منها رائحة نتنة.

جاء الثاني وذكر عيباً آخر، وهكذا قال كل واحد منهم.

أما عيسى عليه السلام فقد نظر إلى تلك العنزة الميتة وقال: ما أشد بياض أسنانها يعني أن عيسى عليه السلام، يقول لنا عملياً: (كونوا إيجابيين ولا تكونوا سلبيين).

فإنّ الكثير من الناس يتحلّون بصفات جيدة كثيرة فلماذا تترك المحاسن وتتمسك بالمساوئ؟

لماذا لا تكون كالبلبل؟ عندما يرد بستاناً ليس فيه إلّا وردة واحدة، فإنه يقف على تلك الوردة، ولا يذهب إلى أماكن الأوساخ والقذارة.

لماذا لا نكون مثل نحل العسل عندما يدخل بستاناً يبحث عن الأزهار الجميلة وإذا ما جلس على زهرة غير مناسبة فإنّ نحل الحراسة يقطعه نصفين؟!.

لماذا لا نكون بلابل لنكون من أهل الجنة؟.

لماذا نكون ذباباً حتى نكون من أهل النار؟

تماماً كما تكون القذارة محلاً للذباب، الإنسان السلبي مكانه في جهنم.

عد وابحث عن محاسن الناس خاصة المرأة حول زوجها والزوج حول امرأته.

اطلب[١] من الرجل أن يشكر زوجته عندما يدخل بيته، وادع المرأة أيضاً أن تشكر زوجها، وليغض بعضكم النظر عن مساوئ البعض الآخر. وليلتفت بعضكم إلى إيجابيات البعض الآخر.

ولا تكونوا عديمي الوفاء لأن الإنسان لم يخلق كذلك.

يقول القرآن الكريم: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧].

الموت لذلك الإنسان الذي لا وفاء له.

امرأة رعت زوجها سنين عديدة، تخطئ في يوم ما فتذهب مثلاً خارج البيت من دون إذنه فيهدر كل أتعابها الحسنة الماضية، رجلٌ كهذا لا يسمى رجلاً. بل هو عديم الرجولة، وكذلك بعض النساء.

لذا أرجو أن تدخلوا المجتمع بنظارات جيدة الرؤية. فالإنسان يرى كل شيء أسود إذا نظر إلى الناس بنظارة سوداء.

في الروايات أن الصديق الحسن هو الصديق الذي لا يرى أفعاله الحسنة بحق الآخرين، ولا ينسى الأفعال الحسنة للآخرين.

آمل أن تأخذوا مأخذ الجدّ هاتين الصفتين الأخلاقيتين، وأن تبذلوا الجهد للتخلص من رذيلة التخيل الاجتماعي، إذا كانت موجودة لتردوا المحشر بقلب صافٍ، يقول القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

(١) الكلام للعلامة مظاهري - أعلى الله مقامه -.

فضيلة الإخلاص
ورذيلة الرياء

فضيلة الإخلاص ورذيلة الرياء

أولاً: فضيلة الإخلاص

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «النَّاس كلّهم هالكون إلّا العالمون، والعالمون كلّهم هالكون إلّا العاملون، والعاملون كلّهم هالكون إلّا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم»(١).

من الشروط المهمة في عمل الإنسان أن يكون منصباً في رضا الله، وعندها فلن يكون درسه عقيدة ومسجداً فحسب، بل إن عمله سيكون أفضل الأعمال والعبادات الإسلامية. ولو لم يكن العمل خالصاً لله فهو، وإن أفاد المجتمع من الناحية الثقافية، لكنه يخلو من الثواب.

وعلى الإنسان في كل مكان أن يكون مخلصاً في الحياة سواء في البيت أم خارجه، لوّنوا أعمالكم بالإخلاص، واجعلوها مصبوغة به، كما يقول تبارك وتعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَـٰبِدُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٣٨].

وإذا تمكنت من ذلك فحينئذٍ سيكون لسلامك، أو عطفك على مسكين، أو إجابتك عن سؤال شخصي، أو أية خدمة صغيرة جداً تقوم

---

(١) نهج البلاغة.

بها، سيكون لها من الثواب ما قد يوجب لك الجنة. وعلى حدّ تعبير أستاذنا الكبير العلامة الطباطبائي (قدس سره الشريف): (إن الإخلاص كيمياء عجيبة، ما صبغ به شيء ولو كان حقيراً إلّا واكتسب قيمة عالية). والعكس صحيح أيضاً. فإن العمل حتى وإن كان كبيراً فإنه إذا لم يخالطه الإخلاص، لن يساوي جناح ذبابة!.

هناك آيات كثيرة يكون السبب في نزولها عمل بسيط في ظاهره فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] مديركم ووليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين وبالإضافة إلى الإيمان يهتمون بشأن الفقراء والضعفاء ويؤتون الزكاة وهم في أثناء الركوع.

وقد وضعت هذه الآية الشريفة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانب ولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولاية الله تعالى. وقد نزلت هذه الآية في شأن أمير المؤمنين عليه السلام، عندما كان عليه السلام في صلاة مستحبة فدخل فقير إلى المسجد ولم يعطه أحد شيئاً وأراد أن يخرج يائساً من المسجد، وكان الإمام علي عليه السلام في حال الركوع فمد يده، ففهم ذلك الفقير وأخذ الخاتم من إصبع علي، فنزلت هذه الآية الشريفة في هذه الأثناء. وأنا أظن بأن هذا الخاتم كان رخيص الثمن لأن المسلمين كانوا في ذلك الوقت في ضائقة عجيبة، ومن المعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام لا يتختم بخاتم غالي الثمن، إذ لم يكن من عادته عليه السلام أن يلبس شيئاً ثميناً، فقد كان لباسه من الكرباس، بسيطاً جداً، وكان حذاؤه بسيطاً جداً، والشيء الوحيد الذي لم يكن بسيطاً هو سيفه ذو الفقار الذي جاء به جبرائيل من عالم الغيب، وإلّا فإنّ جميع وسائل أمير المؤمنين عليه السلام كانت بسيطة

جداً، ومن جملتها خاتمه، ولكنه قد طلي بصبغة الإخلاص، ولقد أعطى هذا الخاتم قيمة بحيث إن عمر قال: أنا مستعد أن أعطي الدنيا إن كنت أملكها وقوافل الإبل إن كنت أملكها، وتكون هذه الآية نازلة في شأني.

وبعد هذه القضية تخيلوا بأن كل من يتصدق في الركوع تنزل في حقه آية! ولهذا كانوا يتصدقون أثناء الركوع ولم يعلموا بأنّ الحساب حساب آخر، ليس حساب التصدق بالخاتم في ركوع الصلاة بل حساب إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام. وإنصافاً إذا قيل بأنّ قيمة آية الولاية تعادل قيمة عالم الدنيا والآخرة لم يكن جزافاً. وإذا قيل بأنّ قيمة آية الولاية تساوي قيمة الجنة لم يكن خطأ وقد أعطى الله سبحانه هذه الآية لعلي عليه السلام ثواباً لأنّ علياً لم يعمل من أجل الثواب(١).

من قصص الإخلاص

السيد الرشتي يحصل على المقامات العالية بإطعام كلبة جائعة!!!

إن التعمق في الأعمال الصغيرة التي قام بها العظماء تظهر لنا كيف أدت بهم إلى مقام رفيع، محمود.

فقد كان السيد الرشتي من العلماء الكبار وقد قدّم للإسلام خدمات جليلة وقام ببناء مسجد السيد في أصفهان، وهو من أشهر مساجدها، وقبره الآن فيه، يذهب الناس إليه ويسألونه الحاجة، وكان في حياته مرجعاً مقتدراً، ومع أنه عاصر الملك فتح علي القاجاريّ، إلّا أن السيد

(١) الفضائل والرذائل للعلامة حسين مظاهري.

كان بالفعل هو الذي يدير دفة الحكم في أصفهان، وربما تيتمت ألف عائلة بموته وعلى حدّ قوله: إن هذه المنزلة وصلت إليه من أجل عطفه على كلبة، فقد كان طالباً وقد مرت عليه ثلاثة أيام لم يذق فيها الطعام فاستقرض من الذي يشاركه غرفته مبلغاً لشراء فطور فاشترى الطعام وكله رغبة فيه، فرأى في الطريق كلبة ترضع جراءها وقد جفت أثداؤها من شدة الجوع، فرق حاله لها فوضع أمامها الطعام بأجمعه فالتهمته، ثم قام بتطهير الإناء وإعادته إلى صاحبه، فلم تمض سوى بضعة أيام حتى جاءني كتاب من رشت فيه: (إن الحاج الفلاني قد ودّع الحياة وقد أوصى لك بثلثه) ولما نظرت إلى تاريخ الوصية وجدته يطابق اليوم الذي أطعمت فيه تلك الكلبة. وما حصل السيد على هذه المنزلة إلّا بسبب إخلاصه.

فلو أردتم الدنيا والآخرة فاصبغوا أعمالكم بصبغة الإخلاص لله، فعندما يذهب المعلم إلى قاعة الدرس لا يكون هدفه أن يحصل تلاميذه على درجات عالية ليمتدح من قبل وزارة التربية، بل ليذهب وهو على اعتقاد بأن هؤلاء الفتية أمانة بيده، وأن سعادة الجيل القادم رهن بهم، وأنه لو بذل جهداً في تعليمهم فسينالون درجات عالية تفرحهم وتسر آباءهم، وهذا الاعتقاد سيضفي لوناً آخر على الصف، وسترفع من قيمته بالدرجة التي لا يضارعه فيها حتى المسجد.

ثانياً: رذيلة الرياء

- عن السّكوني عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سيأتي على النّاس زمان تخبث فيه سرايرهم وتحسن فيه

علانيتهم طمعاً في الدّنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم»(١).

- رواية: يؤتى بشخص إلى المحشر فيسألونه: (ماذا قدمت)؟ فيقول: (كنت من المجاهدين، وفي المقدمة من الجيش وقد استشهدت في سبيل الله) فيقال له: صدقت فيما تقول إلّا أن عملك هذا لم يكن خالصاً لله بل لأجل السمعة والرياء ثم ينادى فيه القوه في جهنم.

إنّ الرياء بمستوى الكفر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ويخاطب المرائي يوم القيامة بالمشرك والكافر، قال تعالى في القرآن: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٤-٦].

توضيح النص: «هذا وعيد شديد لهم»، إذ الويل وادٍ في جهنم يسيل من صديد أهل النار وقيحهم وهو أشد العذاب إذ كانوا يغمسون فيه أو يطعمون ويشربون منه. ومعنى ﴿عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] أنهم غافلون عنها لا يذكرونها فكثيراً ما تفوتهم ويخرج وقتها وأغلب حالهم أنهم لا يصلونها إلّا عند قرب خروج وقتها هذا وصف آخر أنهم ﴿يُرَآءُونَ﴾ بصلاتهم وبكل أعمالهم أي يصلون وينفقون ليراهم

(١) وسائل الشيعة.

المؤمنون فيقولوا: إنهم مؤمنون وبالمراءاة يدرؤون عن أنفسهم القتل والسبي وثالث أنهم ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [المَاعون: ٧] فإذا استعار منهم مؤمن صحناً لحاجته له لا يعيرون ويعتذرون بمعاذير باطلة فلا يعيرون فأساً ولا منجلاً ولا قدراً ولا أيّة آنية أو صحن لأنهم يبغضون المؤمنين ولا يريدون أن ينفعوهم بشيء فيحرمونهم من إعارة شيء ينتفعون به ويردونه عليهم(١).

- وقال النبيّ ﷺ: «إنّ النّار وأهلها يعجّون من أهل الرّياء، فقيل: يا رسول الله كيف تعجّ النّار؟ قال: من حرّ النّار التي يعذّبون بها».

ولعل أحدنا يسأل ويتساءل أين صلاتنا وصيامنا...؟... أنا أقول: إذا كان هناك إخلاص في أي عمل بسيط يكون هو المنجي ولكن بشرطها وشروطها... ولذلك نجد روايات عنهم عليهم السلام فيها الثواب الجزيل والخلاص من نار جهنم...ولكن يجب المحافظة عليها من نيران الأعمال؟؟! ومن تلك **الروايات الشريفة**:

- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يؤتى بعبد يوم القيامة ليست له حسنة فيقال له: اذكر وتذكر هل لك حسنة؟ فيقول: ما لي حسنة غير أن فلاناً عبدك المؤمن مر بي فسألني ماء يتوضأ به ليصلي فأعطيته، فيدعى بذلك العبد المؤمن، فيقول: نعم يا رب، فيقول الرب جل ثناؤه: غفرت لك، أدخلوا عبدي جنتي.
- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: السلام سبعون حسنة تسع وستون للمبتدىء وواحدة للراد.

---

(١) كما جاء في أيسر التفاسير للجزائري.

- عن زريق عن الصادق عليه السلام قال: مصافحة المؤمن بألف حسنة[(١)].

أيها الأعزاء! إنّ الإخلاص كلمة مقدسة تشع بالنور، يشعر الإنسان بالحيويّة عندما يتصورها، وبعكسها كلمة الرياء فإنها مليئة بالشؤم والظلام، تبّاً للمرائي وهنيئاً للمخلص.

لتكن كلّ أعمالكم من الزواج والعمل وكسب الأموال لأهلكم بغية إسعادهم، وهكذا الذهاب إلى المدرسة وحتى أكل الطعام والنوم، خالصة لله، وعندها ستكتبون في عالم الملكوت (مخلصين). وكما أن الله يرفع المخلص ويحببه إلى القلوب،فكذلك هو يضع المرائي ويفضحه.

ختامه مسك

يا مُقيلَ الْعَثَراتِ يا ساتِرَ الْعَوْراتِ يا مُحْيِيَ الْأَمْواتِ يا مُنْزِلَ الآياتِ يا مُضَعِّفَ الْحَسَناتِ يا ماحِيَ السَّيِّئاتِ يا شَديدَ النَّقِماتِ. . . يا مَنْ إلَيْهِ يَهْرِبُ الْخائِفُونَ يا مَنْ إلَيْهِ يَفْزَعُ الْمُذْنِبُونَ يا مَنْ إلَيْهِ يَقْصِدُ الْمُنيبُونَ يا مَنْ اِلَيْهِ يَرْغَبُ الزّاهِدُونَ يا مَنْ إلَيْهِ يَلْجَأُ الْمُتَحَيِّرُونَ يا مَنْ بِهِ يَسْتَأْنِسُ الْمُريدُونَ يا مَنْ بِهِ يَفْتَخِرُ الْمحِبُّونَ يا مَنْ في عَفْوِهِ يَطْمَعُ الْخاطِئُونَ يا مَنْ إلَيْهِ يَسْكُنُ الْمُوقِنُونَ يا مَنْ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ. . . . سُبْحانَكَ يا لا إلهَ إلّا أنْتَ الْغَوْثَ الْغَوْثَ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ خَلِّصْنا مِنَ النّارِ يا رَبِّ يا ذَا الْجَلالِ وَالْإكْرامِ يا أرْحَمَ الرّاحِمينَ.

---

(١) مصدر الأحاديث من ١ - ٣: مشكاة الأنوار.

آثار لقمة الحرام
ولقمة الحلال

آثار لقمة الحرام ولقمة الحلال[1]

يعتبر الإنسان نباتاً من الأرض أنبته الله أي أخرجه منها، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نُوح: ١٧] ولا شك أنّ هذا الإنسان يأخذ خاصية الأرض بما فيها من معادن وغيرها وهذا واضح بأدنى تأمل، ومن أحكام هذه الأرض أنه كلما كانت أرضاً طيبة أي جيدة كان نباتها وزرعها حسناً وطيباً ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾ [الأعرَاف: ٥٨] وانطلاقاً من هذه الحقيقة يتقوم جسد الإنسان في صلاحه وفساده وأنه متى صلحت الأرضية التي تحمل هذه الروح تكون شفافة لا يكدرها شيء، فتنطلق في عالم الملكوت، ومن هنا حرم الله على الإنسان بعض الأشياء لما لها من ضرر على نفس البدن والروح فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعرَاف: ٣٣] **ومن أعظم الضرر على الإنسان هو لقمة الحرام ومن تلك الآثار:**

- (تحرمه من العروج إلى عالم الملكوت) حيث تحرمه من العروج

---

(١) مقتبس من موقع العلامة حسين العايش دامت بركاته.

إلى عالم الملكوت ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن كل طعام محرّم، أو فيه شبهة تحريم.

- (عدم قبول الصلاة) قال ﷺ: «من أكل لقمة حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[١].
- (عدم دخول الجنة) ويقول ﷺ: «إنّ الله حرم الجنة جسدًا غُذي بحرام»[٢]، أي أن الجسد الذي يكون غذاؤه حراماً لا يمكن أن يدخل الجنة بهذا الجسد لأنه نبات خبث، والخبث لا يكون في الجنة، لذا من شروط التوبة أن يذيب اللحم والشحم الذي نبت على العظم من الطعام المحرم، فيجعله ينمو من جديد بالطعام المحلل وليست المسألة هنا فقط بل إن تأثير اللقمة المحرمة كبير جداً، سواء كان في الأعمال العبادية أو في غيرها.
- (لعنة الملائكة) كما قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعت اللقمة من حرام في جوف العبد لعنه كل ملك في السماوات والأرض»[٣].
- (الأثر في عقب الإنسان) أما والعياذ بالله لو كان طعامه ومأكله من الحرام فإنه لا يؤثر في الإنسان نفسه بل حتى في عقبه وعياله ولو بعد حين، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الرجل إذا أصاب مالاً من حرام لن يقبل منه حج ولا عمرة ولا صلة رحم حتى أنه يفسد الفرج»[٤].

(١) عدة الداعي: ٣٣.
(٢) كنز العمال ٤: ١٤.
(٣) بحار الأنوار ١٠٠: ١٢
(٤) وسائل الشيعة ١٢: ٦١.

- (تصم الأسماع عن سماع الحق) بل من آثار لقمة الحرام أنها تصم الأسماع عن سماع الحق والتعقل به كما قال الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عن جيش ابن زياد: «إن لقمة الحرام ملأت بطونهم» فصدّهم ذلك عن الحق.

الأكل الحلال ينبت الإنسان نباتاً حسناً

قصة والد المقدس الأردبيلي قدس سرهما الشريف

وكلما كان الإنسان متحفظاً في مأكله وطعامه كان نباته حسناً وأعظم شيء يذكر في هذا المجال قصة المحقق الأردبيلي، فهو نتاج لقمة الحلال، وطهارة النطفة التي تعتبر أساساً لمخلوق جيد. فقد جاء والده إلى قناة يملأ قربته ماءً فرأى تفاحة تجري على الماء، فأخذها وأكلها، ولكنه وقف فجأة يفكر، كيف أكل التفاحة ولم يستأذن من صاحبها، فأخذ يعاتب نفسه على هذا التصرف الذي لا ينبغي صدوره منه، ولذا فكر في أن يمشي باتجاه معاكس لجريان الماء لعله يصل إلى صاحب التفاحة فيسترضيه على أكله لها، مشى مسافة حتى وصل إلى مزرعة التفاح فلقي صاحب المزرعة وكان عليه سيماء الصالحين فقال له: إن تفاحة كانت تجري على الماء في القناة فأخذتها وأكلتها أرجوك ارض عني! أجابه الرجل: كلا لن أرضى عنك.

قال: أعطيك ثمنها.

قال: لا وبعد الإصرار والإلحاح الشديدين وافق صاحب المزرعة أن يرضَ عنه ولكن بشرط واحد! قال الشاب: فما هو الشرط؟ أجاب الرجل: عندي ابنة عمياء، صماء، خرساء، مشلولة الأرجل إذا وافقت

أن تتزوجها أرضى عنك وإلّا فلا! فلما رأى الشاب أنه لا سبيل إلى جلب رضاه إلّا بالموافقة على هذا الشرط الصعب، دعاه إيمانه إلى الموافقة وهو يندب حظه، ويسترجع، أي يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون» على هذا البلاء العظيم جراء تفاحة. مضت الأمور كما يريد أبو البنت وقرأ العقد وتزوج الشاب، وعند دخوله على عروسه فوجىء بعروس ذات قامة ممشوقة وهي في غاية الجمال، إنها مواصفات مناقضة للمواصفات التي ذكرها له أبوها. فخرج الشاب مسرعاً (خشية حدوث خطأ في الزواج فتحدث له مشكلة أخرى) وإذا بالرجل ينتظره مبتسماً قال: خيراً إلى أين؟ قال الشاب: إن البنت التي ذكرت لي وصفها ليست هي العروس التي دخلت عليها؟! أجابه الرجل: إنها هي لأنني حينما وجدتك جاداً في جلب رضاي لأكلك تفاحة خرجت عن حيازتي، وسقطت في الماء وأخذها الماء مسافة بعيدة وجئت تطلب الحل، علمت أنك الشاب الذي كنت أنتظره منذ أمد لأزوّجه ابنتي الصالحة هذه، ولقد قلت لك: إنها عمياء خرساء فلأنها لم تنظر ولم تكلم رجلاً أجنبياً قط، وقلت لك: إنها مشلولة فلأنها لم تخرج من المنزل لتدور في الطرق، وإنها صماء فلأنها لم تستمع إلى غيبة أو غناء، أليست هذه فتاة مؤمنة يستحقها شاب مثلك؟ وكان ثمار هذا الزواج المبارك ولادة إنسان اشتهر في ورعه وتقواه وقربه إلى الله وحبه للنبي ﷺ ومودته العميقة لأهل البيت عليهم السلام وعرف عنه كثرة ملاقاته لمولانا صاحب العصر والزمان وهو المقدس الجليل الشيخ أحمد الأردبيلي. ولكي نعلم كيف صار الشيخ المقدس هكذا لننظر إلى أمه ماذا تقول حينما سُئلت كيف صار ولدها الشيخ بهذا المقام؟ فأجابت: إني لم آكل في حياتي لقمة

مشبوهة، وقبل إرضاع طفلي كنت مداومة على إسباغ الوضوء، ولم أنظر إلى رجل أجنبي بريبة قط، وسعيت في تربية طفلي أن أراعي النظافة والطهارة، وأن يصاحب الأولاد الصالحين.

ونحن حينما نتأمل هذه الحادثة العظيمة نعرف كيف يكون أثر لقمة الحلال وكيف يؤثر الاجتناب عن المحرمات، وردع النفس عن الاقتحام في الشبهات والمحظورات، فقد ورد عن النبي ﷺ: «ترك لقمة الحرام أحب إلى الله من صلاة ألفي ركعة تطوعاً»[١]. لما سأل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام النبي ﷺ قال: «ما أفضل الأعمال؟ قال: الورع عن محارم الله»[٢]، ويقول ﷺ: «لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلّا مخافة الله إلّا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة»[٣].

(١) عدة الداعي: ٦٥.
(٢) بحار الأنوار ٤٢: ١٩٠.
(٣) كنز العمال ١٥: ٧٨٧.

الغاية من الصوم

الغاية من الصوم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣].

تبتدئ[١] الآية بأُسلوب خطابي وتقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهو نداء يفتح شغاف القلب، ويرفع معنويات الإنسان، ويشحذ همته، وفيه لذة قال عنها الإمام الصادق عليه السلام: «لَذَّةُ مَا فِي النِّدَاءِ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ - أَزَالَ تَعْبَ الْعِبَادَةِ وَالعَنَاءِ»[٢].

الصوم في الأُمم السابقة[٣]

يظهر من النصوص الموجودة في التوراة والإنجيل، أن الصوم كان موجوداً بين اليهود والنصارى، وكانت الأُمم الأخرى تصوم في أحزانها ومآسيها، فقد ورد في قاموس الكتاب المقدس: «الصوم بشكل عام وفي جميع الأوقات كان متداولاً في أوقات الأحزان والنوائب بين جميع الطوائف والملل والمذاهب»[٤].

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - (ج ١ ص ٥١٨).
(٢) مجمع البيان في تفسير الآية.
(٣) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - (ج ١ ص ٥٢٤)/ بتصرف.
(٤) قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٢٧.

ويظهر من التوراة أن موسى عليه السلام صام أربعين يوماً، فقد جاء فيها: «أَقَمْتُ فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَا آكُلُ خُبزاً وَلَا أَشْرَبُ مَاءً»(١).

وكان اليهود يصومون لدى التوبة والتضرع إلى الله: «اليهود كانوا يصومون غالباً حينما تتاح لهم الفرصة للإعراب عن عجزهم وتواضعهم أمام الله، ليعترفوا بذنوبهم عن طريق الصوم والتوبة، وليحصلوا على رضا حضرة القدس الإلهي»(٢).

«الصوم الأعظم مع الكفارة كان على ما يبدو خاصاً بيوم من أيام السنة بين طائفة اليهود، طبعاً كانت هناك أيام أُخرى مؤقتة للصوم بمناسبة ذكرى تخريب أُورشليم وغيرها»(٣).

ويبدو من نصوص إنجيل «لوقا» أن حواريّي السيد المسيح صاموا أيضاً(٤).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أيضاً: «... من هنا كانت حياة الحواريّن والمؤمنين مملوءة بالابتعاد عن اللذات وبالأتعاب وبالصوم»(٥).

بهذا نستطيع أن نجد في نصوص الكتب الدينية القديمة (حتى بعد تحريفها) شواهد على ما جاء في القرآن الكريم ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾.

---

(١) التوراة، سفر التثنية، الفصل ٩، الرقم ٩.
(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٢٨.
(٣) نفس المصدر.
(٤) إنجيل لوقا، الإصحاح الخامس، الرقم ٣٥ - ٣٣.
(٥) قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٢٨.

الآثار التّربوية والاجتماعية والصحيّة للصوم[1]

للصوم أبعاد متعددة وآثار غزيرة مادية ومعنوية في وجود الإِنسان، وأهمها:

أولاً: البعد الأخلاقي والتّربوي[2]

من فوائد الصوم الهامة «تلطيف» روح الإِنسان، و«تقوية» إرادته، و«تعديل» غرائزه.

على الصائم أن يكف عن الطعام والشراب على الرغم من جوعه وعطشه، وهكذا عليه أن يكف عن ممارسة العمل الجنسي، ليثبت عملياً أنه ليس بالحيوان الأسير بين المعلف والمضجع، وأنه يستطيع أن يسيطر على نفسه الجامحة وعلى أهوائه وشهواته.

الأثر الروحي والمعنوي للصوم يشكل أعظم جانب من فلسفة هذه العبادة.

مثل الإنسان الذي يعيش إلى جوار أنواع الأطعمة والأشربة، لا يكاد يحس بجوع أو عطش حتى يمدّ يده إلى ما لذّ وطاب كمثل شجرة تعيش إلى جوار نهر وفير المياه، ما أن ينقطع عنها الماء يوماً حتى تذبل وتصفرّ.

أما الأشجار التي تنبت بين الصخور وفي الصحاري المقفرة، وتتعرض منذ أوائل إنباتها إلى الرياح العاتية، وحرارة الشمس المحرقة

---

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي.
(٢) نفس المصدر.

حيناً، وبرودة الجوّ القارصة حيناً آخر، وتواجه دائماً أنواع التحديات، فإنها أشجار قوية صلبة مقاومة.

والصوم له مثل هذا الأثر في نفس الإنسان، فبهذه القيود المؤقتة يمنحه القدرة وقوة الإرادة وعزيمة الكفاح، كما يبعث في نفسه النور والصفاء بعد أن يسيطر على غرائزه الجامحة.

بعبارة موجزة: الصوم يرفع الإنسان من عالم البهيمية إلى عالم الملائكة وعبارة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تشير إلى هذه الحقائق.

وهكذا الحديث المعروف: «الصَّوْمُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ»(١) يشير إلى هذه الحقائق.

وعن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن طريق مجابهة الشيطان، قال: «الصَّوْمُ يُسَوِّدُ وَجْهَهُ، وَالصَّدَقَةُ تكْسِرُ ظَهْرَهُ، وَالحُبُّ فِي اللهِ وَالْمُواظَبَةُ عَلَى الْعَمَلِ الصّالِحِ يَقْطَعُ دابِرَهُ، وَالاسْتغْفَارُ يَقْطَعُ وَتِينَهُ»(٢).

وفي نهج البلاغة عرض لفلسفة العبادات، وفيه يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وَالصِّيَام ابْتِلَاء لإِخْلَاصِ الْخَلْقِ»(٣).

وروي عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ لِلْجَنَّةِ بَاباً يُدعَى الرَّيَّان، لَا يَدْخُلُ فِيهَا إِلَّا الصَّائمُونَ»(٤).

---

(١) بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٥٦.
(٢) بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٥٥.
(٣) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٢٥٢.
(٤) مستدرك سفينة البحارج٦/ باب فضل الصيام/ للعلامة آية الله الشيخ علي النمازي.

يقول العلامة الصدوق (قدس سره الشريف) في «معاني الأخبار» معلقاً على هذا الحديث: إنما سُمي هذا الباب بالريّان لأن مشقة الصائم إنما تكون في الأغلب من العطش، وعندما يدخل الصائمون من هذا الباب يرتوون حتى لا يظمأوا بعده أبداً(١).

ثانياً: الأثر الاجتماعي للصوم(٢)

لا يخفى على أحد أن الصوم درس للمساواة بين أفراد المجتمع، الموسرون يحسّون بما يعانيه الفقراء المعسرون، وعن طريق الاقتصاد في استهلاك المواد الغذائية يستطيعون أن يهبوا لمساعدتهم.

قد يمكن تحسيس الأغنياء بما يعانيه الفقراء عن طريق الكلام والخطابة، لكن المسألة حين تتخذ طابعاً حسّيّاً عينيّاً لها التأثير الأقوى والأبلغ، الصوم يمنح هذه المسألة الهامة الاجتماعية لوناً حسياً، لذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام في جواب عن سؤال بشأن علّة الصوم: «إِنَّما فَرَضَ اللهُ الصِّيَامَ لِيَسْتَوي بِهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ، وَذَلِكَ أنَّ الْغَنِيَّ لَمْ يَكُنْ لِيَجِدَ مَسَّ الْجُوعِ فَيَرْحَمَ الْفَقِيرَ، وَإِنَّ الغَنِيَّ كُلَّمَا أَرَادَ شَيْئاً قَدَرَ عَلَيْهِ فَأَرَادَ اللهُ تَعَالى أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَأَنْ يُذِيقَ الْغَنِيَّ مَسَّ الْجُوعِ وَالْألَمِ، لِيَرُقَّ عَلَى الضَّعِيفِ وَيَرْحَمَ الْجَائِعَ»(٣).

ترى، لو أن الدول الغنية في العالم صامت عدّة أيّام في السنة وذاقت مرارة الجوع، فهل يبقى في العالم كل هذه الشعوب الجائعة؟!

---

(١) بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٥٢.

(٢) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٧، أول كتاب الصوم، ص ٣.

ثالثاً: الأثر الصحي للصوم(١)

أهمية «الإمساك» في علاج أنواع الأمراض ثابتة في الطبّ القديم والحديث. البحوث الطبّية لا تخلو عادة من الحديث عن هذه المسألة، لأن العامل الأساس في كثير من الأمراض الإسراف في تناول الأطعمة المختلفة. المواد الغذائية الزائدة تتراكم في الجسم على شكل مواد دهنية، وتدخل هي والمواد السكرية في الدم، وهذه المواد الزائدة وسط صالح لتكاثر أنواع الميكروبات والأمراض، وفي هذه الحالة يكون الإمساك أفضل طريق لمكافحة هذه الأمراض، وللقضاء على هذه الجراثيم المتراكمة في الجسم.

الصوم يحرق الفضلات والقمامات المتراكمة في الجسم، وهو في الواقع عملية تطهير شاملة للبدن، إضافة إلى أنه استراحة مناسبة لجهاز الهضم وتنظيف له، وهذه الاستراحة ضرورية لهذا الجهاز الحساس للغاية، والمنهمك في العمل طوال أيام السنة.

بديهي أن الصائم ينبغي أن لا يكثر من الطعام عند «الإِفْطار» و«السُّحُور» حسب تعاليم الإسلام، كي تتحقق الآثار الصحية لهذه العبادة، وإلّا فقد تكون النتيجة معكوسة.

عن رسول الله ﷺ قال: «صُومُوا تَصُحُّوا»(٢).

وعنه ﷺ أيضاً: «الْمعدَةُ بَيْتُ كُلِّ دَاء وَالْحِمِيَّةُ رَأْسُ كُلِّ دَوَاء»(٣).

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - بتصرف.
(٢) بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٥٥.
(٣) بحار الأنوار، ج ١٤، من الطبعة القديمة.

العالم الروسي «الكسي سوفورين» يقول في كتابه:

«الصوم سبيل ناجح في علاج أمراض فقر الدم، وضعف الأمعاء، والالتهابات البسيطة والمزمنة، والدمامل الداخلية والخارجية، والسل، والاسكليروز، والروماتيزم، والنقرس والاستسقاء، وعرق النساء، والخراز (تناثر الجلد)، وأمراض العين، ومرض السكر، وأمراض الكلية، والكبد والأمراض الأُخرى.

العلاج عن طريق الإمساك لا يقتصر على الأمراض المذكورة، بل يشمل الأمراض المرتبطة بأُصول جسم الإنسان وخلاياه مثل السرطان والسفليس، والسل والطاعون أيضاً»[١].

ثواب الصائم:

قال النبي ﷺ: «ما من مؤمن يصوم يوماً من شهر رمضان حاسباً محتسباً إلا أوجب الله تعالى له سبع خصال:

- يذوب الحرام من جسده.
- يتقرب إلى رحمة الله.
- يكفر خطيئته.
- يهون عليه سكرات الموت.
- أمنه الله من الجوع والعطش يوم القيامة.
- براءة من النار.

(١) كتاب «الصوم طريقة حديثة لعلاج الأمراض»، ص ٦٥، الطبعة الأُولى.

- أطعمه الله من طيبات الجنة»[١].

عن الإمام علي عليه السلام: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف، إنّ للصائم عند إفطاره دعوة لا ترد».

كيف يكون الصيام مقبولاً؟

حذرت روايات أهل العصمة عليهم السلام من صوم لا يقبله الله تعالى، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر»[٢].

والصوم المقبول هو ما تحقق فيه أمران:

١ - صوم الجسد.

٢ - صوم النفس.

- في الحديث: صوم الجسد الإمساك عن الأغذية بإرادة واختيار خوفاً من العقاب ورغبة في الثواب والأجر، صوم النفس إمساك الحواس الخمس عن سائر المآثم، وخلو القلب من جميع أسباب الشر.
- قال الإمام علي عليه السلام: «الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب»[٣].
- قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: «ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه»[٤].؟!

---

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام - الشيخ الشريفي.
(٢) مجموعة ورام ج٢/ ص٢٠٠ لورام بن أبي فراس.
(٣) بحار الأنوار، للمجلسي ٩٦: ٢٩٤.
(٤) بحار الأنوار، للمجلسي ٩٣: ٢٩٥.

- قال رسول الله ﷺ، لامرأة صائمة تسب جارية لها، فدعاها النبي ﷺ لطعام فامتنعت لكونها صائمة: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟ إنّ الصوم ليس من الطعام والشراب، وإنما جعل الله ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصائم، ما أقل الصوّام وأكثر الجوّاع.

سلب الروح الإنسانية (الحياء)
من الرجال والنساء
كيف ولماذا؟

سلب الروح الإنسانية (الحياء) من الرجال والنساء كيف ولماذا؟

نقل «. . . عن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه: ما خير النساء[١]؟

فلم يدرِ الحاضرون ما يقولون، فسار عليٌّ عليه السلام إلى فاطمة فأخبرها بذلك.

فقالت: فهلّا قلت له: خير لهنَّ ألا يرين الرجال ولا يرونهن.

فرجع الإمام علي عليه السلام فأخبره بذلك.

فقال رسول الله ﷺ: من علمك هذا؟ قال: فاطمة عليها السلام فقال رسول الله ﷺ: إنّها بضعة مني.

يظهر من هذا الحديث أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام رغم ما كان يتمتع به من مقام عظيم في العلوم والمعارف الذي اعترف به الصديق والعدو وأنّه باب مدينة علم الرسول الأكرم ﷺ إلّا أنه كان يستفيد أحياناً من علم زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ

(١) الزهراء عليها السلام ص ٣٧ لمكارم الشيرازي.

طَآئِفَةً مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[1] [القصص: ٤].

إن المفسرين إجمالاً يقولون بأن فرعون كان يذبّح أبناءهم بعد أن اطمأن بمجيء الذي سيذهب بعرشه، ولكن بعض المحققين وبعض أهل الذوق قالوا: إنّ فرعون كان يسلب روح الإنسانية والرجولة من الرجال والأبناء، ويقدم للمجتمع نساءً بدون حياء.

إنّ إحدى أعمال فرعون كانت تكمن في تخريب وتدمير النسل والحرث القادم، وإفساد النساء بعد تجريدهن من الحياء بطرق مختلفة خبيثة.

لقد قسّمت الروايات الحياء لنا على عشرة أقسام، وسعة منها للمرأة، وقسم واحد للرجل، ولكن انظر ما الذي يحدث حينما تذهب هذه الأقسام التسعة من المرأة؟.

إنها سوف تجرؤ على فعل المحرمات، وتجرؤ على الخروج من منزلها معطّرة، متبّرجة، لا تلبس إلّا الشفاف من الجوارب، وعندما تصل إلى سوق المدينة تراها توزّع الابتسامات هنا وهناك، وتمزح مع هذا، وتضحك مع ذاك بدون رادع، لأنها فقدت حياءها الذي كان يردعها عن فعل ذلك - والعياذ بالله.

الويل والثبور لذلك المجتمع، ولتلك المرأة! إن فرعون تمكن من

(١) من هنا إلى نهاية الكلمة أو المحاضرة هو كلام العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه من كتابه الموسوم الأخلاق البيتية والشيخ علي عيسى أعزه الله من كتابه حجاب المرأة المؤمنة ولكن بتصرف من المحاضر (الأحقر يوسف الناجي) بتقديم أو تأخير أو حذف عبارات ولكنها لم تؤثر على مضمون النص بصورة عامة.

جرّ نساء زمانه إلى مثل هذه الحالة لكي يوطّد أركان حكومته، ولكي يتمكن من بسط سلطته على الناس ضمن حسابات مستقبل الجيل الذي كان يعيش آنذاك، والجيل الذي سيأتي من بعده.

وهذا ما نراه معمولاً به في هذه الأيام، حيث يسعى المستعمرون والمستغلّون إلى ترتيب أوضاع الجيل القادم بالشكل الذي يجعل منهم مطايا لهم يركبونها متى شاؤوا، وينزلون عنها متى رغبوا في النزول.

عندما يتمكن أعداء الإنسانية من إذهاب حياء النساء، وإشغالهن بالشهوات وبعد أن يتمكنوا من قتل رجولة الرجال وسحق غيرتهم بحيث يضحى الواحد منهم لا يتحرك له ساكن حينما ينظر محرم إلى ابنته بشهوة، عندها يجب أن نقرأ الفاتحة على هكذا مجتمع.

يقول العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه: قرأت في زمن الطاغوت - الشاه - في إحدى المجلات أنّ إحدى نجمات السينما من اللواتي خرجن على الحياء كانت تسير مع زوجها في الشارع، فجاء إليها جمع من المصوّرين لتصويرها وهي تلبس فستاناً أشبه ما يكون بلباس النوم الشفاف، وعندما فتحت أزرار ذلك الفستان لتبدي صدرها، أسرع المصوّرون وطافوا حولها لكي يمنعوا الناس من مشاهدتها، بعد ذلك التفتت إلى زوجها - الغيور جداً - لتقول: عجباً لإبداء هذه النجابة الحمقاء من قبل هؤلاء المصوّرين! أي كانت تريد القول إنها ترغب في الظهور عارية أمام المجتمع، وما شدّها لأزرار الفستان إلا كُرهاً وجبراً، ولو كان الأمر يقتصر عليها لبدت بدون ذلك الفستان.

وبناء على هذا فسّر بعض المحققين الآية ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤] **على أن فرعون أراد إذهاب روح الرجولة من الوسط الرجولي، وإذهاب الحياء من النساء لماذا؟ أو قل ما هي نتائج هذا الانحلال؟**

١ - كي يتمكن الفراعنة من التسلّط على رقاب الناس بسهولة وليس هذا الجيل بل سحق الجيل التالي على الأقل معنوياً وروحياً ليضحى متنكراً للفطرة السليمة.

٢ - وحينما ينحطّ الجيل لا يتأتى له التفكير بتشكيل الأسرة والتي بدورها تربي وتنشئ فتيات وشباناً صالحين... لأنّ الجيل السليم يمكن أن يأتي بالتمدن، والجيل السليم يتحرق لمجتمعه، وكذا يمكن له أن يعمّر البلاد، ويرفع من مستوياته العلمية.

٣ - إنشاء جيل وضيع وبدوره هذا الجيل الوضيع، والمريض نفسياً - وهو مراد الصهاينة - لا يمكن أن يقدم غير الشرّ والبغي والظلم.

٤ - ونتيجة أخرى تجد الزوجات يتمردن على الأزواج...لعدم الوازع الديني والخلقي قال: إنّ أحد السادة صعد المنبر ليقول: من كان غير راضٍ عن زوجته فليقف، فوقف الجميع باستثناء رجل واحد ظل جالساً في مكانه، عندها صاح الذي على المنبر من شدة فرحته: الحمد لله وجدنا من هو راضٍ عن زوجته، ولكن لم تمضِ إلّا لحظة حتى صاح الجالس: كلا، أيها السيد! إن امرأتي كسرت إحدى قدميّ لذا لم أتمكن من القيام.

سؤال: من الصانع لهذه الأفكار والتميع وسحق الرجولة وسلب الحياء من النساء؟

إن البرامج الصهيونية ومن ورائها الاستكبار العالمي تركّز على مسألة تضييع النسل والجيل القادم في غياهب الظلم والجور والفساد، وهذا ما تأكد لنا من مقولة الصهاينة التي يسعون دائماً لإدخالها حيّز التنفيذ، ألا وهي: قتل ثُلثي العالم من أجل جرّ الثلث الثالث على مذهب «دوركهيم».

ودوركهيم هذا كان صهيونياً، أو جرّه إلى مذهب ماركس، وهو من كان يعتقد بشيوعية الجنس، وكان هو الآخر يهودياً، أو مذهب فرويد اليهودي أو نيتشه اليهودي.

سؤال: هل الرجل يتحمل مسؤولية انحلال الأسرة؟

الجواب: الرّجل له نصيب العذاب الكبير إن ساير زوجته أو ابنته أو أخته في ذلك التبرّج والانحلال لأنّه شريك ومعين.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: من أطاع امرأته أكبّه الله على وجهه في النّار، قيل: وما تلك الطّاعة؟ قال: تطلب إليه... والثياب الرّقاق أي والثياب الرقاق تخرج بها المرأة فيراها الآخرون من الرجال(١).

إنّ خير ما نختم به هو موقف من مواقف عفاف سيّدة النساء فاطمة الزهراء (عليها أفضل الصلاة والسلام): فعن موسى بن جعفر، عن

(١) البحار ج١٠٣ ص٢٤٣ ب٦١ ح١١.

آبائه (عليهم السلام) قال: قال علي (عليه السلام): استأذن أعمى على فاطمة (عليها السلام) فحجبته، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها: لِمَ حجبته وهو لا يراك؟ فقالت (عليها السلام): إن لم يكن يراني فإنّي أراه وهو يشمّ الرّيح، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أشهد أنّك بضعة منّي.

اللهم نقسم عليك بأولاد الحسين (عليهم السلام) إلّا جعلت بيوتنا، وأزواجنا، وأبناءنا مبعثاً للسرور والبهجة والحبور، اللهم اسبغ على بيوتنا الهدوء والسكينة.

اللهم نقسم عليك بعزتك وجلالك أن تمنّ علينا بأبناء صالحين مؤمنين ونساء خيّرات مؤمنات واحشرنا معهم في الآخرة كما كنّا نعيش معهم في الدنيا إنك أنت أرحم الراحمين وصلّ اللهم على محمّد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

طبقات الناس
من حيث درجات
الانقطاع إلى الله سبحانه

طبقات الناس من حيث درجات الانقطاع إلى اللّه سبحانه(١)

الناس من حيث درجات الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى، والإعراض عن هذه النشأة الدنيوية، على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: «إنسان تام الاستعداد، يمكنه الانقطاع قلباً عن هذه النشأة، مع تمام الإيقان باللازم من المعارف الإلهية، والتخلّص إلى الحقّ سبحانه وهذا هو الذي يمكنه شهود ما وراء هذه النشأة المادّية، والإشراف على الأنوار الإلهية، كالأنبياء عليهم السلام».

وهؤلاء هم الذين عبّر عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٥-٧].

والظاهر أنّ المراد رؤيتها قبل يوم القيامة، رؤية البصيرة، وهي رؤية القلب، على ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥] وهذه هي طبقة المقرّبين.

---

(١) نقلاً عن كتاب التقوى في القرآن لآية الله العظمى المحقق الكبير السيد كمال الحيدري دامت بركاته ص٥٤ - ٥٨ وعليه لم نخرج أرقام الآيات ولا مصادر الأحاديث و. . . الخ.

الطبقة الثانية: «إنسان تامّ الإيقان، غير تام الانقطاع من جهة ورود هيئات نفسانية وإذعانات قاصرة، تؤيسه أن يذعن بإمكان التخلّص إلى ما وراء هذه النشأة المادّية، وهو فيها.

فهذه طبقة تعبد الله كأنّها تراه، فهي تعبد عن صدق من غير لعب، لكن من وراء حجاب إيماناً بالغيب، وهم المحسنون في عملهم. وقد سُئل رسول الله ﷺ عن الإحسان، فقال: «أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك».

والفرق بين هذه الطبقة وسابقتها، فرق ما بين «إنّ» و«كأنّ» وهذا مقام الخلّص من أصحاب رسول الله ﷺ. عن إسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: إنّ رسول الله ﷺ صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق برأسه مصفرّاً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه. فقال له رسول الله ﷺ: كيف أصبحت يا فلان؟

قال: أصبحت يا رسول الله مؤمناً موقناً. فتعجب رسول الله ﷺ من قوله: (فقد أخبر بشيء نادر الوقوع) وقال: إنّ لكلّ يقين حقيقة فما هي حقيقة يقينك؟

فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي، وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون، وعلى الأرائك متّكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النار، وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: هذا عبدٌ نوّر الله قلبه بالإيمان، ثمّ قال له: الزم ما أنت عليه. فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك. فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر، وكان هو العاشر».

وهذه الطبقة هم الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بخطبة همّام، حيث قال: «فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نُزّلت أنفسهم منهم في البلاء، كالتي نُزِّلت في الرخاء. ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم، لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طَرفة عين، شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها معذَّبون.

قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة. صبروا أيّاماً قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة، يسّرها لهم ربّهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم فَفَدوا أنفسهم منها. أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونها ترتيلاً، يحزّنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم».

الطبقة الثالثة: «غير أهل الطبقتين الأوليين من سائر الناس وعامّتهم. وهذه الطائفة باستثناء المعاند والمكابر والجاحد، طائفة يمكنها الاعتقاد بالعقائد الحقّة الراجعة إلى المبدأ والمعاد، والجريان عملاً على طبقها في الجملة لا بالجملة. وذلك من جهة الإخلاد إلى

الأرض واتباع الهوى وحبّ الدنيا، فإنّ حبّ الدنيا وزخارفها يوجب الاشتغال بها، وكونها هي المقصودة من حركات الإنسان وسكناته. وذلك يوجب انصراف النفس إليها، وقصر الهمّة عليها، والغفلة عمّا وراءها، وعمّا توجبه الاعتقادات الحقّة من الأحوال والأعمال، وذلك يوجب ركودها ووقوفها (أعني الاعتقادات الحقّة) على حالها، من غير تأثير لها وفعلية للوازمها، وجمود الأعمال والمجاهدات البدنية على ظاهر نفسها وأجسادها، من غير سريان أحوالها وأحكامها إلى القلب، وفعلية لوازمها، وهذا من الوضوح بمكان. مثال ذلك: إنّنا لو حضرنا عند ملك من الملوك، وجدنا من تغيّر حالنا وسراية ذلك إلى أعمالنا البدنية، من حضور القلب والخشوع والخضوع ما لا نجده في الصلاة البتة، وقد حضرنا فيها عند ربّ العالمين. ولو أشرف على شخصنا ملك من الملوك، وجدنا ما لا نجده في أنفسنا، ونحن نعتقد أنّ الله سبحانه يرى ويسمع، وأنّه أقرب إلينا من حبل الوريد، ونعتمد على الأسباب العادية التي تخطئ وتصيب، اعتماداً لا نجد شيئاً منه في أنفسنا، ونحن نعتقد أنّ الأمر بيد الله سبحانه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ونركن إلى وعد إنسان أو عمل سبب، ما لا نركن جزءاً من ألف جزء منه إلى مواعيد الله سبحانه، فيما بعد الموت والحشر والنشر، وأمثال هذه التناقضات لا تحصى في اعتقاداتنا وأعمالنا، وكلّ ذلك من جهة الركون إلى الدنيا.

وهذه الطائفة لا يمكنها الانقطاع إلى الله سبحانه، أزيد من الاعتقادات الحقّة الإجمالية، ونفس أجساد الأعمال البدنية التي توجب توجّهاً ما وقصداً ما في الجملة إلى المبدأ سبحانه في العبادات.

ومن هنا يتبيّن أنّ تربية الطبقات الثلاث، ليس على حدّ سواء، بل هناك أمور مشتركة ومختصّة، فالمشتركة هي الأحكام النظرية والعملية العامّة، التي لا يمكن إهمالها بالنسبة إلى طبقة من الطبقات، من الواجبات والمحرّمات.

أمّا المختصّة، فهي التي توجد في الأولى مثلاً، ولا توجد في الثالثة، فربّ مباح أو مستحبّ أو مكروه بالنسبة إلى الثالثة، هو واجب أو محرّم بالنسبة إلى الأولى، فحسنات الأبرار سيّئات المقرّبين.

من هنا فإنّ هذه الطبقة تختصّ بأمور وأحكام غير موجودة في الثانية والثالثة، ولا غير هذه الطبقة تكاد تفهم شيئاً من تلك المختصّات ولا يهتدي إلى طريق تعليمها. وذلك كلّه لمكان ميز طبقتهم وأساسها المحبّة الإلهية دون محبّة النفس، فالفرق بينها وبين الآخرين في نحو العلم والإدراك، دون قوّته وضعفه وتأثيره وعدمه».

عقوبة قاتل العمد

عقوبة قاتل العمد(١) (٢)

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

إنّ جريمة قتل الإنسان من أعظم وأكبر الجرائم وأخطر الذنوب، وإنّ التهاون في مكافحة مثل هذه الجريمة يهدد أمن المجتمع وسلامة أفراده، الأمن الذي يعتبر من أهم متطلبات المجتمع السليم، لذلك فإنّ القرآن الكريم قد تناول هذه القضية في آيات مختلفة بأهمية بالغة، حتى أنّه اعتبر قتل النفس الواحدة قتلاً للناس جميعاً، إلّا أن يكون القتل عقاباً لقتل مثله أو عقاباً لجريمة الإفساد في الأرض حيث يقول القرآن في هذا المجال: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وقد قررت الآية - موضوع البحث - أربع عقوبات أُخروية لمرتكب القتل العمد، وعقوبة أُخرى دنيوية هي القصاص، والعقوبات الأخروية هي:

---

(١) مقتبس من تفسير الأمثل للفقيه آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي ج٣/ تفسير الآية أعلاه/ بتصرف وأضافت الروايات دية أنواع القتل من الكتب الفقهية.

(٢) ألقيت المحاضرة إثر جريمة قتل في١٥/ ٦/ ٢٠١١ في المنطقة التي نؤم المصلين فيها/ حسينية الإمام الحسين عليه السلام.

١ - الخلود والبقاء الأبدي في نار جهنم، حيث تقول الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣].

٢ - إحاطة غضب الله وسخطه بالقاتل: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ...﴾ قال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

٣ - الحرمان من رحمة الله: (ولعنه).

٤ - العذاب العظيم الذي ينتظره يوم القيامة: ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

والملاحظ هنا أن العقاب الأخروي الذي خصّصه الله للقاتل في حالة العمد، هو أشدّ أنواع العذاب والعقاب بحيث لم يذكر القرآن عقاباً أشدّ منه في مجال آخر أو لذنب آخر.

أمّا العقاب الدنيوي الذي وردت تفاصيله في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٩].

جريمة القتل العمد والعقاب الأبدي:

يرد سؤال في هذا المجال، وهو أن الخلود في العذاب قد ورد بالنسبة إلى من يموت كافراً، بينما قد يكون مرتكب جريمة القتل العمد مؤمناً، كما يحتمل أن يندم على ما ارتكبه من إثم ويتوب عن ذلك في الدنيا، ويسعى إلى تعويض وتلافي ما حصل بسبب جريمته، فكيف إذن يستحق مثل هذا الإنسان عذاباً أبدياً وعقاباً يخلد فيه؟

إنّ جواب هذا السؤال يشتمل على ثلاث حالات هي:

الأولى: قد يكون المراد بقتل المؤمن - الوارد في الآية موضوع البحث - هو القتل بسبب إيمان الشخص، أي استباحة دم المؤمن،

وواضح من هذا أنّ الذي يعمد إِلى ارتكاب جريمة قتل كهذه إنما هو كافر عديم الإِيمان، وإلّا كيف يمكن لمؤمن أن يستبيح دم أخيه المؤمن؟ وبناءً على هذا يستحق القاتل الخلود في النار ويستحق العذاب والعقاب المؤبد، فقد ورد في كتاب الكافي وتفسير العياشي في تفسير هذه الآية عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إنّ من قتل مؤمناً على دينه فذلك المتعمد الذي قال الله تعالى في كتابه عنه: ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

الثانية: كما يحتمل أن يموت مرتكب جريمة القتل العمد مسلوب الإِيمان بسبب تعمده قتل إِنسان مؤمن بريء، فلا يحظى بفرصة للتوبة عن جريمته، فينال في الآخرة العذاب العظيم المؤبد.

الثالثة: ويمكن أيضاً - أن يكون المراد بعبارة «الخلود» الواردة في الآية هو العذاب الذي يستمر لآماد طويلة وليس العذاب المؤبد.

ويمكن أن يطرح سؤال آخر - في هذا المجال - وهو هل أنّ جريمة القتل العمد قابلة للتوبة؟!

لقد ردّ جمع من المفسّرين بالنفي صريحاً على هذا السؤال، وقالوا: إن هذه الجريمة التي ورد ذكرها في الآية موضوع البحث غير قابلة للتوبة مطلقاً، حيث أشارت الروايات الواردة في هذا الأمر إِلى ذلك، فقد صرحت الروايات بأن لا توبة لقاتل المؤمن عمداً.

ولكن الذي نستنتجه من روح التعاليم الإِسلامية، وروايات الأئمّة عليهم السلام، وغيرهم من علماء الدين الكبار، وكذلك من فلسفة التوبة القائمة على أساس التربية والوقاية من الوقوع في الذنوب والخطايا في مستقبل الفرد المسلم... المستخلص من ذلك كله هو أنه لا يوجد ذنب

غير قابل للتوبة، لكن التوبة من بعض الذنوب تكون مقيدة بشروط قاسية جداً يصعب بل يستحيل أحياناً على الفرد تحقيقها.

والدليل على هذا الأمر هو قول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء: ٤٨].

وقد قلنا في تفسير هذه الآية: إِنّها وردت في شأن العفو عن الذنوب بواسطة الشفاعة وما شاكل ذلك، ولكن المعروف أنّه حتى الشرك - ذاته - يعتبر من الجرائم والذنوب القابلة للتوبة، إِذا تخلى الإِنسان عنه وعاد فآمن بالله الواحد الأحد وأسلم وجهه لله، كما حصل للجاهليين الذين تخلوا عن شركهم وقبلوا الإِسلام وتابوا إِلى الله فعفا عنهم وغفر لهم ذنوبهم السابقة.

ويتبيّن من هذا العرض الموجز أنّ كل الذنوب - حتى الشرك - قابلة للتوبة، وتؤكد على ذلك الآيتان - من سورة الزمر حيث يقول تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

وقد ذكر بعض المفسّرين أنّ الآيات التي تتحدث عن غفران جميع الذنوب هي آيات عامّة قابلة للتخصيص - ولكن لا يمكن الحكم بصحة هذا القول، لأنه يتناقض ومنطق هذه الآية التي اعتبرت التوبة نعمة ومنة من الله على المذنبين، وأكدت ذلك بالقرائن، لذلك لا يمكن تخصيص هذه الآيات، فهي - كما في الاصطلاح - تأبى التخصيص.

إِضافة إِلى ذلك كلّه فقد يحتمل أن يلجأ مرتكب القتل العمد إِلى التوبة، ويخلص الطاعة لله في بقية عمره، ويتجنب ارتكاب الذنوب ولا

يعصي الله بعد ذلك، ولا يعمد إلى ارتكاب جريمة قتل مشابهة، فهل يصح أن ييأس التائب - في مثل هذه الحالة - من رحمة الله وعفوه ومغفرته؟ وهل يجوز القول بأن هذا الشخص مع توبته وندمه سيبقى مشمولاً بعذاب الله المؤبد؟ إنّ القول برفض توبة إنسان كهذا يكون مخالفاً لروح التعاليم الدينية السامية التي جاء بها الأنبياء لتربية البشر وهدايتهم في جميع مراحل التاريخ.

والذي نلاحظه في تاريخنا الإسلامي، هو أنّ النّبي ﷺ قد عفا عن أخطر المجرمين من أمثال «وحشي» الذي قتل «حمزة بن عبد المطلب» عم النّبي ﷺ وقبل النّبي توبته، وكذلك لا يمكن القول بأن ارتكاب جريمة القتل في حال الشرك يختلف عنه في حال الإيمان، بحيث يقال باحتمال التغاضي والعفو عن الجريمة في الحالة الأُولى، وعدم احتماله في حالة الإيمان، وقد سبق أن علمنا أن ليس هناك ذنب أعظم من الشرك بالله، وعرفنا أنّ هذا الذنب - أيضاً - قابل للتوبة وأنّ الله يعفو عن المشرك إذا تاب عن شركه واعتنق الإسلام... فكيف - والحالة هذه - يمكن القول بأنّ جريمة القتل العمد - التي لم يذكر القرآن أنّها أعظم الجرائم ليست قابلة للتوبة أو العفو؟

إنّ قولنا بأنّ جريمة قتل العمد قابلة للتوبة والعفو لا يقلّل من عظم خطورة هذه الجريمة، وقبول التوبة في هذا المجال لا يعني أنّ التوبة متيسرة بسيطة في مثل هذه الحالة، بل إنّها من أصعب الأُمور، وهي إن أُريد تحقيقها - تحتاج إلى بذل وتضحيات كبيرة للتعويض عما خلفته الجريمة من آثار خطيرة وسيئة على المجتمع، والتعويض في هذا المجال ليس بالأمر اليسير ولكننا أردنا من ذلك أن نبيّن أن باب التوبة ليس مغلقاً

على من تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى، حتى لو كان قد ارتكب في وقت من الأوقات جريمة كالقتل المتعمد.

الروايات التي تبيّن عقوبة القاتل ومن تسبّب بالقتل

- قال النبي ﷺ: «من أعان على قتل مؤمن ولو بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوباً على جبهته آيس من رحمة الله»(١). وقال النبي ﷺ: «ما عجّت الأرض إلى ربها كعجّتها من دم حرام يسفك عليها»(٢).
- وقال عليه السلام: «لو أنّ أهل السماوات السبع وأهل الأرضين السبع اشتركوا في دم مؤمن لكبَّهم الله جميعاً في النار»(٣).
- وفي حديث عنه ﷺ أنه قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم»(٤).
- وقال ﷺ أيضاً: «لو أن رجلاً قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأُشرك في دمه»(٥).
- وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً»(٦).

---

(١) وصول الأخيار إلى أصول الأخبار - والد البهائي العاملي.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) من تفسير المنار، الجزء الخامس، ص ٣٦١.
(٥) نفس المصدر.
(٦) جامع الأخبار.

● وقال عليه السلام: «لا يوفق قاتل المؤمن للتوبة أبداً» [(١)].

ما هي أنواع القتل؟

لقد قسم الفقهاء القتل إلى ثلاثة أنواع: كما ورد في كتب القصاص والديات، وقد استندوا في هذا التقسيم على ما استلهموه من الآيات القرآنية والروايات والأحاديث الواردة في هذا المجال... وهذه الأنواع هي:

١ - القتل العمد.

٢ - القتل شبه العمد.

٣ - القتل الخطأ.

والقتل العمد هو الذي يحصل باستخدام وسائل القتل مع وجود سبق إصرار على ارتكاب هذه الجريمة، مثل أن يعمد إنسان إلى قتل إنسان آخر مستخدماً في ذلك وسائل كالسكين أو العصا أو الحجارة أو غير ذلك من الوسائل القاتلة.

أمّا القتل شبه العمد فهو الذي يكون مسبوقاً بإصرار القاتل على إيذاء القتيل دون استهداف قتله، فيؤدي الإيذاء إلى القتل، كأن يضرب شخص شخصاً آخر، دون أن يقصد قتله، فيؤدي الضرب إلى قتل المضروب.

والقتل الخطأ هو القتل الذي يحصل دون أن يكون لدى القاتل سبق إصرار على ارتكاب هذه الجريمة، ولم يكن يهدف إلى إيذاء القتيل،

(١) من تفسير المنار، الجزء الخامس، ص ٣٦١.

ويحدث هذا - مثلاً - لدى محاولة إِنسان اصطياد بعض الحيوانات بنوع من أنواع السلاح، فبدل أن يقع السلاح في الحيوان يقع سهواً على إِنسان آخر فيقتله.

وقد وردت الأحكام المختلفة لهذه الأنواع الثلاثة من القتل في الكتب الفقهية.

رذيلتا الرياء ومنع الزكاة

رذيلتا الرياء ومنع الزكاة

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٦-٧].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾.

الرياء: إراءة الشيء للغير على خلاف واقعه: كإراءة أنّ صلاته وصيامه لله، وليس كذلك(١).

والمراءى به تارة يكون من حالات البدن: كإظهار الحزن والضعف والتحوّل ونحوها، وأخرى من قبيل الزّي: كالهيئة وكيفية الشّعر واللباس، وثالثة: من قبيل القول والكتابة ونحوهما، ورابعة: من قبيل العمل، وخامسة: من قبيل الرفقة والأصحاب والزائرين والمزورين وغيرهم فجميع ذلك ممّا يمكن للإنسان الرياء فيها.

وأيضاً الرياء يكون تارة في أصول العقائد: كالرياء في أصل إظهار الإيمان فيكون صاحبه منافقاً كافراً في الباطن متظاهراً بالإسلام، وهو أشدّ من الكفر في الظاهر والواقع.

وأخرى في أصول العبادات: كإتيان الواجبات ظاهراً مع تركها في الباطن. وثالثة في العبادات المندوبة: كالنوافل وقراءة القرآن والأدعية.

(١) دروس في الأخلاق.

ورابعة في أوصاف العبادات: كالإسراع إليها، وحضور الأمكنة المتبرّكة، وتحرّي الأزمنة الشريفة، والحضور في الاجتماعات.

من المؤكّد أنّ أحد عوامل التظاهر والرياء عدم الإيمان بيوم القيامة، وعدم الانشداء بطلب[١] الثواب الإلهي. وإلّا كيف يمكن للإنسان أن يترك مثوبة الله ويتجه إلى النّاس ليتزلف إليهم؟!

التظاهر والرياء بلاء اجتماعي كبير وقيمة كلّ عمل تتوقف على دافعه، وبالتعبير الإسلامي، أساس كلّ عمل نية عامله.

الإسلام يركز على النية في تقويم الأعمال. لذلك ورد عن رسول الله ﷺ قال: «إنّما الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى».

وجاء في ذيل هذا الحديث: «فمن غزا ابتغاء ما عند الله فقد وقع أجره على الله عزّ وجلّ ومن غزا يريد عرض الدنيا أو نوى عقالاً لم يكن له إلّا ما نوى».

شهيد الحِمار[٢]

كان هناك رجل قد خرج مع المسلمين إلى المعركة، طمعاً في حمار كان في جبهة العدو. ولكن الدائرة دارت عليه فقتله صاحب الحمار، وهكذا خسر دنياه وآخرته.

ولذلك فإن رسول الله ﷺ وقف عليه وقال: هذا شهيد الحمار

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي بتصرف.
(٢) قيم التقدم في المجتمع الإسلامي ص ٥٠ لآية الله العظمى محمد تقي المدرسي دام ظله - بتصرف.

ومثل هذا في الحياة كثيرون، حيث تكون نتيجة جهدهم هباءً منثوراً. قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وهذا يعود إلى أنّ النية هي التي تصوغ شكل العمل دائماً. من كان يعمل لله جعل أساس عمله مستحكماً، وسعى بكل جهده إلى أن يستفيد منه النّاس أكثر الاستفادة.

لكن المتظاهر المرائي يكتفي بزخرفة الظاهر وتنميقه من دون أن يهتم بعمق العمل وباطنه وبحاجة المحتاجين إليه.

المجتمع الذي يتعوّد على الرياء لا يبتعد عن الله وعن الأخلاق الحسنة والملكات الفاضلة فحسب، بل تصبح كلّ برامجه الاجتماعية فارغة خالية المحتوى، لا تتعدى مجموعة من المظاهر، وإنّها لمأساة أن يكون مصير الفرد ومصير المجتمع بهذا الشكل.

الرّوايات والآيات في ذم الرياء كثيرة، بعضها وصفته بأنّه نوع من الشرك. وقد ورد في تحريمه وذمّه آيات: كقوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤].

الروايات:

١ - عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل: اجعلوها في سجين، إنه ليس إياي أراد به»[١].

٢ - إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان عنده أحد، ويحب أن يحمد في جميع أموره»[٢].

٣ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سيأتي على النّاس زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم، طمعاً في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم، يكون دينهم رياء، لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب، فيدعونه دعاء الغريق، فلا يستجيب لهم!».

٤ - وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قال: «إنّ المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر! يا فاجر! يا غادر! يا خاسر! حبط عملك، وبطل أجرك، فلا خلاص لك فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له».

٥ - وعن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال مخاطباً زرارة (أحد أصحابه): «من عمل للناس كان ثوابه على النّاس يا زرارة! كلّ رياء شرك».

اللّهمّ! إخلاص النيّة أمر عسير فأعنا عليه بفضلك.

---

(١) وسائل الشيعة.

(٢) قرب الاسناد.

ربّنا! هب لنا إيماناً يجعل معيار تفكيرنا ثوابك وعقابك، ويساوي في أنظارنا بين سخط المخلوقين ورضاهم في السلوك إليك.

قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧].

في اللغة «الماعون» من «المَعن» وهو الشيء القليل.

آراء المفسرين كما يشرحها صاحب الأمثل

١ - المقصود من «الماعون» الأشياء البسيطة التي يستعيرها أو يقتنيها النّاس وخاصّة الجيران من بعضهم، مثل حفنة الملح، والماء، والنّار (الثقاب)، والأواني وأمثالها.

واضح أنّ الذي يبخل في إعطاء مثل هذه الأشياء إلى غيره إنسان دنيء عديم الإيمان. أي إنّه بخيل إلى درجة الإباء عن إعطاء مثل هذه الأشياء. بينما يمكن لهذه الأشياء البسيطة أن تسدّ الاحتياجات الكبيرة. ومنعها يؤدي إلى بروز مشاكل كثيرة في حياة الأفراد.

٢ - الماعون يعني الزكاة لأنّ الزكاة تشكل نسبة قليلة من أصل المال قد تبلغ عشرة بالمائة[١] وأحياناً خمسة بالمائة وأحياناً اثنين ونصف بالمائة.

ومنع الزكاة طبعاً من أفظع السيئات، لأنّ الزكاة تحل كثيراً من مشاكل المجتمع الاقتصادية.

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في تفسير الماعون قال: «هو القرض يقرضه، والمتاع يعيره، والمعروف يصنعه».

---

(١) التعبير عن الزكاة يستبطن الحقوق الشرعية الخمس والزكاة من الكاتب.

وفي رواية أُخرى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ فسّر الماعون بالمعنى السابق نفسه. فسأله سائل قال: لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه فعلينا جناح أن نمنعهم؟

فقال: «لا ليس عليكم جناح أن تمنعوهم إذا كانوا كذلك».

ما هو عقاب مانع الحقوق الشرعية المالية؟

١ - عن حريز قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما من ذي مال ذهب أو فضّة يمنع زكاة(١) ماله، إلّا حبسه الله عزّ وجلّ يوم القيامة بقاع قفر، وسلّط عليه شجاعاً أقرع يريده وهو يحيد(٢) عنه فإذا رأى أنّه لا يتخلّص منه، أمكنه من يده، فيقضمها كما يقضم الفجل، ثمّ يصير طوقاً في عنقه، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وما من ذي مال إبل أو غنم أو بقر يمنع من زكاة ماله إلّا حبسه الله يوم القيامة بقاع قفر تطؤه كلّ ذات ظلف بظلفها، وتنهشه كلّ ذات ناب بنابها. وما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها إلّا طوّقه الله ربعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة أي قطعة أرضه(٣).

٢ - عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَبَيْنَا أَنَا فِي حَلْقَةٍ

(١) مستدرك سفينة البحار.

(٢) حدا يحيد حيداً وحيداناً عن الطريق مال وعدل. وقضم الشيء: كسره بأطراف أسنانه وأكله.

(٣) ولعلّ المعنى أنّه تعالى يُلقي عليه مثل ثقل تلك العَرصَة في عالم البرزخ، أو يعذّبه عذاباً يشبه ذلك.

فِيهَا مَلأٌ مِنْ قُرَيْشٍ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ أَخْشَنُ الثِّيَابِ، أَخْشَنُ الْجَسَدِ، أَخْشَنُ الْوَجْهِ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ[١] يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفَيْهِ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ[٢] كَتِفَيْهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيَيْهِ يَتَزَلْزَلُ، قَالَ: فَوَضَعَ الْقَوْمُ رُؤُوسَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَيْهِ شَيْئًا، قَالَ: فَأَدْبَرَ، وَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَرِهُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ، قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا، إِنَّ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ (دَعَانِي فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: أَتَرَى أُحُدًا؟ فَنَظَرْتُ مَا عَلَيَّ مِنَ الشَّمْسِ، وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ يَبْعَثُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ، فَقُلْتُ: أَرَاهُ، فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي مِثْلَهُ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ، إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: مَا لَكَ وَلإِخْوَتِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، لَا تَعْتَرِيهِمْ، وَتُصِيبُ مِنْهُمْ؟ قَالَ: لَا، وَرَبِّكَ لَا أَسْأَلُهُمْ عَنْ دُنْيَا، وَلَا أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ، حَتَّى أَلْحَقَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ)[٣].

٣ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَلَمَّا رَآنِي مُقْبِلًا قَالَ: هُمْ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْتُ: مَا لِي لَعَلِّي أُنْزِلَ فِيَّ شَيْءٌ مَنْ هُمْ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قَالَ: الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا فَحَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ قَالَ ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْكُمْ فَيَدَعُ إِبِلًا وَبَقَرًا وَغَنَمًا لَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهَا إِلَّا

(١) الحجارة المحماة على النار واحدته رَضْفَة.
(٢) العظم الرقيق الذي على طرف الكتف وقيل أعلى الكتف.
(٣) المسند الجامع، أبو الفضل السيد أبو المعاطي النوري.

جَاءَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا كُلَّمَا نَفِدَتْ أُخْرَاهَا عَلَيْهِ أُعِيدَتْ أُولَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ[1].

٤ - وبإسناده، قال قال رسول الله ﷺ: مانع الزكاة يجر قصبه في النار يعني أمعاءه في النار ويمثل له ماله في صورة شجاع أقرع له زنمتان أو زبيبتان يفر الإنسان منه وهو يتبعه حتى يقضمه كما يقضم الفجل، ويقول: أنا مالك الذي بخلت به[2].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

٥ - وقال النبي ﷺ: «إذا ظهرت في أمتي عشر خصال عاقبهم الله بعشر خصال»[3] قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا قلّلوا الدعاء نزل البلاء، وإذا تركوا الصدقات كثرت الأمراض، وإذا منعوا الزكاة هلكت المواشي، وإذا جار السلطان منع القطر من السماء، وإذا كثُر فيهم الزنا كثُر فيهم موت الفجأة، وإذا كثر الربا كثرت الزلازل، وإذا حكموا بخلاف ما أنزل الله تعالى سلط عليهم عدوهم، وإذا نقضوا العهد ابتلاهم الله بالقتل، وإذا طففوا الكيل أخذهم الله بالسنين» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١].

---

(١) مسند أحمد.
(٢) الأمالي للطوسي.
(٣) جامع الأخبار.

وعن عليّ عليه السلام قال: من كثُر ماله ولم يعط حقّه، فإنّما ماله حيّة تنهشه يوم القيامة(١).

قصتان:

الأولى: أم غرشة(٢): في قديم الزمان كان هناك زعيم قوم ويملك ما يملك من الأموال والخدم وكانت الأموال تحت سيطرة زوجته التي كانت تشرب الغرشة وفي يوم من الأيام مات أحد الخدم وأجريت له مراسم الدفن... وعندما مات زوجها أجريت مراسم دفن الخادم نفسها؟؟!! وعندها وقفت الزوجة (أم غرشة): أهكذا تساوون بين السيد وخادمه؟

فقالوا: نعم.

فقالت: كنت أتصور أجلس بأموالي وغرشتي على أبواب الجنة.

فقالوا: هيهات هيهات!! وعندها رجعت وأنفقت الأموال!!

والثانية: حاطب مانع الزكاة(٣): ... عن أبي أمامة الباهلي قال: «جاء ثعلبة بن حاطب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: «ويحك يا ثعلبة قليل تطيق شكره خير من كثير لا تطيقه»، قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: «ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه»، قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: «ويحك يا ثعلبة أما تحب أن تكون مثلي، فلو

(١) مستدرك سفينة البحار.
(٢) كما ينقلها المؤمن أبو باسم الكعبي أحد رواد حسينية الإمام الحسين عليه السلام.
(٣) دلائل النبوة للبيهقي.

شئت أن يسير ربي هذه الجبال معي ذهباً لسارت»، قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فوالذي بعثك بالحق إن آتاني الله عز وجل مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، قال: «ويحك يا ثعلبة قليل تطيق شكره خير من كثير لا تطيقه»، قال: يا رسول الله ادع الله، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم ارزقه مالاً»، قال: فاتخذ أو اشترى غنماً فبورك له فيها ونمت كما ينمو الدود، حتى ضاقت به المدينة فتنحى بها، فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله ﷺ ولا يشهدها بالليل، ثم نمت كما ينمو الدود، فتنحى بها، وكان لا يشهد الصلاة بالليل ولا بالنهار إلّا من جمعة إلى جمعة مع رسول الله ﷺ، ثم نمت كما ينمو الدود، فضاق به مكانه فتنحى به فكان لا يشهد جمعة ولا جنازة مع رسول الله ﷺ، فجعل يتلقى الركبان ويسألهم عن الأخبار، وفقده رسول الله ﷺ، فسأل عنه فأخبروه أنه اشترى غنماً، وأن المدينة ضاقت به، وأخبروه خبره، فقال رسول الله ﷺ: «ويح ثعلبة بن حاطب ويح ثعلبة بن حاطب». ثم إنّ الله تعالى أمر رسوله ﷺ - بأبي وأمي - أن يأخذ الصدقات وأنزل الله عز وجل: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التّوبَة: ١٠٣].

فبعث رسول الله ﷺ رجلين رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سلمة يأخذان الصدقة، وكتب لهما أسنان الإبل والغنم كيف يأخذانها على وجوههما وأمرهما أن يمرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم. فخرجا فمرا بثعلبة فسألاه الصدقة، فقال: أرياني كتابكما، فنظر فيه، فقال: ما هذا إلّا جزية، انطلقا حتى تفرغا، ثم مرا بي. قال: فانطلقا وسمع بهما السلمي، فاستقبلهما بخيار إبله، فقال: إنما عليك دون هذا، فقال: ما كنت أتقرب إلى الله إلّا بخير مالي فقبلا. فلما فرغا مرا بثعلبة، فقال: أرياني كتابكما، فنظر فيه، فقال: ما هذا

إلّا جزية[١]، انطلقا حتى أرى رأيي. فانطلقا حتى قدما المدينة، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يكلمهما: «ويح ثعلبة بن حاطب»، ودعا للسلمي بالبركة، وأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [التّوبَة: ٧٥].

قال: فسمع بعض أقارب ثعلبة، فقال: ويحك يا ثعلبة، أنزل الله فيك كذا وكذا، قال: فقدم ثعلبة على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هذه صدقة مالي، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد منعني أن أقبل منك»، قال: فجعل يبكي ويحثي التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا عملك بنفسك، أمرتك فلم تطعني»، فلم يقبل منه رسول الله ﷺ حتى مضى. ثم أتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر اقبل مني صدقتي، فقد عرفت منزلتي من الأنصار، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله ﷺ، وأقبلها؟ فلم يقبلها أبو بكر، ثم ولي عمر بن الخطاب فأتاه، فقال: يا أبا حفص اقبل مني صدقتي، قال: وتوسل إليه بالمهاجرين والأنصار وأزواج رسول الله ﷺ، فقال عمر: لم يقبلها رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر أقبلها أنا فأبى أن يقبلها، ثم ولي عثمان، فهلك في خلافة عثمان، وفيه نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التّوبَة: ٧٩].

إلهنا! اغفر برحمتك زلاتنا

آمين يا ربّ العالمين

---

(١) الجزية: هي عبارة عن الْمَال الذي يُعْقَد للْكِتَابي عليه الذِّمَّة، وهي فِعْلة، من الجزَاء، كأنها جَزَت عن قتله ، والجزية مقابل إقامتهم في الدولة الإسلامية وحمايتها لهم.

صفات يذمها القرآن

صفات يذمها القرآن

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ١-٥].

هذه السّورة المباركة تبدأ بسؤال موجّه للنّبي ﷺ عن الآثار المشؤومة لإنكار المعاد وتقول[1]:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ وبعبارة أوضح إن المولى سبحانه وتعالى يريد أن يقول: إن هذه صفات المكذّب بيوم القيامة.

وتجيب عن السؤال: الصفتان الأولى والثانية قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾.

الفاء في ﴿فَذَٰلِكَ﴾ لها معنى السببية، وتعني أنّ التكذيب بالمعاد هو الذي يسبّب هذه الانحرافات.

إن إطعام المساكين هو من أهم أعمال البرّ، وفي الآية إشارة إلى أنّك إذا لم تستطع إطعام المساكين، فشجّع الآخرين على ذلك.

والحقّ أنّ المؤمن بالمعاد وبتلك المحكمة الإلهية الكبرى

(١) تفسير الأمثل ج٢٠ بتصرف.

وبالحساب والجزاء يوم القيامة، إيماناً راسخاً تظهر عليه الآثار الإيجابية لهذا الإيمان في كلّ أعماله.

ولكن فاقد الإيمان والمكذّب بيوم الدين تظهر آثار التكذيب عليه متمثلة في الجرأة على ارتكاب الذنوب والجرائم بشكل محسوس.

(ويلاحظ هنا بشأن الأيتام، أنّ العواطف الإنسانية تجاه هؤلاء أكثر أهمية من إطعامهم وإشباعهم لأنّ آلام اليتيم تأتي من فقدانه مصدر العاطفة والغذاء الروحي والتغذية الجسمية تأتي في المرحلة التالية).

الروايات الدالة على الإنفاق

- قال رسول الله ﷺ: «لم نبعث لجمع المال ولكن بعثنا لإنفاقه»[١].
- وقال ﷺ: «انفق بالخلف واعلم أنه من لم ينفق في طاعة الله ابتلي بأن ينفق في معصية الله، واعلم أن من لم يمش في حاجة ولي الله ابتلي بأن يمشي في حاجة عدو الله»[٢].
- عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ من صلاح الإسلام وصلاح أهل الإسلام أن تصير الأموال إلى من يؤدي فيها الحقوق ويصطنع فيها المعروف، وإنّ من فساد الدين وفساد أهل الدين أن تصير الأموال إلى من لا يؤدي فيها الحق ولا يصطنع فيها المعروف»[٣].

(١) مشكاة الأنوار.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

يا علي، ثلاث من حقائق الإيمان: الإنفاق من الإقتار، وإنصاف الناس من نفسك، وبذل العلم للمتعلم(١).

الصفة الثالثة(٢)

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.

تهديد للمصلين بويل لماذا؟... للذين لا يقيمون للصلاة وزناً، ولا يهتمون بأوقاتها، ولا يراعون أركانها وشروطها وآدابها.

﴿سَاهُونَ﴾ في حالتين:

أ - تقصير في المقدمات غير معذور.

ب - من دون تقصير معذور.

والمقصود في الآية السهو المقرون بالتقصير.

- سئل الإمام الصادق عليه السلام ما معنى السهو في الصلاة؟ قال: معناها أن يقدم المرء عمل دنياه على عمل آخرته(٣).

يعلق العلامة حسين مظاهري (أعلى الله مقامه)... يتغدى أو يتعشى أولاً ثم يقيم الصلاة والصلاة ثقيلة بالنسبة له حيث يقول القرآن: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

بمعنى أننا أحياناً نكون مستعدين للوقوف ساعة أو ساعتين نتحدث مع بعضنا البعض ولا نشعر بالتعب بل نشعر بالبهجة ولكننا عندما يحين

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين.
(٢) تفسير الأمثل ج٢٠ بتصرف.
(٣) جهاد النفس ص٥٤ للعلامة مظاهري.

وقت الصلاة التي لو أقمناها بصورة لائقة فإنها لا تتجاوز الربع ساعة نريد إتمامها في خلال خمس دقائق لذلك نرى البعض يجلس من أول المساء إلى ساعة متأخرة ولا يشعر بشيء ولكن عندما يصل إلى الصلاة يتقاعس هذا واضح لأنّ في الصلاة جانباً معنوياً وذلك البعد البهيمي يتربص بنا لكي ينسينا الصلاة إذ عندما يحين وقت الصلاة نتمنى أن تغدو الربع ساعة خمس دقائق لماذا نحن هكذا؟ القرآن يقول: لست بمسلم لست بمسلم وويل لك[1].

ويلاحظ أنّ الآية لم تقل «في صلاتهم ساهون»، لأنّ السهو في الصلاة يعرض لكلّ فرد، ولكنّها قالت: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. فهم يسهون عن الصلاة بأجمعها.

وويل: قيل هو الهلاك، وقيل: المراد به العذاب المتنوع، وقيل: هو واد في جهنّم مليء بالعذاب...

على أي حال، حين يكون الساهون عن الصلاة مستحقين فعلاً للويل، فما بالك بتاركي الصلاة؟!

(١) جهاد النفس ص٥٤ - ٥٥ للعلامة مظاهري.

من خصوصيات
الإمام الحسين عليه السلام

من خصوصيات الإمام الحسين عليه السلام (١)

في ابتداء خلق نوره:

قد تحقق أنّ الحق هو أنّ أول المخلوقات هو نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو نوره وأنوارهم، فعلى كلا التقديرين (نقول): إن أول المخلوقات هو نور الحسين عليه السلام لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (حسين مني وأنا من حسين) وفي رواية أخرى: (أنا من حسين وحسين مني) فهو أول مخلوق وأول ما صدر عن الأول.

عن أنس بن مالك عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الله تعالى خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار».

فقال العباس: كيف كان بدءُ خلقكم؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عم لما أراد الله تعالى أن يخلقنا تكلم بكلمة، خلق منها نوراً، ثم تكلم بكلمة أخرى خلق منها روحاً، ثم مزج النور بالروح فخلقني، وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين، فكنا نسبّحه حين لا تسبيح ونقدّسه حين لا تقديس»، فلما أراد الله تعالى أن ينشىء خلقه فتق نوري فخلق من

(١) مقتبس من الخصائص الحسينية للعلامة الشيخ جعفر التستري وبتصرف بسيط.

العرش، فالعرش من نوري، ونوري من الله، ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي، فخلق منه الملائكة فالملائكة من نور علي، وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي الزهراء، فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله تعالى، وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن، فخلق الشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله تعالى، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ففتق نور ولدي الحسين، فخلق منه الجنة والحور العين، فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله تعالى، وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين.

فكل مخلوق تابع له فلا غرو أن يبكيه كل مخلوق، فإذا قلنا بكاه كل مخلوق فلا تتوهم أنه مبالغة، أو استعارة تمثيلية أو خيال أو بكاء بلسان حال، أو فرض أو تقدير، لا بل ذلك حقيقة في الباكين من جميع الموجودات، من نبي أو ملك أو فلك أو أنس أو جن أو شيطان أو شمس أو جنة أو قمر.

لا أقول في هذا العالم فقط بل شموس جميع العوالم وأقمارها وسماواتها وأراضيها وساكنيها، ففي الرواية: خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم وأنتم آخر العوالم والآدميين.

وهكذا بكاء كل شيء بكاء حقيقي وإن كان في كلّ بحسبه، وليس مرادي من بكاء كل شيء بكاؤه بعد قتله فقط، فإنّ بيان ذلك له أبواب على حدة. . .، بل المراد بكاء كل شيء عليه قبل قتله، كما في زيارة شعبان، المروية عن القائم صلوات الله تعالى عليه، (بكته السماء ومن

فيها والأرض ومن عليها ولما يطأ لابتيها)[١] وليس المراد من بكاء كل شيء عليه قبل قتله حصول ذلك، في الجملة، بل أقول: إنه حيث خلق أول ما خلق مظهراً للخشوع والخضوع، فكل خضوع وانكسار في العالم فله وبه والذي هو في باطنه وحقيقته لله تعالى وحده الحي القيوم، وكما قال الحكماء المحققون: كل انكسار وخضوع به وكل صوت فهو نوح الهواء.

وليس مرادي من بكاء كل شيء على قتله أن ما قتل به خارج عن ذلك، لأنه المبكي عليه.

بل أقول كما قال ذلك الحكيم في قصيدته:

السيف يفري نحره باكيا والرمح ينعى قائماً وينثني

فالنبل يصيبه ويبكي والرمح شائل للرأس يبكي

وليس مرادي من بكاء كل شيء على قتله - أن قتلته خارجون عن ذلك - بل هم بوجودهم العام وماهيتهم يصيبهم الانكسار ويبكون عليه بحقائقهم وفطرتهم، ولكن بمقتضى صفات أفعالهم الاختيارية التي بها خلدوا في النار، لا يبكون إلّا إذا غفلوا، فيبكون البكاء الظاهري الاختياري كمعرفة الله تعالى بالنسبة إلى الذين ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] فكما أن الزنادقة والدهرية إذا غفلوا عن مقتضى عنادهم وجحودهم نطقوا بالتوحيد، فكذلك أعداؤه وقاتلوه إذا غفلوا يبكون عليه سلام الله عليه، بل إذا لم يغفلوا ولاحظوا عداوته وأرادوا قتله وسلب عياله غلبهم البكاء بلا اختيار، كما ظهر ذلك من

(١) أي: . . . لابة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء.

حالة ابن سعد حين أمر بقتله، وحالة السالب لقرطي فاطمة الزهراء عليها السلام، وحالة يزيد لعنه الله لما أراد الأسارى فرّق لهم، وقال: قبّح الله ابن مرجانة.

خصائص نوره بعد خلقه إلى حين ولادته:

اعلم أنّ الله جلّ جلاله لم يزل متفرداً، ولم يكن مخلوق ولا زمان ولا مكان، فلما ابتدأ بخلق أفضل المخلوقات واشتق من نوره نور علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، جعل لهم محالاً متعددة وعوالم مختلفة، كما يظهر من مجموع الروايات المعتبرة.

فمنها: قبل خلق الخلق

ومنها: قبل خلق آدم عليه السلام

ومنها: بعده عليه السلام

أنوار تارة، وأشباح نور تارة، وظلال تارة وأنوار في الجنة تارة، وعمود نور أُقذف في ظهر آدم عليه السلام تارة، وفي أصابع يده أخرى وفي جبينه أخرى، وفي جبين كل من الأجداد من آدم عليه السلام إلى والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن عبد المطلب، وفي جبين كلّ جدة عند الحمل ممن هو في ترائبها من حواء إلى أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم آمنة بنت وهب عليها السلام.

ثم لنورهم محال متعددة قدّام العرش، وفوق العرش وتحت العرش وحول العرش، وفي كل حجاب من الحجب الاثني عشر، وفي البحار وفي السرادقات، ولبقائهم في كلّ محل مدة مخصوصة.

فمدة وجودهم قبل خلق العرش أربعمائة وعشرون ألف سنة، وزمان كونهم حول العرش خمسة عشر ألف سنة قبل آدم عليه السلام، وزمان كونهم

تحت العرش اثنا عشر ألف سنة قبل آدم عليه السلام، وليس المقام مقام هذه التفاصيل فإنه يحتاج إلى كتاب مستقل. إنما المقصود بيان خصائص الحسين عليه السلام في نوره، وامتياز نوره من الأنوار في جميع هذه العوالم والحالات في الظلال والأشباح والذرات، وحين تجسمه بالشجرة في الجنة، والقرط في أذن الزهراء عليها السلام وهي في الجنة في إحدى هذه العوالم.

فنقول: إنّ هذه الأنوار في هذه العوالم مصدرها نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامتيازه كون نوره من نوره، فإنه من حسين وحسين منه صلى الله عليه وآله وسلم، وحين افتراقهما كان لنور الحسين عليه السلام خصوصية في أنّ رؤيته كانت موجبة للحزن، كما اتفق لآدم عليه السلام، حين ظهرت الأنوار في أصابعه...

ومن الخصوصيات لنوره عليه السلام: إنّ النور الذي كان يظهر على جبين الأمهات عند الحمل بأحد الأجداد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جبين آمنة عند الحمل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنما ذلك لعدم كون أنفسهن من هذه الأنوار فإذا حملته ظهر أثره في الجبهة، وأما إذا كانت الأم بذاتها من الأنوار، فلا وجه لظهور النور، ولا يظهر على الوجه بالخصوص نور زائد على ذلك، فلم يظهر على جبهة الزهراء عليها السلام حين حملها بالحسين عليه السلام نور زائد على نور وجهها المبارك، ولكن خصوصية الحسين عليه السلام أنها لما حملت بالحسين عليه السلام قال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أرى في مقدم وجهك ضوءاً ونوراً وستلدين حجة لهذا الخلق»، وقالت عليها السلام: «إني لما حملت به كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح» فخصوصية نور الحسين عليه السلام أنه يظهر على النور أيضاً، ومن خصوصياته أيضاً، أنه يغلب النور أيضاً، ولذا قال من رآه صريعاً وهو في الشمس نصف النهار حين قتله: والله لقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله.

ومن خصوصياته أيضاً: إنه لا يحجبه حاجب، كما قال ذلك القائل: «إني ما رأيت قتيلاً مضمخاً بدمه[١]، إني ما رأيت مضمخاً بالدم والتراب أنور وجهاً منه» فلم يحجب التراب والدم الذي علا على وجهه نوره الذي علا كل نور.

في خصوصيته بعد ولادته:

وأول محل حلّ فيه بعد الولادة، يدا النبي المصطفى ﷺ. فإنه كان واقفاً بباب الحجرة ينتظر ولادته المباركة، فلما سقط ساجداً لله تبارك وتعالى نادى النبي ﷺ: يا أسماء هلمي إليّ ابني، فقالت: إننا لم ننظفه بعد، فقال: أنت تنظفيه؟ إن الله قد نظفه وطهره، فأتت به إليه في خرقة من صوف، فأخذه بيده ونظر إليه وبكى، وقال: عزيز عليّ يا أبا عبد الله، ثم بعد ذلك كانت محاله كتف جبرائيل عليه السلام، وعلى عاتقه تارة أخرى، وكتف النبي ﷺ تارة، وظهره تارة، وصدره أخرى، وعلى يده يرفعه ليقبّل فاه تارة، وأخرى ليريه الناس، وعلى ظهره وهو ساجد تارة، وعلى يدي عليّ وهو يمسكه والرسول يقبّل جميع أعضائه تارة، وكان آخر محل له صدر الرسول ﷺ حين احتضاره، ويقول ﷺ: ما لي وليزيد، لا بارك الله في يزيد...

خصوصية محله في برزخه:

في الحديث: «إنه في يمين العرش ينظر إلى مصرعه ومن حلّ فيه، وينظر إلى معسكره وينظر إلى زواره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء

---

(١) أي التلطخ بالطيب وغيره والإكثار منه.

آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله تعالى من أحدكم، وإنه ليرى من يبكيه فيستغفر له، ويسأل آباءه أن يستغفروا له، ويقول: أيها الباكي لو تعلم ما أعدّ الله لك لكان فرحك أكثر من جزعك».

خصوصية محله في المحشر:

في الروايات: إن له مجلساً تحت ظل العرش خاصّ به له خصوصية، هي أنّ أهل مجلسه من الباكين عليه والزائرين له مستأنسون بحديثه، وهم آمنون، وعند جلوسهم عنده، يرسل إليهم أزواجهم من الجنة: إنا قد اشتقنا لكم، فيأبون الذهاب إلى الجنة، ويختارون حديث الحسين عليه السلام.

ثم إنه عليه السلام له موقف في المحشر خاص به يوجب اضطراب كل أهل المحشر، وتشهق فاطمة الزهراء عليها السلام إذا نظرت إلى موقفه ذلك، وهو حين يحشر قائماً ليس عليه رأس، وأوداجه تشخب دماً فإذا رأته صرخت صرخة وزخّت[1] نفسها من الناقة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند بيان هذا: «وأصرخ لصرختها، وتصرخ الملائكة لصراخنا».

نعم ولد الحسين عليه السلام برعاية الله...

ولد الحسين بين أحضان النبي والملائكة والحور العين[2].

أُمر رضوان أن زين الجنة كرامةً لميلاد الحسين.

أُمر مالك أن اخمد النار كرامةً لميلاد الحسين.

---

(١) ومعنى زخّه بتشديد الخاء: أي: دفعه.

(٢) من الكاتب.

أمر الإله لجبرئيل بقبيل من الملائكة لتهنئة الرسول الأمين.

وضجّت السماء والأرض بالتسبيح والتهليل لميلاد الحسين.

وسمع فطرس المعذب فتساءل عن التسبيح فقيل ولد الحسين.

قال: وما الحسين؟ قيل: له شأن عند الله فأقسم على جبرئيل بحمله للحسين.

فوقف عند مهده وطلب الشفاعة بواسطته لله والرسول لدعائه أمّن.

واذا بفطرس يحلق بين السماء والأرض بشفاعة الحسين.

وهنا يطلب جبرئيل من الرسول أن يهز مهد الحسين.

وإسرافيل أن يناغي الحسين.

فتقف الملائكة كلّ يفتخر بخدمة الحسين.

ففطرس يقول: من مثلي وأنا عتيق الحسين.

وجبريل يقول: من مثلي وأنا أهز مهد الحسين.

وإسرافيل يقول: من مثلي وأنا أناغي الحسين.

لمحة في صفات وأخلاق وعبادة الإمام الحسين عليه السلام العامة المطلقة

لمحة في صفات وأخلاق
وعبادة الإمام الحسين عليه السلام العامة المطلقة

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس: ١-١٠].

تمهيد[١]:

أكبر عدد من القسم القرآني تتضمّنه هذه السّورة، هو في حساب «أحد عشر»، وفي حساب آخر «سبعة» أقسام... ويبيّن أن السّورة تتعرض لموضوع خطير هام.. موضوع عظيم كعظمة السماء والأرض والشمس والقمر... **والقسم في القرآن يستهدف مقصدين:**

الأوّل: بيان أهمية ما جاء القسم من أجله.

والثّاني: أهمية ما أقسم به القرآن، لأنّ القسم عادة يكون بالمهم من الأُمور من هنا تعمل هذه الأقسام على تحريك الفكر في الإنسان كي

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - (ج ٢٠).

يمعن النظر في هذه الموضوعات الهامّة من عالم الخليقة، وليتخذ منها سبيلاً إلى الله سبحانه وتعالى.

هذا الكمّ الهائل من الأقسام يريد أن يقول[(١)]:

١ - كلّ هذا النظام (عالم الإمكان) من أجل الإنسان إذا أفلح وزكى قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣] والإنسان لأجل الله سبحانه جاء في الحديث القدسي: «يابن آدم، خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي»[(٢)].

٢ - جميع الأمور المقسم بها محلى بألف ولام ما عدا النفس ﴿وَنَفْسٍ﴾ والتنكير في اللغة يدل على تعظيم الشيء.

والشاهد على عظمة النفس قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾ [فُصّلَت: ٥٣] حيث جعل الله النفس قبال عالم الإمكان (الآيات الآفاقية) وفي الحديث:

- «عن الإمام علي عليه السلام قال: العارف من عرف نفسه فأعتقها ونزهها عن كلّ ما يبعدها»[(٣)].
- وقال الإمام عليّ عليه السلام: «من عرف نفسه عرف ربّه»[(٤)].

---

(١) مقتبس من دروس آية الله العظمى المحقق السيد كمال الحيدري دامت إفاضاته (بتصرف من الكاتب).
(٢) علم اليقين.
(٣) ميزان الحكمة - محمد الريشهري.
(٤) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ.

إذن هذه الأقسام لبيان أهمية الفلاح والتزكية وخطورة التدسية وبعبارة أوضح التحلي بالأخلاق والتخلي عن الرذائل.

ومن النكات المستفادة من هذه الآيات هي[١]:

الأولى: إن الإنسان مختار في أخلاقه وملكاته ولذلك نُسبت التزكية والتدسية إليه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠)﴾.

الثانية: الإنسان قادر على تغيير ملكاته السلبية لأنّ التزكية والتدسية نسبت إليه.

سؤال: هناك آيات نسبت التزكية إلى الله سبحانه فكيف نوفق بينها وبين آية البحث؟

الجواب: في القرآن الكريم أوصاف وأفعال. . .تنسب إليه سبحانه وإلى مخلوقاته من قبيل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: ٤٢] وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعَام: ٦١] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١].

وهذا يعني أنه لا يقع أثر أو فعل. . . إلّا بإذنه. . .ولا مؤثر في الكون إلّا بإذنه. . . وهذا بخلاف من يعتقد أنّ الإنسان مجبر أو فوضت إليه أموره مطلقاً ولكن الإنسان بين أمرين لا جبر ولا تفويض.

(١) مقتبس من دروس آية الله العظمى المحقق السيد كمال الحيدري دامت إفاضاته بتصرف من الكاتب.

تعال معي لنفتش في حياة الإمام الحسين عليه السلام كيف تعامل مع هذه الآيات وهل هو من العاملين بها أم لا؟[(١)]

وليس المراد بيان صفات الإمامة فإنها مما لا تصل العقول إلى كنهها، ولا تحيط ببيانها الأرقام ولا الأقلام، ويلزم على كلّ مكلف معرفتها إجمالاً للمعرفة بحق الأئمة عليهم السلام، ولا بيان محض صفاته الممتاز فيها أيضاً إنما المقصود بيان خصوصية في صفات خاصة:

ومنها: العطاء للسائلين: فله عليه السلام خصوصية وهي الحياء عند العطاء، فالناس تعرض لهم حالة رد السائل وهو عليه السلام له حالات عجيبة تعرض له عندما يريد أن يعطيه سؤله، وتراه يرق على السائل بسبب الذل العارض له، حين إعطائه له لا لفقره واحتياجه وصعوبة ذلك، بل لأجل السائل وحيائه منه.

ومن هذه الخصوصية: أنه أعطى لسائل أتى إليه ألفاً فأخذها ينقدها فقال الخازن: بعتنا شيئاً؟ قال: ماء وجهي فقال الحسين عليه السلام: صدق، أعطه ألفاً وألفاً وألفاً، الأول لسؤالك، والألف الثاني لماء وجهك، والألف الثالث، لأنك أتيتنا وهذه الصفة الخاصة قد بلغت فيه بحيث إنه يستحي من ذل الجاهل حين يريد أن يعلمه، لا محض ذل السائل حين يريد أن يعطيه.

كما ورد في الرواية: أنه رأى رجلاً لا يحسن الوضوء، فأراد أن يعلمه فاستحى من ذله حين يتعلم، فقال لأخيه: نحن نتوضأ قدامه ثم

(١) نقلاً عن الخصائص الحسينية - للعلامة آية الله العظمى جعفر التستري قدس سره الشريف.

نسأله أي الوضوءين أحسن؟ ففعلا ذلك، فقال الأعرابي: كلاكما تحسنان الوضوء، وأنا الجاهل الذي لا أعرف.

ومنها: رقة خاصة له على أهل الهموم والغموم: حتى أنه دخل على أسامة بن زيد وهو محتضر ليعوده، فتأوه أمامه، فقال: واغماه، فقال عليه السلام: ما غمك يا أخي؟ فقال: دين علي ستون ألفاً، فقال عليه السلام: علي قضاؤها، قال: أحب أن لا أموت مديوناً، فأمر عليه السلام بإحضار المال ودفعه إلى غرمائه قبل خروج روحه.

ومنها: شدة خوفه من ربه تبارك وتعالى: ولقد كان بحيث إذا توضأ، تغيّر لونه وارتعدت فرائصه، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: حق لمؤمن يقف بين يدي المالك القهار أن يصفر لونه وترتعد فرائصه، وقد تعجب الناس الذين شاهدوا حالته من شدة خوفه حتى أنهم قالوا: ما أعظم خوفك من ربك، فقال عليه السلام: «لا يأمن يوم القيامة إلّا من خاف الله في الدنيا».

أقول(١): فانظر إلى سيد الشهداء يريد الوضوء لعبادة الله كيف ترتعد فرائصه ويصفر لونه، ونحن نشتغل بالكبائر الموبقة، ولا يحصل لنا اضطراب بوجه من الوجوه، فكيف ندّعي أنّ لنا في الحسين عليه السلام أسوة، وهو يرتعد عند أفضل العبادات، ونحن لا تأخذنا أدنى واهمة عند أشدّ المعاصي، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

(١) القائل العلامة التستري.

شذرة عن ميلاد أبي الفضل العباس عليه السلام وإيثاره

شذرة عن ميلاد
أبي الفضل العبّاس عليه السلام وإيثاره(١)

تاريخ ولادة أبي الفضل العبّاس عليه السلام

. . . ولا يخفى أنّ ولادة أبي الفضل العبّاس عليه السلام - على المشهور وذلك حسب بعض الكتب التاريخية - كانت في المدينة المنورة، وبتاريخ اليوم الرابع من شهر شعبان المعظّم سنة ست وعشرين هجرية على هاجرها آلاف التحية والسّلام.

وعلى هذا فإنّ أبا الفضل العبّاس عليه السلام قمر بني هاشم تلا في ولادته ولادة أخيه شمس الكونين الإمام أبي عبد الله الحسين من حيث اليوم والشهر بيوم واحد وفي نفس الشهر، ومن حيث السنين والأعوام بثلاث وعشرين سنة وكان - على ذلك - له من العمر حين استشهد أربعة وثلاثون عاماً.

الولادة وسننها

ثمّ إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قام من مجلسه ذلك وودّع أصحابه

---

(١) مقتبس من الخصائص العباسية لآية الله العظمى الحاج ابراهيم الكلباسي/ بتصرف بسيط.

ومَنْ كان معه، ثمّ خرج من مسجد رسول الله ﷺ متّجهاً نحو البيت، فلمّا دخل المنزل سلّم - على عادته ولاستحبابه - على مَنْ كان في المنزل من أهله وأُسرته الذين كانوا بانتظار قدومه، وحيّاهم بتحيّة الإسلام ثمّ قال: «ائتوني بولدي».

فقوبل عليه السلام بالتحية والبشارة، ثمّ جيء بولده إليه ملفوفاً في خرقة بيضاء ومقمّطاً بها، فأخذه وضمّه إلى صدره، ونثر قبلاته الحارّة على وجهه وخدّيه، ثمّ أذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وبعدها أخذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يطيل النظر إليه.

وهنا تمطّى المولود الجديد لأُمّ البنين في قماطه حتّى قطعه، وأخرج كلتا يديه من القماط؛ ممّا أثار بذلك ذكريات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي كانت في ذاكرته ممّا نزل بها جبرائيل في حقّ هذا الوليد الجديد من عند الله تبارك وتعالى على رسول الله ﷺ، وأخبره بها رسول الله ﷺ من كيفية شهادته في نصرة الإمام الحسين عليه السلام في طفّ كربلاء.

عندها اغرورقت عينا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالدموع، وتناثرت قطرات الدمع على خدّيه كالدرر ورطّبت كريمته الشريفة، فنظرت إليه إحدى النسوة وقالت: ما يبكيك يا أبا الحسن ونحن في هذه الساعة من فرح وسرور، وابتهاج وحبور؟!

فالتفت إليها أمير المؤمنين عليه السلام وهو يكفكف دموعه بيديه الكريمتين وقال لها ما مضمونه: «لا تلوموني، فإنّي لمّا نظرت إلى هاتين اليدين وتمطّيه في القماط تذكّرت تمطّيه على جواده في كربلاء، وانفصال يديه عن جسمه يوم عاشوراء. ثمّ أخذ يبكي ويكثر من قوله عليه السلام : (ما لي وليزيد)؟».

الإيثار عند أبي الفضل العباس عليه السلام

كيف جسد أبو الفضل العباس قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؟ نسأل عن معنى الإيثار: فنقول الإيثار هو تقديم الغير على النفس، المعبّر عنه بالرؤية الاجتماعية ومحبّة الآخرين، بينما الاستئثار هو تقديم النفس على الغير، المعبّر عنه بالأنانية والاستبداد الفردي.

أمّا الأثر والاستئثار، المسمّى بالأنانية: فهو من الصفات الرديئة ، والخصال الذميمة النابعة من حبّ النفس المفرط، وعبادة الذات المذمومة، فإنّ حبّ النفس - بما هو هو - غريزة أصيلة في الإنسان. . .

إذاً فغريزة حبّ النفس بما هي من لوازم سعادة الإنسان، . . . ، وإنّما الخطر يكمن وراء تضخّم هذه الغريزة وتجبّرها، وخروجها عن حدّ الاعتدال الذي أراده الله تعالى لها إلى ما حرّمه تعالى عنها من الأنانية، وعبادة الذّات التي قد تصل أحياناً إلى ادّعاء الربوبيّة، كفرعون الذي كان يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وكيزيد الذي كان ينشد: . . . فلا خبر جاء ولا وحي نزل.

فإنّ عبادة الذّات والعيش في إفرازاتها حتّى لو كانت تلك الإفرازات حريراً، كالتي تفرزها دودة القز، منتهية إلى الاختناق الروحي، ومؤدّية إلى الموت المعنوي؛ فإنّ الأناني ميّت في الناس حتّى وإن بلغ في الدنيا قمّة الملك والسلطان، وإنّ الأنانيّين في كلّ زمان فتنة ساحقة، ولعنة ماحقة تحترق في سعيرها المُثُل والقِيَم، وتذوب في جحيمها الفضائل والمكارم ، وتتبخّر في مرضاتها مصالح الآخرين أفراداً وجماعات.

وقد وصف الله تعالى الفارّين من معركة أُحد، والتاركين رسول الله ﷺ وحده بين الأعداء وصفاً يكشف عن داء الأنانية المتغلغل في نفوسهم، وعن مرض عبادة الذّات المتعرّق في قلوبهم، حيث يقول تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

نماذج من إيثار أبي الفضل العبّاس عليه السلام: نعم، لقد آثر أبو الفضل العبّاس عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام على نفسه منذ أيّامه الأولى، فكان لا يجلس بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام إلّا بعد أن يأذن له عليه السلام بالجلوس، ثمّ إذا جلس بعد الإذن له جلس جلسة العبد بين يدي مولاه، والمملوك أمام سيّده.

وكان من إيثار أبي الفضل العبّاس عليه السلام أنّه كان يدعو أخوه الإمام الحسين عليه السلام دائماً بمثل كلمة سيّدي، ومولاي، ويابن رسول الله ﷺ، وما أشبه ذلك. ولم يعهد منه أن يدعو أخاه بكلمة أخي وصنوي، وما أشبه ذلك أبداً، إلّا في موضع واحد، وهو حين مصرعه عليه السلام.

وكان من إيثار أبي الفضل العبّاس عليه السلام أيضاً: أنّه إذا حصل على شيء آثر به أخاه الإمام الحسين عليه السلام وقدّمه على نفسه، فقد قُدّم له ذات مرّة وهو في سنيه الأولى عنقود من العنب الشهي، فأخذه واتّجه به نحو باب الدار مسرعاً، فسألوه عمّا يريد، فأجاب: أُريد أن أُقدّم هذا العنقود من العنب الشهي إلى سيّدي ومولاي الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك فعل.

العبّاس عليه السلام **يؤثر إمامه الحسين** عليه السلام **على ولديه**: وخصوصاً إيثار أبي الفضل العبّاس عليه السلام في يوم عاشوراء، وذلك في موارد عديدة،

منها : تقديم ولديه محمّد وعبد الله بين يدي الإمام الحسين عليه السلام ، وإيثاره عليهما وفدائهما له ؛ فإنّ أبا الفضل العبّاس عليه السلام لمّا رأى أنّه لا يملك شيئاً يؤثر به أخاه الإمام الحسين عليه السلام ويقدّمه فداءً له، سوى نفسه وولدَيه وإخوته، حاول أوّلاً أن يؤثر بولدَيه ويقدّمهما فداءً لله بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام ؛ وذلك لأنّ للأولاد في قلب الإنسان من المحبّة والعلقة ما لم يكن لأحد غيرهم.

فالأولاد أعزّ شيء على قلب الإمام الحسين عليه السلام ، وأغلى شيء عنده، وفي الحديث الشريف: «أولادنا أكبادنا» وفي حكمة الشعر والنظم: أولادُنا أكبادُنا تمشي على الأرضِ.

ومعلوم أنّ فقد الأولاد والإصابة بهم من أعظم المصائب، وأشد الفجائع على قلب الأب، وكلّما كان المصاب أكبر والفجيعة أعظم، وخاصة إذا كان في سبيل الله ونصرة الحقّ كان الأجر أكبر والثواب أعظم ؛ ولذلك قدّرت الروايات، وعدّت لفقد الأولاد والمصاب بهم من الأجر ما لم تقدّره في فقد أحد والمصاب به.

وأراد أبو الفضل العبّاس عليه السلام أن ينال هذا الثواب العظيم، ويحصل على هذا الأجر الكبير قبل أن يفوز هو بالشهادة، فقدّم ولده وفلذة كبده محمداً على نقل بعض، وولديه محمداً وعبد الله على نقل بعض آخر؛ فداء بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام ، وواسى في هذه المصيبة الكبرى ، والفجيعة العظمى، وهي مصيبة فقد الأولاد أخاه الإمام الحسين عليه السلام .

من خصائص باب الحوائج أبي الفضل العباس عليه السلام المؤثرة

من خصائص باب الحوائج
أبي الفضل العباس عليه السلام المؤثرة(١)

المؤثِر: من الإيثار، وهو تقديم الغير وتقديمه على النفس، وفي التنزيل قال الله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١]، أي فضّلك وقدّمك.

وآثرت فلاناً على نفسي، أي قدّمته وفضّلته، وآثرتك إيثاراً، أي قدّمتك وفضّلتك تفضيلاً، وهو مقابل الاستئثار. يُقال: استأثر بالشيء على غيره، أي خصّ به نفسه واستبدّ به، ورجل آثُر وآثِر، أي يستأثر على أصحابه ويفضّل نفسه عليهم في نصيبه، والاستئثار هو الانفراد بالشيء.

وبعبارة أُخرى: الإيثار هو تقديم الغير على النفس، المعبّر عنه بالرؤية الاجتماعية ومحبّة الآخرين، بينما الاستئثار هو تقديم النفس على الغير، المعبّر عنه بالأنانية والاستبداد الفردي.

بين الأنانية وحبّ النفس

أمّا الأثر والاستئثار، المسمّى بالأنانية: فهو من الصفات الرديئة، والخصال الذميمة النابعة من حبّ النفس المفرط، وعبادة الذات

(١) مقتبس من الخصائص العباسية لآية الله العظمى الحاج ابراهيم الكلباسي ص٢٠٨ - ٢١٨/ بتصرف بسيط.

المذمومة، فإنّ حبّ النفس - بما هو هو ـ غريزة أصيلة في الإنسان، وصفة عريقة فيه، وقد أودعها الله تعالى فيه ؛ لأن إليها يعود نشاط العمران على ظهر المعمورة، وإليها يرجع السير الحثيث، والاتّساع المستمر في دائرة الحياة من التقدّم العلمي، والتطوّر الصناعي، والاختراعات والاكتشافات التي طوّرت الحياة، كما أنّها أيضاً السبب لطلب الآخرة وإحرازها، والزحزحة عن النار، والفوز بالجنّة.

إذاً فغريزة حبّ النفس بما هي من لوازم سعادة الإنسان، وتقدّم الحياة وتطوّرها ، وإنّما الخطر يكمن وراء تضخّم هذه الغريزة وتجبّرها، وخروجها عن حدّ الاعتدال الذي أراده الله تعالى لها إلى ما حرّمه تعالى عنها من الأنانية، وعبادة الذّات التي قد تصل أحياناً إلى ادّعاء الربوبيّة، كفرعون الذي كان يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وكيزيد الذي كان ينشد: . . . فلا خبر جاء ولا وحي نزل.

فإنّ عبادة الذّات والعيش في إفرازاتها حتّى لو كانت تلك الإفرازات حريراً، كالتي تفرزها دودة القز، منتهية إلى الاختناق الروحي، ومؤدّية إلى الموت المعنوي؛ فإنّ الأناني ميّت في الناس حتّى وإن بلغ في الدنيا قمّة الملك والسلطان، وإنّ الأنانيّين في كلّ زمان فتنة ساحقة، ولعنة ماحقة تحترق في سعيرها المُثُل والقِيَم، وتذوب في جحيمها الفضائل والمكارم ، وتتبخّر في مرضاتها مصالح الآخرين أفراداً وجماعات.

وقد وصف الله تعالى الفارّين من معركة أُحد، والتاركين رسول الله ﷺ وحده بين الأعداء وصفاً يكشف عن داء الأنانية المتغلغل في نفوسهم، وعن مرض عبادة الذّات المتعرّق في قلوبهم، حيث يقول تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

الأنانيّون وخطرهم على الدين والمجتمع:

والأنانيّون عندما يسلّطون أفكارهم الضيّقة على الدين الإسلامي الحنيف يمسخون نصوصه ، ويحرّفون أُصوله، ويفهمونه ثواباً بلا عمل، وثمرة بلا غرس، وعقاباً على الآخرين وحدهم، ونكالاً على الناس سواهم، دون أن يمسهم منه لفح ويصيبهم منه أذى ؛ وذلك لأنّ الأنانيّين محصورون في حدود أنفسهم وإثرتهم،ومقصورون على رؤية مصالحهم الفرديّة ومنافعهم الذاتيّة، لا يفهمون من القرآن إلّا ما يشتهون، ومن الإسلام إلّا ما يلبّي أهواءهم ومصالحهم.

وإنّ هذا لخطر كبير يهدّد كيان الأُمّة، وينذر بفناء الدين والدنيا معاً ؛ ممّا يؤكّد على معالجة الإثرة منذ الطفولة المبكّرة حتّى تنبت الناشئة وهي تنظر إلى نفسها وإلى غيرها بنظرة معتدلة، ورؤية متّزنة، لا جنف فيها ولا قصور.

ومن هنا يظهر سرّ التأكيد الشديد في الإسلام على تعديل هذه الغريزة ، ويعلم سبب الاهتمام الكبير من أئمّة أهل البيت عليهم السلام على تأطيرها وتحجيمها، وتزكيتها وتهذيبها؛ ففي نهج البلاغة يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّة له لابنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام : (يا بني، اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك ؛ فاحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك ، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تُحبّ أن تُظلم، وأحسن كما تحبّ أن يُحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم، وقل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحبّ أن يُقال لك).

فالإسلام يحذّر الناس من الأنانيّة، ويدعوهم إلى الاعتدال، بل إلى الإيثار، وتقديم الآخرين على أنفسهم. وأبو الفضل العبّاس عليه السلام هو أوّل ممتثل لما يدعو إليه الإسلام بعد الأئمّة المعصومين عليهم السلام في كلّ مجال، وخاصّة في مجال الإيثار وترك الإثرة.

الإيثار في القرآن والحديث

هذا بالنسبة إلى الاستئثار، وأمّا بالنسبة إلى الإيثار: فهو من الصفات الحسنة ، والخصال الطيّبة، ومن مكارم الأخلاق، ومعالي الآداب ؛ فإنّ الإنسان قد يجود بشيء وهو غني عنه ، فهذا هو الجود الممدوح، وقد يجود بشيء هو محتاج إليه، وهذا أفضل من الأوّل وهو الإيثار. ولا يتحلّى بالإيثار إلّا الأوحدي من الناس، كما إنّه لا يتّصف به إلّا ذو حظ عظيم.

وقد زخر الكتاب، وكذلك فاضت السنّة النبويّة، وأحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام بمدح الإيثار، والتأكيد عليه، والثناء على مَنْ تحلّى به، واتّخذه خُلقاً له، ووعدت على ذلك الثواب الكبير ، والأجر الجزيل. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

نؤثر به ضيفنا

جاء في تفسير الآيات الباهرة في تفسير الآية المباركة مسنداً: أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلّا الماء. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ لهذا الرجل الليلة»؟.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أنا يا رسول الله. وأتى فاطمة عليها السلام فقال لها: أعندك يا بنت رسول شيء؟.

فقالت: ما عندنا إلّا قوت الصبية، ولكنّنا نؤثر به ضيفنا.

فقال علي عليه السلام: يابنة سيد الرسل وخاتم الأنبياء، نوّمي الصبية، واطفئي السراج.

فلمّا أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

سيّد المؤثرين وإمامهم

فسيّد المؤثرين وإمامهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المعصومين هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ إنّ سيّد المؤثرين وإمامهم بعد المعصومين عليهم السلام هو أبو الفضل العبّاس عليه السلام، كما قال في حقّه الإمام زين العابدين عليه السلام، وذلك في قوله المعروف: (رحم الله عمّي العبّاس فلقد آثر)، أي آثر الله، وآثر دين الله، وآثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يمثّله الإمام الحسين عليه السلام على نفسه وإخوته، وكلّ ما يملكه من غالٍ ورخيص.

وكما قال في حقّه الإمام الصادق عليه السلام، وذلك في زيارته المأثورة عنه، حيث جاء فيها: «أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود». أي أعطى أبو الفضل العبّاس عليه السلام كلّ ما في وسعه، وغاية ما يملكه من جدّ وجهد؛ من بذل نفسه وإخوته، وكلّ طاقاته وإمكاناته ليشتري به صيانة دين الله، وسلامة حياة إمامه الممثّل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الناس في الأرض، والامتداد الحقيقي له صلى الله عليه وآله وسلم في الأنام الإمام الحسين عليه السلام، ولو كان ذلك في مقابل بقائه عليه السلام حيّاً بلحظات قليلة.

نماذج من إيثار أبي الفضل العبّاس عليه السلام

نعم، لقد آثر أبو الفضل العبّاس عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام على نفسه منذ أيّامه الأولى، فكان لا يجلس بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام إلّا بعد أن يأذن له عليه السلام بالجلوس، ثمّ إذا جلس بعد الإذن له جلس جلسة العبد بين يدي مولاه، والمملوك أمام سيّده.

وكان من إيثار أبي الفضل العبّاس عليه السلام أنّه كان يدعو أخاه الإمام الحسين عليه السلام دائماً بمثل كلمة سيّدي، ومولاي، ويابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما أشبه ذلك. ولم يعهد منه أن يدعو أخاه بكلمة أخي وصنوي، وما أشبه ذلك أبداً، إلّا في موضع واحد، وهو حين مصرعه عليه السلام.

من قِمَم الإيثار: ولقد ارتقى أبو الفضل العبّاس عليه السلام قُلّة[1] الإيثار، وبلغ قمّته، وذلك حينما وصل موكب الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وخاصّة في الأيام الأخيرة التي كانت تقترب من يوم عاشوراء، وبالذّات في الأيام التي منع بنو أُميّة فيها الماء، وحرّموه على موكب الإمام الحسين عليه السلام، حيث كان أبو الفضل العبّاس عليه السلام يؤثر أطفال أخيه الإمام الحسين عليه السلام بحصّته من الماء.

وعلى الأخص في اليوم الذي ورد فيه كزمان إلى كربلاء ومعه أمان من عبيد الله بن زياد للعبّاس عليه السلام وإخوته، وكزمان هذا كان مولى لعبد الله بن أبي المحلّ بن حزام، وكانت أم البنين عمّته؛ فإنّ ابن أبي المحلّ

---

(١) قُلَّةُ الجبَل: أعلاه/ المزهر - (ج/ ص)/ وقُلّة الإيثار أي أعلاه.

هذا كان قد قدم إلى ابن زياد وتوسّط من نفسه إلى أبناء عمّته عنده، وأخذ لهم منه الأمان، وبعث به مع مولى له إليهم، فلمّا قدم كزمان برسالة الأمان إلى كربلاء قدّمها إلى أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وقال: هذا أمان من ابن زياد بعثه إليكم خالكم عبد الله.

فقالوا له: أبلغ خالنا السلام، وقل له: لا حاجة لنا في أمان ابن زياد؛ فإنّ أمان الله خير من أمان ابن سميّة.

وعلى الخصوص في يوم تاسوعاء، وذلك حين ورد الشمر إلى كربلاء ومعه أيضاً أمان من ابن زياد للعبّاس عليه السلام وإخوته، وكذلك كان معه ما فيه تطميع لهم بإمارة الجيش، وإغراء لهم برتب عسكريّة، وأوسمة ونياشين قياديّة رفيعة المستوى، وغير ذلك من مغريات، فأقبل حتّى وقف على عسكر الإمام الحسين عليه السلام ونادى: أين بنو أُختنا؟ أين العبّاس وإخوته؟

فأعرضوا عنه ولم يجيبوه، فقال لهم الإمام الحسين عليه السلام: (أجيبوه ولو كان فاسقاً).

فقاموا إليه وقالوا له: وما تريد يا شمر؟

فقال الشمر مراوغاً مكايداً لهم: يا بني أُختي، أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد. ثمّ وعدهم ومنّاهم، وطمّعهم وأغراهم.

فقال العبّاس عليه السلام وبكلّ صلابة وقوّة؛ ليقطع عليه مكره وخداعه، ويردّ عليه كيده ونفاقه: لعنك الله ولعن أمانك! أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له، وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟!

فعرف الشمر فشله في مراوغته، وخيبته في نفاقه، فلم يتكلّم معهم بشيء، ورجع خائباً مغضباً.

العبّاس عليه السلام يؤثر إمامه الحسين عليه السلام على ولديه

وخصوصاً إيثار أبي الفضل العبّاس عليه السلام في يوم عاشوراء، وذلك في موارد عديدة، منها: تقديم ولديه محمّد وعبد الله بين يدي الإمام الحسين عليه السلام، وإيثاره عليهما وفدائهما له؛ فإنّ أبا الفضل العبّاس عليه السلام لمّا رأى أنّه لا يملك شيئاً يؤثر به أخاه الإمام الحسين عليه السلام ويقدّمه فداءً له، سوى نفسه وولدَيه وإخوته، حاول أوّلاً أن يؤثر بولدَيه ويقدّمهما فداء لله بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك لأنّ للأولاد في قلب الإنسان من المحبّة والعلقة ما لم يكن لأحد غيرهم.

فالأولاد أعزّ شيء على قلب الإمام الحسين عليه السلام، وأغلى شيء عنده، وفي الحديث الشريف: «أولادنا أكبادنا» وفي حكمة الشعر والنظم: أولادُنا أكبادُنا تمشي على الأرضِ.

ومعلوم أنّ فقد الأولاد والإصابة بهم من أعظم المصائب، وأشد الفجائع على قلب الأب، وكلّما كان المصاب أكبر والفجيعة أعظم، وخاصة إذا كان في سبيل الله ونصرة الحقّ كان الأجر أكبر والثواب أعظم؛ ولذلك قدّرت الروايات، وعدّت لفقد الأولاد والمصاب بهم من الأجر ما لم تقدّره في فقد أحد والمصاب به.

وأراد أبو الفضل العبّاس عليه السلام أن ينال هذا الثواب العظيم، ويحصل على هذا الأجر الكبير قبل أن يفوز هو بالشهادة، فقدّم ولده

وفلذة كبده محمداً على نقل بعض، وولديه محمداً وعبد الله على نقل بعض آخر ؛ فداء بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام ، وواسى في هذه المصيبة الكبرى ، والفجيعة العظمى، وهي مصيبة فقد الأولاد أخاه الإمام الحسين عليه السلام ، وأخته السيّدة زينب عليها السلام في كتمان هذه المصيبة، وعدم الإعلان عنها .

فإنّ السيّدة زينب عليها السلام لمّا قدّمت ولديها وفلذتي كبدها عوناً ومحمداً فداءً بين يدي أخيها الإمام الحسين عليه السلام ، احتسبتهما لله، فلم تحضر مصرعهما، ولم تجهر بالبكاء عليهما ، ولم تذكرهما في شيء من مراثيها، ولم تنوّه باسمهما، ولم تتطرّق لشيء يخصهما، ويذكّر بشهادتهما ؛ كلّ ذلك تجلّداً منها وصبراً وتفانياً ومواساة ؛ كي لا تمنّ على أخيها الإمام الحسين عليه السلام بهما، ولا يمس أخاها الضرّ من أجلهما .

وكذلك كان أبو الفضل العبّاس عليه السلام بالنسبة إلى شهادة ولديه بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام ؛ حيث شاطر أخته السيّدة زينب عليها السلام في ذلك .

الرأفة والرحمة بالمتعلمين

الرأفة والرحمة بالمتعلمين(١)

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

إن الجاذبيّة الموجودة في العالم، كقوة الجاذبية في المجرات أو بين الحيوانات، وجميع النعم الموجودة في الدنيا كلها من ألطاف الله، نرى في الروايات أن الله يقول: إن رحمتي واسعة وقد قسمتها إلى مئة قسم، وأعطيت قسماً لعالم الوجود، والمحبة الموجودة في الدنيا من قبل عطف الأم على ابنها، أو ذلك الانجذاب الذي يُشاهد بين أفراد البشر وبين باقي الموجودات كلها من جزء واحد من الرحمة الإلهية، والباقي من رحمته أكبر من عطف جميع المخلوقات مئة مرة.

والقرآن يبيّن لنا هذا الشيء في قالب قصصي، مخاطباً موسى عليه السلام لدى بعثه: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه: ٤٢-٤٣].

فلم يطلب موسى جيشاً جراراً لمقابلة فرعون وإنما قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه: ٢٥] حتى أتمكن من مواجهة المعضلات ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ

(١) مقتبس من كتاب خصائص المعلم الناجح - للعلامة حسين مظاهري - أعلى الله مقامه - بتصرف.

أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٦] حتى تسهل الصعاب، ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧] حتى أتمكن من التكلم بيسر أمام الآخرين لأن الذين لا يتمكنون من ضبط النفس يصابون باللكنة في كلامهم، ولا يتمكنون من انتقاء المفردات المناسبة. أما لو ضبطوا أنفسهم لأوصلوا إلى المخاطب القول حتى يفقهه ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٨].

ورد في رواية أن امرأة سألت الزهراء عليها السلام فأجابتها عليها السلام، وعندما ذهبت المرأة نسيت الجواب في أثناء الطريق، فعادت أدراجها وكررت سؤالها ثانية وحصلت على الجواب، فنسيته مرة أخرى وعاودت الكرة، قال الشهيد الثاني عليه الرحمة في (منية المريد): إن هذا العمل من المرأة تكرر عشر مرات، اعتذرت المرأة في المرة العاشرة من الزهراء عليها السلام وقالت: (إني سريعة النسيان وأريد جواب المسألة لشخص آخر) فأجابتها الزهراء عليها السلام ملاطفة إياها: (إن سؤالك إياي يجعل لك الحق علي، لا عليك) وهذه الجملة تبيّن مدى تواضع الزهراء عليها السلام: (إني أحصل بإزاء كل جواب درجات عالية في الجنة).

وهناك رواية تقول: لو تتلمذ عليك طفل أو شاب سقيم الذهن فعليك من خلال الصبر والتأمل والملاطفة (لأنه مسلم تريد قضاء حاجته) أن تقوم بتعليمه، وهذا أكبر بكثير من سبعين حجة مقبولة، وصلاة الليل أو اعتكاف سنة.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف حجة متقبلة...»[1]، هذا الحج الذي يقول عنه الإمام

(١) مشكاة الأنوار - / ص ٥٨.

الصادق عليه السلام: كل طواف منه ستة آلاف حسنة، ويغفر لأجله ستة آلاف ذنب. وقد نقل الكليني رحمه الله في الكافي حوالي خمسين حديثاً بهذا المضمون.

ولو أنهم قاتلوا وخاصموا (أي ولو أن الأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم السلام) فقد اضطروا إلى القتال اضطراراً وأُجبروا على استئصال غدد المجتمع السرطانية.

قال الإمام علي عليه السلام: (عندما رأت قريش تصاعد دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سعت إلى إطفاء نوره، فأثاروا الأطفال ضده وأمروهم أن يقذفوه بالحجارة وأن يمنعوه من الخروج إلى قاعة الدروس أو أن يتصل بالناس، وأحياناً يمطرون بيته بالحجارة إذا عاد إليه، ولكنه يتهيّأ في اليوم القادم إلى الخروج) فكانت تسأله خديجة: (إلى أين؟) سلام الله عليها فيجيبها صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا تشاهدين وضع الناس وكيف قد أشرفوا على الهلاك؟ وأنا معلمهم ومنقذهم الرحيم، فإنهم لجهلهم لا يأتون إليَّ، فعليَّ أن أذهب أنا إليهم).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (كان النبيُّ أحياناً يلتجئ إلى غار حراء، فننقل له أنا وخديجة الماء والطعام، فنعثر عليه بجانب العشب والحجارة متمتماً: إلهي! أنت تعلم بأني مبعوث لهداية قومي، وأريد لهم الهداية، فلو أردت إدخال السرور عليّ فاهدهم حتى وإن أصابوني بأنواع الأذى). وكان هذا دأبه حتى عندما بعث، فكان يدعو لهم في أوقات استجابة الدعاء. وعندما سيطر على مكة فإن أول شيء قام به هو تهديم الأصنام لكي يمهد الأرضية للتربية فتمسك بحلقة باب الكعبة واصطف أمامه الذين لم ينصاعوا لأمره سابقاً، وكانوا يهربون من درسه ويرمونه

بالحجارة، وقد استولى عليهم الذعر، وأيقنوا من أن المعلم سيقوم بتأديب تلاميذه، وأن علي بن أبي طالب عليه السلام سيقوم بأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقطع رؤوسهم ورؤوس أمثال هند آكلة الأكباد، فقرأ الرسول دعاء الوحدة[١]، ثم التفت إليهم وقال: ماذا ترون أني صانع بكم؟ فقال الجميع: إن كل ما تفعله بنا نستحقه. فتبسم الرسول وقام لهم بعطف ورأفة: أقول لكم ما قاله أخي يوسف لإخوته، قد انقضى ما مضى والآن تعالوا وتتلمذوا وتعلموا كيف ينبغي أن يكون الإنسان؟

(١) لا إِلهَ إلاَّ اللهُ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَلا نَعْبُدُ إلاّ إيّاهُ مُخْلِصينَ لَهُ الدّينَ وَلَوْ كَرَهَ الْمُشْرِكُونَ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّنا وَرَبُّ آبائنَا الأوَّلينَ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ، أنْجزَ وَعْدَهُ وَنَصرَ عَبْدَهُ وأَعَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الأحْزابَ وَحْدَهُ، فَلَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيي وَيُميتُ وَيُميتُ وَيُحْيي وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْء قَديرٍ/ نقلاً عن أنيس المؤمنين - ص ١/ لآية الله العظمى محمد تقي المدرسي دامت إفاضاته.

كيف نكون معلمين أو مربين ناجحين؟

القسم الأول

كيف نكون معلمين أو مربين ناجحين؟

القسم الأول(١)

ماذا نصنع حتى نكون معلمين ناجحين؟ وهذا سؤال جيد بالخصوص للمعلمين الأعزاء

والجواب هو: يجب أن تتوفر فينا فضائل أو شروط حتى يتم لنا ذلك ومن تلك الشروط:

أن يعرف المعلم قدره ومنزلته

إن عمل المعلم عمل رباني ودوره في المجتمع كدور الرسول الأكرم، وجميع الأنبياء والأوصياء، ودور الروحانية فإن أول سورة نزلت على الرسول الأكرم ﷺ هي سورة العلق وهي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥]. وفي هذه الآيات يعرّف الله نفسه كمعلم ويقول في سورة الجمعة: إن الغاية من بعث الرسول الأكرم ﷺ وتنزيل القرآن، وبعبارة أخرى: إن الهدف من بعث جميع الأنبياء والكتب السماوية، هو (التربية والتعليم) فالهدف من القرآن أولاً هو

(١) ينظر كتاب خصائص المعلم الناجح للعلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه.

تهذيب النفس (التربية)، وثانياً رفع المستوى العلمي (التعليم) لدى الإنسان وفي تكرار هذه الآية في القرآن يتضح دور المعلم في المجتمع. فالقرآن يقول: إن عمل المعلم هو عمل إلهي، ودوره دور الأنبياء وجميع الكتب السماوية، ولا ينبغي الاستخفاف بهذا الكلام. على المعلم أن يلتفت إلى أن بإمكانه أن ينتج كثيراً، وليس بإمكانه أن يزوّد المجتمع بأفراد صالحين فحسب، بل ويمكنه أيضاً إصلاح الطالحين، وتعديل الاتجاهات التربوية الخاطئة فلو كان هناك شاب، أو يافع لوثه الجو العائلي فالمعلم الخبير الصالح بإمكانه إصلاح هذا الطالح. وتوجد في التاريخ أمثلة كثيرة على ذلك وهذه هي منزلة المعلم وكرامته في الدنيا أما في الآخرة فليس هناك عبادة فوق التعليم والتعلم.

دخل الرسول الأكرم ﷺ المسجد، فرأى مجموعة منهمكة بالدعاء والتسبيح، فتجاوزها، فرأى مجموعة أخرى تتدارس فيما بينها، فجلس وقال ثلاثاً: (إنما بعثت للتعليم)(١).

في اليوم الأول من واقعة خيبر انكسر المسلمون وكذلك في اليوم الثاني والثالث، فتجرأ العدوّ، وكان هناك أشخاص أيضاً يقومون بالطعن من الخلف ويثبطون المعنويات، وكان الوضع خطيراً بالنسبة إلى الإسلام، فقال الرسول: (سأعطي الراية غداً إلى شخص يحبه الله وأحبه أنا وهو أيضاً يحب الله ويحبني)(٢) وفي الغد استدعى الرسول ﷺ أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقال:(يا رسول الله إن عيني تؤلمني ولا أستطيع

---

(١) شرح أصول الكافي - المولى محمد صالح المازندراني - (ج ٣/ ص ١٧٤) في بذل العلم منافع كثيرة: منها: التشبه بالأنبياء، لأنهم إنما بعثوا للتعليم.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي.

خوض المعركة) فأدناه الرسول منه ومسح على عينه بلعابه فشفي، ثم أعطاه الراية وقيادة الجيش، فكان أمير المؤمنين راكباً والرسول راجلاً وفي هذا الوضع الحساس كان على الرسول أن ينطق بشيء عميق، فقال جملة هي منزلة عالية للمعلم ومفخرة له، فقد قال: (لأن يهد الله بك رجلاً، خير لك من الدنيا وما فيها، أو خير لك مما طلعت عليه الشمس).

وقد ورد في الأحاديث أن الملائكة تنشر أجنحتها لطلاب العلم، ثم ترجع إلى السماء مغتبطة، لأن أجنحتها صارت فراشاً للتعليم والتعلم[١].

وفوق كل هذا، فقد أعطى القرآن درجة للمعلم لو فخر بها ليلاً ونهاراً لكان ذلك قليلاً منه، حيث قال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المَائدة: ٣٢]. وبناء على التفسير[٢] الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام في

(١) الكافي للكليني - (ج ١/ ص ٤٤) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر.

(٢) تفسير الميزان - العلامة الطباطبائي - (ج ٥/ ص ١٨٥) وفي الكافي، بإسناده عن فضيل بن يسار قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: من حرق أو غرق قلت: من أخرجها من ضلال =

هذه الآية الشريفة هو أنه لو تمكن شخص من تعليم جاهل وتزويد المجتمع بشخص متعلم فليس ثوابه كمن أحيا نفساً واحدة وإنما كمن أحيا الناس جميعاً وفي عصرنا الحاضر لو تمكن شخص من أن يعلّم شخصاً القراءة والكتابة فكأنما أحيا خمسة مليارات نسمة هذه هي درجة المعلم، ونحن نأسف لأن أكثر المعلمين لا يعرفون قدرهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ)[1]. وقال أيضاً في نهج البلاغة عن المؤمن: (لا ترخص نفسك، فإن ثمنك الجنّة، فلا تبعها بأقل منها). وقال أيضاً: (لا تبع نفسك بالمال والشهوة والرئاسة وحب الدنيا). هذا بالنسبة إلى الناس العاديين.

إن هذه المطالب تقول للمعلم إن وظيفتك ربانيّة، فحذار من أن تبيع نفسك بالتفكير في قلة الرواتب والدنيا، ولا تضيع هذه المنزلة فكما توجد في الجيش رتب عسكرية من العريف إلى العقيد فكذلك يُعطى العالم درجة ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾.

= إلى هدى؟ قال: ذلك تأويلها الأعظم. أقول: ورواه الشيخ في أماليه والبرقي في المحاسن، عن فضيل عنه عليه السلام، وروي الحديث عن سماعة وحمران عن أبي عبدالله عليه السلام والمراد بكون الإنقاذ من الضلالة تأويلاً أعظم للآية كونه تفسيراً أدق لها، والتأويل كثيراً ما كان يستعمل في صدر الإسلام مرادفاً للتفسير.

(١) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ج٤: ٥١٧.

كيف نكون معلمين أو مربين ناجحين؟

القسم الثاني

كيف نكون معلمين أو مربين ناجحين؟

القسم الثاني[1]

ماذا نصنع حتى نكون معلمين ناجحين؟ وهذا سؤال جيد بالخصوص للمعلمين الأعزاء.

والجواب هو: يجب أن تتوفر فينا فضائل أو شروط حتى يتم لنا ذلك ومن تلك الشروط:

يجب أن يكون المعلم أميناً

قلنا: إن المعلم ينبغي له أن يعرف قدره وكل من لا يعرف قدر نفسه فسوف يهدر هذه النعمة، كالطفل الذي لا يعرف قيمة الجوهرة فإنه يفضل التمرة عليها.

وهذا الشرط أهم من الأول، إن المعلم أمين، بالضبط مثل الأب والأم مع فارق أن الأم والأب عليهما ثلاث أو عشر أمانات، أما المعلم فعليه أربعون أو خمسون أمانة على الأقل. ومن المحتمل، خلال عدة سنوات، أن يتحمل آلاف الأمانات، عليه أن يعيدها إلى المجتمع. المسألة المهمة الأخرى هي خطوة هذه الأمانة؛ فإن الطفل ليس كبقية

(١) ينظر كتاب خصائص المعلم الناجح للعلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه.

الأمانات فهو أمانة غالية بل أغلى من جميع المجوهرات. فإن الإسلام يعير الفرد قيمة كبيرة إلّا أن عصرنا الحاضر لا يعطي للإنسان أيَّ اعتبار، وهذا هو فرق الإسلام عن بقية القوانين المعاصرة. فالإنسان المعاصر يبذل عمره وفكره وأمواله في قتل الإنسان؛ فلا فرق في عصرنا هذا بين قتل الإنسان وقتل الخروف، فقد سمعتم عن كارل ماركس - هذا الذي أراد لأفكاره أن تحكم الدنيا - أنه يقول: (يجب على الجميع أن يعملوا بحسب طاقتهم ويأخذوا حسب حاجتهم) وهذا دليل على عدم إعارته للفرد قيمته وعندما تطالعون أفكار فرويد ودوركهايم ونيتشه تشاهدون كيف أنهم تنزلوا بالفرد حتى ساووه مع الحيوانات.

سيدي إنك تعادل مئة درهم

يحكى أن تيمورلنك دخل الحمام يوماً وسأل الدلّاك: (كم أُساوي)؟ فأجابه: (سيدي إنك تعادل مئة درهم)! فقال منزعجاً: (أيها الأحمق إن نعلي هذا يساوي لوحده ما ذكرت) فأجابه الدلاك: (معك الحق يا سيدي فقد قدرتُ قيمتك مع النعل)! ونحن حينما ندخل في المذاهب المعاصرة نراها قد ساوت بين الإنسان ونعله أو أنها قدرت النعال فقط.

وفي قبال ذلك كله فقد أعطى الإسلام للإنسان قيمة عالية وطبعاً هذا إذا ما حافظ الإنسان على إنسانيته، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ حرمة المؤمن كحرمة الكعبة»[1]، وفي القرآن الكريم ورد بلفظ آخر: ﴿مَن قَتَلَ

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (للخوئي).

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المَائدة: ٣٢].

لو ائتمنك شخص على جوهرة، فإنك ستتحمل السهر لأن الأمانة التي لديك غالية جداً. أما الإسلام فإنه يقول لك: إن هذه الجوهرة رغم غلائها ليست سوى حجارة وإن قيمة الشاب أو اليافع أكثر منها بآلاف المرات وعلى المعلم أن يدرك هذه الحقيقة: وهي أنه مؤتمن في السنة على أربعين أو خمسين شخصاً الذين هم، بالإضافة إلى قيمتهم العالية، سريعو التأثر بالعوامل الخارجية وخاصة في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة.

إن قانون المحاكاة، وهو من الألطاف الإلهية، هو الذي يحكم ذهنية الطفل، بمعنى أن الطفل يحاكي أمه وأباه ويقلدهما من دون دليل، وهذا القانون موجود في الكثير من الحيوانات ويكثر لدى الأطفال، أما في الكبار فإن هذا القانون خاضع لحكم العقل.

يقول المحللون النفسيون في بيان هذا القانون: لو أخذنا بنظر الاعتبار قطيعاً من الغنم تمشي في طريقها فواجهت حاجزاً بارتفاع متر واحد عن الأرض، فإن أول كبش يجتازه قافزاً وكذلك الثاني والثالث إلى الخامس عشر وهنا لو أزحنا هذا الحاجز، لرأينا أن بقية الخراف عندما تصل إلى الموضع الذي كان فيه الحاجز قائماً نراها تقفز تبعاً لمن تقدمها؛ لأنها تقلد سائر من تقدمها طبقاً لقانون المحاكاة. ولا تقوم على الفعل عن طريق الاستدلال ويقولون، أيضاً، عن الطفل: إنك لو سألته: هل تحبني؟ وتحرك رأسك إلى الأسفل علامة الإيجاب، سيقول: نعم، ولو سألته بعدها مباشرة هذا السؤال ورفعت رأسك إلى الأعلى

علامة النفي فسيجيب بالنفي، فمن وجهة نظر علم النفس فإن الطفل يتأثر بحركات الرأس.

ويشاهد هذا القانون بكثرة لدى العوام، وقد ذُم من قبل القرآن، ويخصه بفترة الطفولة، وأما في مرحلة البلوغ والنضج فينبغي تحكيم العقل لا العواطف، إن هذا القانون يعدّ نعمة كبيرة في مرحلة الطفولة؛ لأنه يسهل الأمر على الأبوين والمعلم في عملية التربية، ويجعله منقاداً إليهم ١٠٠٪، فهم يصنعون شخصيته من خلال كلماتهم وأفعالهم، فإن قوام الشخص وصوته والركاكة في الأدب أو الكلام وكذلك السلوك كلها تؤثر على الطفل بشكل غير مقصود. إن ذهن الطفل واليافع والشاب كالمرآة، ويرى علماء النفس أن عقل الإنسان يستقل بعد سن الأربعين.

من ناحية أخرى فإن رفع قانون المحاكاة بحاجة إلى جهد كبير؛ ولذا يرى القرآن أن عدم اتباع الرسول ﷺ لهذا القانون من بين معاجزه عندما يقول: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ١-٤] فإنها تقول: إن قانون المحاكاة لم يؤثر في الرسول ﷺ رغم المحيط الضال الذي عاش في كنفه وهذا من معجزاته.

ينقل أن الرسول ﷺ عندما كان له من العمر أربع سنوات أو خمس أراد أن يلعب مع إخوانه في الرضاعة في الصحراء، فنظفته أمه وغيرت ثيابه ثم علقت في رقبته تميمة، فسألها: (ما هذه)؟ فقالت له: (إنها تحفظك) فما أن نطقت بكلمة الحفظ حتى بادر الرسول إلى نزعها وإلقائها، وقال: (إن الله يحفظني).

بناء على ما ذكر، فلو كان المعلم بذيء اللسان فإنه سيعطي

المجتمع فرداً سليطاً، وهذه خيانة كبيرة. وهذا جرس إنذار للمعلم في أن الطفل لو ارتكب معصية فإنها ستسجل في لوحه (في صورة ما لو كان مكلفاً) وفي لوح معلمه. كما أنه لو صلّى الصلاة في وقتها نتيجة تأثره بصلاة معلمه فإن الثواب سيكتب في لوحيهما.

وقد قال الرسول ﷺ: (من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها)(١) ماذا صنع البهلوي؟ أتى بثقافة أملاها عليه أسياده في بريطانيا وأمريكا، وفي عصره كانت هناك ابتدائية وإعدادية وجامعة وكان حاصلها مجموعة من المغتربين أو المستشرقين ما عدا قلة قليلة، والشيء الذي لم يكن هو الاستقلال والدين.

إن سعادة الأجيال القادمة وشقاءها بيد المعلم، وإنه لو لم يكن أميناً - والعياذ بالله - وخان الأمانة فقد أوقع جيلاً كاملاً في الهوة ولو كان أميناً فإن ثواب الأجيال القادمة سيكتب له أيضاً قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٥] إن الطغاة مفسدون في الأرض؛ لأن عملهم هو إفساد المجتمع والأجيال، وإن البهلوي في إيران وأتاتورك في تركيا وآل سعود في الحجاز والقادياني في الباكستان والهند، هم مصاديق لمن يهلك الحرث والنسل. فإن إهلاك الحرث والنسل يتم مرة عن طريق المغول عندما دخلوا إيران، أي تدمير قرية بأكملها وقتل وأسر من فيها وتحطيم الأشجار وردم القنوات، كالفعل الذي أقدم عليه صدام،

(١) دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري: ص٧٥.

وأخرى عن طريق الفعل الذي يقوم به المعلم أو المدرس المادي، الشهواني، الذي يزوّد المجتمع بشاب ملحد، فاسد، فيفسد بالتالي الجيل الحاضر والقادم.

إنَّ الأمانة التي بيد المعلم خطيرة جداً، ثمينة وحساسة، عليكم أيها المعلمون الأعزاء أن تحافظوا على هذه الأمانة بشكل جيد.

كيف نكون معلمين أو مربين ناجحين؟

القسم الثالث

كيف نكون معلمين أو مربين ناجحين؟

القسم الثالث(١)

ماذا نصنع حتى نكون معلمين ناجحين؟ وهذا سؤال جيد بالخصوص للمعلمين الأعزاء.

والجواب هو: يجب أن تتوفر فينا فضائل أو شروط حتى يتم لنا ذلك ومن تلك الشروط:

الرأفة والعطف

إن اتصاف المسلم بالرأفة فضيلة؛ لأنها بيّنت في القرآن بالشكل الآتـي: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] وربما لا نعثر على فضيلة من الفضائل الإنسانية أكبر من هذه الفضيلة، وخاصة للمعلم. وكذلك هي الصفة الأولى في القرآن تذكر لله سبحانه وتعالى، وقد تكررت مئة وأربع عشرة مرة، وكأنك لو نظرت إلى الرحمن والرحيم لرأيت أنهما مطرزتان

(١) ينظر كتاب خصائص المعلم الناجح للعلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه.

بالنور كالأم التي تمطر رحمة وحناناً، فلو التفتنا إلى كلمة (الأم) لوجدناها علاوة على ما يكتنفها من النور، مليئة بالعطف. وإن رب الكائنات يؤكد كثيراً على هذا المعنى، وخاصة دور المعلمين، فإن الله بعث المعلم إلى الكرة الأرضية ثم خلق الخلق، وهذه من ألطاف الله الخفيّة والجليّة؛ فقد كان آدم معلماً ونبياً.

ونرى في القرآن أن الله يربي المعلم على يده، وهو موسى عليه السلام وعندما يبلغ أشده يبعثه إلى معلم آخر وهو شعيب فيتتلمذ على يده عشر سنوات، وهذا النبي ينطبق خلقه على ما ينبغي للمعلم أن يتخلق به، فإنّ رعي الأغنام الذي يستلزم صبراً كبيراً، وتواضعاً في سياسة الخراف لذا فإن هذا المعلم رعى الأغنام عشر سنوات تحت رعاية معلم آخر إلى أن صار معلماً، فخاطبه الله سبحانه: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣-٤٤] فأوصاه بأن لا يكون جلفاً غليظاً في دعوته لفرعون وهدايته، وأن يكون عطوفاً لأن الله يحب الهداية لفرعون.

إن الجاذبيّة الموجودة في العالم، كقوة الجاذبية في المجرات أو بين الحيوانات، وجميع النعم الموجودة في الدنيا كلها من ألطاف الله، نرى في الروايات أن الله يقول: إن رحمتي واسعة وقد قسمتها إلى مئة قسم، وأعطيت قسماً لعالم الوجود، والمحبة الموجودة في الدنيا من قبل عطف الأم على ابنها، أو ذلك الانجذاب الذي يشاهد بين أفراد البشر وبين باقي الموجودات كلها من جزء واحد من الرحمة الإلهية، والباقي من رحمته أكبر من عطف جميع المخلوقات مئة مرة. وعندما نراجع القرآن وخطابه إلى الأنبياء نراه يقول مخاطباً الرسول

الأكرم ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: ١٠٧]. وكذلك نرى الأنبياء كابدوا الآلام من أجل تحقيق الصفات العالية ولأجل هذه الصفة (صفة العطف) بعث الله خاتم الأنبياء، وعندما ندقّق في عمل هؤلاء المعلمين الصادقين نشاهد أن عمله عاطفي، ولو أنهم قاتلوا وخاصموا فقد اضطروا إلى القتال اضطراراً وأُجبروا على استئصال غدد المجتمع السرطانية. قال الإمام علي عليه السلام: (عندما رأت قريش تصاعد دعوة الرسول ﷺ سعت إلى إطفاء نوره، فأثاروا الأطفال ضده وأمروهم أن يقذفوه بالحجارة وأن يمنعوه من الخروج إلى قاعة الدروس أو أن يتصل بالناس، وأحياناً يمطرون بيته بالحجارة إذا عاد إليه، ولكنه يتهيّأ في اليوم القادم إلى الخروج) فكانت تسأله خديجة: (إلى أين؟) فيجيبها ﷺ: (ألا تشاهدين وضع الناس وكيف قد أشرفوا على الهلاك؟ وأنا معلمهم ومنقذهم الرحيم، فإنهم لجهلهم لا يأتون إليَّ، فعليَّ أن أذهب أنا إليهم).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (كان النبيَّ أحياناً يلتجئ إلى غار حراء، فننقل له أنا وخديجة الماء والطعام، فنعثر عليه بجانب العشب والحجارة متمتماً: إلهي! أنت تعلم بأني مبعوث لهداية قومي، وأريد لهم الهداية، فلو أردت إدخال السرور عليّ فاهدهم حتى وإن أصابوني بأنواع الأذى).

وكان هذا دأبه حتى عندما بعث، فكان يدعو لهم في أوقات استجابة الدعاء. وعندما سيطر على مكة فإن أول شيء قام به هو تهديم الأصنام لكي يمهد الأرضية للتربية فتمسك بحلقة باب الكعبة واصطف أمامه الذين لم ينصاعوا لأمره سابقاً، وكانوا يهربون من درسه ويرمونه

بالحجارة، وقد استولى عليهم الذعر، وأيقنوا من أن المعلم سيقوم بتأديب تلاميذه، وأن علي بن أبي طالب سيقوم بأمر الرسول ﷺ بقطع رؤوسهم ورؤوس أمثال هند آكلة الأكباد، فقرأ الرسول دعاء الوحدة، ثم التفت إليهم وقال:

(ماذا ترون أني صانع بكم؟) فقال الجميع: (إن كل ما تفعله بنا نستحقه) فتبسم الرسول وقام لهم بعطف ورأفة: (أقول لكم ما قاله أخي يوسف لإخوته، قد انقضى ما مضى والآن تعالوا وتتلمذوا وتعلموا كيف ينبغي أن يكون الإنسان؟).

نموذج من الرحمة الإلهية

نموذج من الرحمة الإلهية

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

التّفسير[1]

يرى بعض المفسرين أنّها نزلت في فريق من المذنبين قدموا على رسول الله ﷺ وقالوا: إنّهم قد أذنبوا كثيراً، فسكت النّبي ﷺ حتى نزلت الآية.

ومهما يكن سبب نزول الآية، فالذي لا شك فيه أنّ معناها واسع وشامل، لأنّها تبدأ أوّلاً بالطلب من رسول الله ﷺ أن لا يطرد المذنبين مهما عظمت ذنوبهم، بل عليه أن يستقبلهم ويتقبلهم: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ﴾.

يحتمل أن يكون هذا السّلام من الله بوساطة رسوله ﷺ، أو أنّه من الرّسول ﷺ مباشرة، وهو - على كلا الاحتمالين دليل على القبول والترحيب والتفاهم والمحبّة.

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - (ج ٤ ص ٣٠٣): / بتصرف.

ثمّ تقول الآية: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿كَتَبَ﴾ تأتي في كثير من الأحيان كناية عن الإلزام والتعهد، إذ إنّ من نتائج الكتابة توكيد الأمر وثبوته.

وفي الجزء الأخير من الآية - وهو توضيح وتفسير لرحمة الله - يتحدث بلهجة عاطفية: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

و«الجهالة» في مثل هذه المواضع تعني طغيان الشهوة وسيطرتها، والإنسان بسبب هذه الأهواء المستفحلة، لا بسبب عدائه لله وللحق - يفقد المقدرة العقلية والسيطرة على الشهوات، مثل هذا الشخص - وإن كان عالماً بالذنب والحرمة - يسمى جاهلاً، لأنّ علمه مستتر وراء حجب الأهواء والشهوات، وهذا الشخص مسؤول عن ذنوبه، ولكنّه يسعى لإصلاح نفسه وجبران أخطائه لأنّ أفعاله لم تكن عن روح عداء وخصام.

تأمر الآية رسول الله ﷺ أن لا يطرد أي شخص مؤمن مهما تكن طبقته وظروفه وعنصره، بل عليه أن ينظر إلى الجميع بعين المساواة، وأن يحتضنهم ويعمل على إصلاحهم حتى وإن كانوا ملوثين بالذنوب.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: أول ما ينزع من العبد الحياء فيصير ماقتاً ممقتاً، ثم ينزع الله منه الأمانة فيصير خائناً مخوناً، ثم ينزع الله منه الرحمة فيصير فظاً غليظاً، ويخلع دين الإسلام من عنقه فيصير شيطاناً لعيناً ملعوناً[1].

(١) الاختصاص/ ص ٥.

كيف تعامل نبي الله يوسف عليه السلام مع إخوته بمقتضى الرحمة الإلهية؟

نبي الله يوسف عليه السلام وإخوته... عذبوه نفسياً بألفاظهم بسبب الحسد ولكن تعامل معهم بالرحمة الإلهية...طبعاً رذيلة الحسد من الرذائل المهلكة وعليه يقول إمام الأمة العارف الكبير السيد الإمام الخميني قدس سره الشريف: وأحياناً تصبح الملكات الفاسدة ومنها الحسد سبباً في أن يخلد الإنسان في جهنم لأنها تسلبه الإيمان، ولذا ورد في رواياتنا الصحيحة عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: «إنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الإيمَانَ كَمَا تَأْكُل النَّارُ الحَطَبَ»...وهذا يؤدي بصاحب تلك الملكات إلى نار جهنم وهي المعبّر عنها بجهنم الملكات الفاسدة(١)...

ثم عذبوه جسدياً وكادوا يقتلونه... وكانت وصيته أن لا ينقلوا الخبر لأبيهم خشية أن يدعو عليهم ولا إلى الناس خوفاً من أن تنتشر رذائل الأخلاق أو يقول الناس: إذا كان أولاد الأنبياء هكذا فكيف يأمروننا بالبر والاحترام...!!!.

قارون وحسده لموسى عليه السلام (٢)

...و لما قطع موسى عليه السلام ببني إسرائيل البحر جعل الحبورة وهي رئاسة المذبح وبيت القربان لهارون فكان بنو إسرائيل يأتون بهديتهم ويدفعونها إلى هارون فيضعها على المذبح فتنزل النار من السماء فتأكلها فوجد قارون في نفسه من ذلك وأتى موسى وقال: يا موسى لك الرسالة

(١) الأربعون حديثاً للخميني أعلى الله مقامه - / ص ٢٦)/ بتصرف.
(٢) قصص الأنبياء - (ج ١/ ص ٣٨١).

ولهارون الحبورة ولست في شي ء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما لا صبر لي على هذا فقال موسى: والله ما أنا جعلتها لهارون بل الله تعالى جعلها له فقال قارون: والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه فجمع موسى عليه السلام رؤساء بني إسرائيل وقال: هاتوا عصيكم فجاؤوا بها فخرمها وألقاها في القبة التي كان يعبد الله تعالى فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فأصبحت عصا هارون عليه السلام قد اهتز لها ورق أخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى: يا قارون: أترى هذا؟ فقال قارون: والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فذهب قارون مغاضباً واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم إلا كبراً ومعاداة لموسى عليه السلام حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني إسرائيل يميلون إلى مجالسته ومضاحكته.

ثم إن الله سبحانه أنزل الزكاة على موسى عليه السلام فصالح قارون على أن يعطي عن كل ألف دينار ديناراً وعن كل ألف شاة شاة وعن كل ألف شيء شيئاً فرجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى قد أمركم بكل شي ء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البغية فنجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم[1]. وقيل طشتاً من الذهب

(١) صنفان إذا صلحا صلح الناس: الأمراء والفقهاء، وإذا فسدا فسد الناس/ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة.

وقال لها: إني أموّلك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان الغد جمع قارون بني إسرائيل فخرج إليهم موسى فقام فيهم خطيباً فوعظهم وقال: من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مئة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا قال قارون: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة قال: دعوها فإن قالت فهو ما قالت، فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها: لئن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت: لا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي.

فلما تكلمت بهذا الكلام نكس قارون رأسه وعرف أنه وقع في مهلكة وخرّ موسى ساجداً يبكي ويقول: يا رب إن عدوّك قد آذاني وأراد فضيحتي اللّهم فإن كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه فأوحى الله سبحانه إليه ارفع رأسك ومر الأرض بما شئت تطعك فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله قد بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون ومن كان معه فليثبت معه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا قارون ولم يبق معه إلّا رجلان ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى كعابهم، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى حقوتهم ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم وقارون وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى عليه السلام ويناشد قارون الله

والرحم حتى ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال: يا أرض خذيهم فأطبقت عليهم الأرض.

فأوحى الله إلى موسى ما أظنك استغاثوا بك سبعين مرة فلم ترحمهم ولم تغثهم، أما وعزتي وجلالي لو إياي دعوني مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً.

كيف ومتى يفضح الله العبد؟

قال الإمام الصادق عليه السلام [1]: إنّ لله تبارك وتعالى على عبده المؤمن أربعين جُنَة، فمتى أذنب ذنباً كبيراً رفع عنه جُنَة فإذا اغتاب أخاه المؤمن بشيء يعلمه منه انكشفت تلك الجُنَن عنه ويبقى مهتوك الستر فيفتضح في السماء على ألسنة الملائكة، وفي الأرض على ألسنة الناس، (وكأن الفضيحة تبدأ من الباطن ومن ثم تنتقل إلى الظاهر) ولا يرتكب ذنباً إلّا ذكروه، ويقول الملائكة الموكلون به: يا ربنا قد بقي عبدك مهتوك الستر وقد أمرتنا بحفظه، فيقول عز وجل: ملائكتي لو أردت بهذا العبد خيراً ما فضحته فارفعوا أجنحتكم عنه فوعزتي لا يؤول بعدها إلى خير أبداً.

(١) الاختصاص.

من حقوق الجار

من حقوق الجار

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ [النِّساء: ٣٦].

الجار ذي القربى: أي القريب لنسب أو مصاهرة[1]، الجار الجنب: أي الأجنبي مؤمناً كان أو كافراً. أو المراد - بالجار ذي القربى - الجار القريب داراً أو نسباً[2] - والجار الجنب - هو البعيد جواراً أو نسباً، الصاحب بالجنب - الرفيق في السفر، أو الزميل في التعليم، أو في الحرفة.

الجار في الأحاديث:

- عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من سعادة المرء المسلم في الدنيا الجار الصالح والمسكن الواسع والمركب البهي».
- وعنه ﷺ [3]: «مَن آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنة ومأواه

(١) أيسر التفاسير للجزائري - (ج ١/ص ٢٦١).
(٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام للسيد مهدي الصدر أعلى الله مقامه.
(٣) روضة الواعظين.

جهنّم وبئس المصير، ومَنْ ضيّع حقَّ جاره فليس منّا»[١].

- قال الإمام الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره»[٢].

لا يخفى أن أمر الجار شديد، وحثّ الشرع الأقدس على[٣] رعايته أكيد، والأخبار في وجوب كف الأذى عن الجار، وفي الحثّ على حسن الجوار كثيرة لا تُحصى ومنها:

- فعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».
- وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وآله أمر علياً عليه السلام وسلمان وأبا ذر - قال الراوي: ونسيت آخر وأظنه المقداد - أن ينادوا في المسجد بأعلى صوتهم بأنه: «لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً».
- وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه قال: «قرأت في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب: إن الجار كالنفس غير ضار ولا آثم وحرمة الجار كحرمة أمه».

---

(١) طبعاً مع عدم التوبة وإلّا قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

(٢) شرح أصول الكافي - المولى محمد صالح المازندراني.

(٣) تعليقات على مسائل مهذب الأحكام لآية الله السيد محمد تقي المدرسي دامت إفاضاته (ج ١ ص ٤٣٥).

- وروى الصدوق بإسناده عن الصادق عليه السلام عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنة ومأواه جهنم وبئس المصير، ومَن ضيّع جاره فليس مني».
- وعن الإمام الرضا عليه السلام: «ليس منا مَن لم يأمن جاره بوائقه».
- وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال والبيت غاص بأهله: «اعلموا أنه ليس منا مَن لم يحسن مجاورة من جاوره».
- وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسن الجوار يعمّر الديار وينسىء في الأعمار»، فاللازم على كل من يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر الاجتناب عن كل ما يؤذي الجار وإن لم يكن مما يوجب فساداً أو ضرراً في ملكه إلّا أن يكون في تركه ضرر فاحش على نفسه.

أهل البيت عليهم السلام وحسن الجوار[1]

لقد ترجم أهل البيت عليهم السلام أقوالهم إلى سلوك سويّ، أصبح قدوة حسنة لمن أراد الاقتداء به. فعلى سبيل المثال لا الحصر، كان الإمام السجاد عليه السلام، حريصاً على أداء حقوق الآخرين، وإن كانوا من أعدائه.. جاء في رواية الواقدي: إنّ هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد المخزومي كان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان، وقد أساء جِوار الإمام ولحقه منه أذى على حدِّ تعبير الراوي، فلما مات عبدالملك، عزله الوليد بن عبدالملك، وأوقفه للناس؛ لكي يقتصوا

(١) الحقوق الاجتماعية في الإسلام.

منه، فقال: والله إني لا أخاف إلّا علي بن الحسين، فمر عليه الإمام، وأمر خاصته أن لا يتعرض له أحد بسوء، وأرسل له: «إن كان أعجزك مال تؤخذ به، فعندنا ما يسعك، ويسد حاجتك، فطب نفساً منّا، ومن كل من يطيعنا»، فقال له هشام بن إسماعيل: الله أعلم حيثُ يجعل رسالته.

ومن طريف ما يحكى في حسن الجوار(١): «إن رجلاً كان جاراً لأبي دلف ببغداد، فأدركته حاجة، وركبه دين فادح حتى احتاج إلى بيع داره، فساوموه فيها، فسمى لهم ألف دينار، فقالوا له: إن دارك تساوي خمسمائة دينار. فقال: أبيع داري بخمسمائة، وجوار أبي دلف بخمسمائة، فبلغ أبا دلف الخبر، فأمر بقضاء دينه ووصله، وقال: لا تنتقل من جوارنا.

فانظر كيف صار الجوار يباع كما يباع العقار؟».

قال الشاعر ربيعة بن عامر:

مــا ضــرّ جــاري أن أُجــاورَهُ   أنْ لا يــكــون لِـبــابِــهِ ســتــرُ
أعـمـى إذا مـا جَـارتـي خَـرَجَـتْ   حَـتـى يُـواري جَـارَتـي الـخِـدْرُ
نَــاري ونَــارُ الــجــارِ واحِــدةٌ   وإلـيـه قَـبْـلـي يـنـزلُ الـقِـدرُ

(١) أخلاق أهل البيت عليهم السلام.

كيف نحافظ
على تماسك الأسرة؟

كيف نحافظ على تماسك الأسرة؟[1]

أولاً: حب الزوج لزوجته

أحبوا أهليكم وأولادكم، وتقربوا إليهم بالحديث الطيب مظهرين لهم محبتكم التي تنم عن عواطفكم الجياشة تجاههم وكونوا كما قال الرسول الأكرم ﷺ: «قول الرجل لامرأته إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً»[2].

لن تكون هناك عوامل أو أسباب تخرج المرأة أو الزوجة عن مسيرة العفة والطهارة إذا أحبت زوجها، لأن أغلب الانحرافات والخلافات التي يمكن أن تحدث للنساء أو للأولاد تبدأ من ضآلة ما يبديه الرجل لامرأته وسائر الأسرة من محبة واحترام.

لا شك أن كل فرد في المجتمع الإنساني يحتاج إلى المحبة، وهذه الحاجة تظهر بوضوح عند النساء أكثر وأقوى مما نجدها عند الرجال وأساس هذه المحبة فطرية.

فعلى الرجل أن يعمل بجهده ويبذل ما في وسعه لأن تحظى هذه

---

(١) الموضوع مقتبس من محاضرات أحد العلماء الكبار وأتصور للعلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه/ بتصرف من الكاتب.

(٢) وسائل الشيعة، ج٧، ص١٠.

المسألة بعناية خاصة داخل محيط الأسرة. فيسلك مختلف الطرق للفوز باعتماد الزوجة الذي ينبع من إظهار الودّ والمحبة لزوجته وأسرته جميعاً، حتى إذا عظم الودّ في نفوسهم تفادوا وضحى كل منهم من أجل الآخر.

وهذا ما نشاهد أثره في تنظيم سلوك الأسرة، وطالما ذُكّر الأئمة الأطهار به. قال الإمام الصادق عليه السلام: «من أخلاق الأنبياء حب النساء»(١).

وفي أحاديث أخرى للإمام الصادق عليه السلام: «يذكر فيها ما معناه أن: كلما زاد حب الرجل لزوجه كان إيمانه بالله أكثر»(٢).

و«كل شخص كان بنا أهل البيت رحيماً كان بزوجه أرحم»(٣).

وكذا قال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله»(٤).

من هنا، يتبيّن لنا أن العظماء أرادوا أن نتعلم من هذه التوصيات كيفية الحفاظ على المحيط الأسري وجعل المنزل مكاناً للأمن والاطمئنان، والابتعاد عن الأنظمة الاجتماعية الأرضية التي ما فتأت تفسد حياة الأسر وتسعى لتفتيت القوانين الاجتماعية بشكل عام والأنظمة الداخلية أي على صعيد الأسرة مما يسهم في اضمحلال وفساد وتمييع المجتمع البشري العالمي.

---

(١) وسائل الشيعة ج٧ ص٩ كتاب النكاح.
(٢) وسائل الشيعة ج٧ ص١١ كتاب النكاح.
(٣) نفس المصدر.
(٤) من لا يحضره الفقيه ص٣٢٤ - الحديث الخامس.

ثانياً: أن تحفظ الزوجة حقوق الزوج

إن حق الرجل يتمحور فقط حول استمتاعه بزوجته.

وما تنجزه من قبيل الطبخ والغسيل هو معروف منها تسديه إليه، وليس واجباً عليها له، وإن شاع أنها من الوظائف الأخلاقية للنساء وليست حقاً للرجال.

لذا نرى الرسول الأكرم ﷺ يذهب إلى بيت الزهراء - سلام الله عليها - في اليوم الأول بعد الزفاف من أجل أن يبارك لهما الزواج يقسم الأعمال بين هذين العظيمين قائلاً ما معناه: «يا زهراء، إن أعمال المنزل، من قبيل الخبز أو طحن الشعير والحنطة، وتنظيف الدار، ورعاية الأطفال سهمك؛ أما سهم أمير المؤمنين عليه السلام فيتمثل في تهيئة الحطب، وجلب الماء، وترتيب ما يحتاجه المنزل من مواد أخرى تجلب من خارج المنزل».

بعدها، تفوهت فاطمة الزهراء عليها السلام بهذه العبارة التي ينبغي أن تلزمها كل المؤمنات وهي: «لا يعلم إلّا الله ما داخلني من السرور في هذا الأمر»[1].

ثالثاً: الحقوق العاطفية

ما أجدر بالزوجين أن يكونا رفيقين رحيمين يعطف أحدهما على الآخر ويعينه على النهوض بخدمة الأسرة التي يشتركان في إدارتها! فإنهما إن لم يكونا كذلك انفرطت الأسرة وخسرت شركتهما.

(١) هذه الرواية مع بعض التغيير والإضافة موجودة في ج١٠ من بحار الأنوار ص٢٤ - ٢٥... الكلام للعلامة الذي أشرنا إليه في البداية.

ولو حكم القانون وحده علاقات الأسرة، وتوقف العمل على أداء الواجبات فقط، لتوترت حياة تلك الأسرة، وأصابها الخسران.

وكذا لو حكمت العاطفة لوحدها.

لذا يستلزم أن يكون القانون إلى جنب العاطفة في تحكيم الروابط الأسرية.

مع وجوب التزام الرجل والمرأة مراعاة القوانين الإسلامية يجب أن يكونا رفيقين يعطف أحدهما على صاحبه.

رابعاً: التعاون بين الزوجين

- كان رسول الله ﷺ على يومه قد ذهب إلى منزل أمير المؤمنين عليه السلام فوجده ينظف عدساً، فسرّ الرسول ﷺ بهذا العمل وقال: «يا علي، من أعان زوجه على عمل في المنزل، كان له ثواب عمرة»(١).
- وقال ﷺ: «إنّ الرجل ليؤجر في رفع اللقمة **إلى فم امرأته**»(٢).
- وقال ﷺ: «مَنْ دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور»(٣).
- وقال ﷺ: «يا علي، خدمة العيال كفّارة للكبائر، وتطفئ غضب الرب، ومهور الحور العين، وتزيد في الحسنات والدرجات»(٤).

---

(١) لم أعثر على مصدره وعليه أوردنا أحاديث مشابهة له في المعنى/ من الكاتب.
(٢) أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع.
(٣) روضة الواعظين ج٢.
(٤) جامع الأخبار.

- جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ وقالت: لي سؤال أوجهه لك نيابة عن كل نساء العالم من الآن حتى يوم القيامة: لماذا فرقت بين الرجل والمرأة في الجهاد مما يبعث على حرمانها من الأجر والثواب الذي خصصت به الرجال دون النساء؟ فأجابها الرسول الأكرم ﷺ: «جهاد المرأة حسن التبعل»(١).

طبعاً خدمة الزوجة لزوجها وإدارة بيتها بالصورة المطلوبة أخلاقياً يترتب عليها آثار شرعية وأخلاقية... وثواب عظيم وهذا ما بيّنه صادق آل البيت عليه وعليهم السلام حيث قال: سألت أُمُّ سلمى رسول الله ﷺ عن فضل النساء في خدمة أزواجهن، فقال: أيّما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلّا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذّبه(٢).

- وعنه عليه السلام أيضاً قال: أيّما امرأة خدمت زوجها سبعة أيّام إلّا أغلق الله عنها سبعة أبواب النار، وفتح لها ثمانية أبواب الجنّة تدخل من أيّها شاءت(٣).

- وعنه عليه السلام أيضاً قال: ما من امرأة تسقي زوجها شربة ماء إلّا كان خيراً لها من عبادة سنة(٤).

وعلى هذا الأساس، يجب على المرأة أن تنظف منزلها على أكمل

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: كتب الله الجهاد على الرجال والنساء، فجهاد الرجل بذل ماله ونفسه حتى يقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة حسن التبعل (وسائل الشيعة ج١١ ص١٥).
(٢) الأمالي للطوسي.
(٣) ميزان الحكمة - الريشهري ج٤ - باب الزواج.
(٤) نفس المصدر.

وجه، وتطبخ الطعام، وتغسل الملابس، وتربي الأولاد، وتتزين لزوجها لتكون مشغولة دائماً في الخطوط المتقدمة للجهاد في سبيل الله تعالى.

نموذج للمرأة الصالحة (امرأة أبي أيوب الأنصاري)[١]

لقد كان لأبي أيوب الأنصاري ولد له من العمر سنتان أو ثلاث توفي في غياب أبي أيوب عن الدار، فجلست زوجه في البيت تندب ابنها وتبكي لفراقه، ولكنها نحت الغلام جانباً، وتزينت لزوجها واستقبلته بوجه بشوش ساعة عاد إليها وكأن شيئاً لم يكن.

أفاق أبو أيوب عند السحر قاصداً المسجد ولكن زوجته واجهته بسؤال قائلة: يا أبا أيوب إذا ما ائتمنك شخص على شيء وجاءك بعد مدة يريد استرداده منك، هل ترده إليه أو لا؟

فقال: نعم. أرده إليه.

فقالت: قبل ثلاثة أعوام ائتمننا الله على أمانة وبالأمس استردها فعليه عجّل بالمجيء بعد الصلاة لدفن ابننا.

فقال أبو أيوب: «الحمد لله رب العالمين». ومضى إلى المسجد؛ وعرض على رسول الله ﷺ ما جرى.

فاستبشر الرسول ﷺ وقال له: «بارك الله لك في ليلتك تلك». وتتفق الأقدار على أن تنعقد نطفة في تلك الليلة ليأتي بعد مدة ابن صالح كان نصيباً صالحاً لذلكما الطيبين.

(١) نساء هن المثل الأعلى ص ٦٢/ مؤسسة البلاغ - ولكن برواية أخرى.

القوانين والنظم
الحاكمة للزوجة والزوج

القسم الأول

القوانين والنظم الحاكمة للزوجة والزوج(١)

القسم الأول

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

قال العلامة صاحب الأمثل(٢): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ أي من جنسكم والغاية هي السكينة الروحية والهدوء النفسي وحيث إن استمرار العلاقة بين الزوجين خاصة، وبين جميع الناس عامة،يحتاج إلى جذب قلبي وروحاني، فإنّ الآية تعقب على ذلك مضيفةً: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

ولمزيد التأكيد تُختتم الآية بالقول: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

الطريف هنا أن القرآن - في هذه الآية - جعل الهدف من الزواج الاطمئنان والسكن، . . . والحقّ أن وجود الأزواج مع هذه الخصائص للناس التي تعتبر أساس الاطمئنان في الحياة، هو أحد مواهب الله العظيمة.

---

(١) فكرة الموضوع مقتبسة من محاضرات أحد العلماء الكبار وهو العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه بتصرف من الكاتب.

(٢) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - (ج ١٢ ص ٤٩٤).

وهذا السكن أو الاطمئنان ينشأ من أن هذين الجنسين يكمّل بعضهما بعضاً، وكل منهما أساس النشاط والنماء لصاحبه، بحيث يعدّ كل منهما ناقصاً بغير صاحبه، فمن الطبيعي أن تكون بين الزوجين مثل هذه الجاذبيّة القوية.

ومن هنا يمكن الاستنتاج بأنّ الذين يهملون هذه السنّة الإلهية وجودهم ناقص، لأنّ مرحلة تكاملية منهم متوقفة، (إلّا أن توجب الظروف الخاصة والضرورة في بقائهم عزّاباً).

وعلى كل حال، فإنّ هذا الاطمئنان أو السكن يكون من عدّة جهات: «جسمياً وروحيّاً وفردياً واجتماعيّاً».

يرتكز النظام الأسري وروابط الرجل بزوجته على مسائل مهمة وهي القوانين والنظم الحاكمة لهذين الاثنين، أعني حقوق المرأة على زوجها، وحقوقه عليها، ومن أجل الحفاظ على تماسك الأسرة لابد من التعرف على هذين الحقين فنقول:

حقّ القيمومة: قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤].

فالأسرة باعتبارها أصغر وحدة في البناء الاجتماعي بحاجة إلى قيّم ومسؤول عن أفرادها له حقّ الإشراف والتوجيه ومتابعة الأعمال والممارسات، وقد أوكل الله تعالى هذا الحق إلى الزوج، فالواجب على الزوجة مراعاة هذا الحق المنسجم مع طبيعة الفوارق البدنية والعاطفية لكلٍّ من الزوجين، وأن تراعي هذه القيمومة في تعاملها مع الأطفال وتشعرهم بمقام والدهم.

ومن الحقوق المترتبة على حق القيمومة:

١ - **حق الطاعة**: قال رسول الله ﷺ: «أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تصدّق من بيتها شيئاً إلّا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلّا بإذنه، ولا تمنعه نفسها، وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلّا بإذنه...»[١].

حتى إنّه ورد كراهة إطالة الصلاة من قبل المرأة لكي تتهرب من زوجها، قال رسول الله ﷺ: «لا تطوّلن صلاتكن لتمنعنَّ أزواجكن»[٢].

٢ - **يجب عليها إحراز رضاه في أدائها للأعمال المستحبة**: فلا يجوز لها الاعتكاف المستحب[٣] إلّا بإذنه، ولا يجوز لها أن تحجّ استحباباً إلّا بإذنه، وإذا نذرت الحج بغير إذنه لم ينعقد نذرها[٤].

ومن أجل تعميق العلاقات العاطفية وإدامة الروابط الروحية وإدخال السرور والمتعة في نفس الزوج، يستحب للمرأة الاهتمام بمقدمات ذلك، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما حقّ الزوج على المرأة؟ قال: أكثر من ذلك، فقالت: فخبّرني عن شيء منه فقال: ليس لها أن تصوم إلّا بإذنه - يعني تطوعاً - ولا تخرج من بيتها إلّا باذنه، وعليها أن تتطّيّب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتتزيّن بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية وأكثر من ذلك حقوقه عليها»[٥].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٧.
(٢) الكافي ٥: ٥٠٨.
(٣) الكافي في الفقه: ١٨٧.
(٤) الوسيلة إلى نيل الفضيلة: ١٩١.
(٥) الكافي ٥: ٥٠٨.

وهناك نساء في القمة من أجل الحفاظ على العلاقات الزوجية وإليكم هذه القصة: **بعنوان «مغناطيس الزوجة الصالحة أقوى من جاذبية الأرض»**.

الشيخ راغب له فضيلة علمية بارزة، وهو محترم جداً في الأوساط الحوزوية والمجتمع، يتحلى بالتقوى والصلاح، وهو طيب النفس، إلّا أنه عصبي وحاد المزاج تقدّم وهو في الخامسة والعشرين من عمره لخطبة نجية، وهي في الحادية والعشرين من عمرها تخرجت نجية من الثانوية العامة، ، القسم الأدبي، بتقدير ممتاز، إلّا أنها فضلت الالتحاق بالحوزة على الدراسة في الجامعة وكانت نجية تعرف الشيخ راغب من خلال الحوزة، وتعرف فضيلته العلمية، وتعرف أخلاقه وحدة مزاجه ولما تقدم لخطبتها وسألت عائلتها عنه، قيل لهم ما كانت تعرفه عنه، إلّا أنها كانت تعتقد، بأنها تمتلك الدواء الناجع، لعلاج عصبيته وحدة مزاجه، وأنها قادرة على علاجه بامتياز، فوافقت على الزواج منه تزوجا، وكانت سفينة حياتهما الزوجية تشق طريقها: على نسيم طيب النفس، وأمواج الغضب، وحدة المزاج، وإعصارها، من جانبه، وعلى مجاديف الصبر، والفكاهة، والابتسامة، والدلال، والإصرار، والجدال، من جانبها، لقد كانت تستخدم هذه العناصر الستة ببراعة ودهاء، للتأثير على وضع السفينة وتحديد مسارها. فكانت تستفزه بإصرارها وفكاهتها، وتنفذ إلى أعماق عقله وضميره بجدالها الديني والمنطقي، وتحتويه بصبرها ودلالها وابتسامتها.

في ذات يوم جادلته، وقالت له بإصرار: أنت جاهل !!

فقال مستنكراً وغاضباً: أأنا جاهل؟!

فقالت: نعم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وأحيى العباد !!فالعلم يا شيخ: ليس حشو الكتب في الدماغ، فمن كان همه حشو الكتب في خرج رأسه، فهو كالحمار يحمل أسفاراً، العلم يا شيخ نور ورحمة، قال الله تعالى يصف أخلاق الرسول ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «ألا أخبركم بأشبهكم بي أخلاقاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: أحسنكم أخلاقاً، وأعظمكم حلماً، وأبركم بقرابته، وأشدكم إنصافاً من نفسه في الغضب والرضا»، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ثمرة العقل مداراة الناس»، وقال: «الحلم نور جوهره العقل»، وقال: «عليك بالحلم فإنه ثمرة العلم» فحدة المزاج والغضب الزائد لأتفه الأسباب، ليسا من الإيمان والصحة الروحية في شيء، وليسا من أخلاق العلماء الروحانيين، الغضب يا شيخ جمرة من الشيطان، وهو مفتاح كل شر، فالمعاصي كلها تتولد من الغضب والشهوة، وأقرب ما يكون العبد إلى غضب الله عز وجل إذا غضب، وإن الغضب يفسد الألباب، ويبعد عن الصواب، ويحول دون استيفاء النظر، ولا رأي لغضبان ولا حكم.

إلّا أن الشيخ راغب لم يقبل من زوجته، واعتبر كلامها هذا تجرؤاً زائداً عليه، وهتكاً لحرمته العلمية والدينية، فأحضر في اليوم نفسه شاهدين، وطلقها ثم قال لها: اذهبي إلى بيت أهلك،

فقالت: لن أذهب إلى بيت أهلي، ولن أخرج من هذا البيت إلّا بحتف أنفي !!

فقال لها: لقد طلقتك، ولا حاجة لي فيك، اخرجي من بيتي.

فقالت: لن أخرج، ولا يجوز لك إخراجي من البيت حتى أخرج من العدة وعليك النفقة.

فقال: هذه جرأة ووقاحة وقلة حياء.

قالت: لست أكثر تأديباً من الله جل جلاله، وقرأت قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطّلاق: ١].

فنفض عباءته بشدة، وأدبر غاضباً، وهو يقول في تذمر: والله بلشة، ماذا أعمل مع هالحرمة؟! وخرج من البيت.

أما هي، فابتسمت وكأن شيئاً لم يحدث، وجمعت أمرها، فكانت تتعمد في كل يوم: تجمير البيت (تبخيره بالطيب)، وتأخذ زينتها عن آخرها، وتتعطر، وتجلس له في البيت، في طريق خروجه ودخوله، فلم يقاوم لأكثر من خمسة أيام، وعاد إليها بإنشاء الفعل وليس باللفظ وفي ذات يوم: تأخرت في إعداد الفطور،

فقال لها معنفاً: هذا تقصير منك في حقي عليك، وهو ليس من سلوك المرأة المؤمنة.

فقالت له: احمل أخاك المؤمن على سبعين محملاً من الخير، وكما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أعرف الناس بالله أعذرهم للناس وإن لم يجد لهم عذراً»، ألا تعلم: بأن سوء الظن بالمحسن شرّ الإثم وأقبح الظلم، وأن سوء الظن يفسد العبادة ويعظم الوزر ويبعث على الشرور،

وحسن الظن من أفضل السجايا، وأنه من راحة البال وسلامة الدين، ومن حسن ظنه بالناس حاز منهم المحبة؟!

فقال لها: هذا الكلام لا ينفع في تبرير التقصير، أيرضيك أن أخرج إلى الحوزة من دون فطور؟!

فقالت له: أليس الإيمان بالله والآخرة يدعوان الإنسان إلى القناعة، وهي الرضا بالميسور وبما قسم الله عز وجل ولو كان قليلاً، أنسيت أن القناعة سبيل الصالحين، وأنها تمد صاحبها باليقظة الروحية وتحفزه على التأهب للآخرة، وهي الطريق إلى: راحة النفس، واطمئنان القلب، وشرف الوجدان، وكرم الأخلاق، ومحبة الله عز وجل، ومحبة العباد؟! فإذا كنت من أهل الإيمان والحكمة قولاً وعملاً، كل ما تيسر، واشكر ربك على ما رزقك، واخرج إلى درسك وأنت مرتاح البال، راضياً قانعاً بما قسم الله عز وجل لك من الرزق الحلال، قال الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما أتاه».

فقال: لن آكل أي شيء.

فقالت: أنت لم تتعلم الدرس من خطيئة الطمع لدى أبيك آدم عليه السلام، تلك الخطيئة التي زرعت الشوك والتعب في طريقه وطريق أبنائه من بعده إلى يوم القيامة لم يلتفت الشيخ راغب إلى كلام زوجته، وخرج غاضباً من بيته، ولم يكلمها بعد عودته إلى البيت وفي الليل هجر فراشها، فنام أسفل السرير، واستمر على هذا الحال، لعشر ليالٍ بأيامها وكانت في النهار، تهيىء له طعامه وشرابه، وتقوم على عادتها بجميع شؤونه، وفي الليل: تخلع لباس الحياء، فتتزين، وتتعطر، وتنام في فراشها، إلّا أنها لا تكلمه عن قصد وتدبر، وفي الليلة الحادية عشرة،

نام في أول الأمر كعادته أسفل السرير، ثم صعد إلى سريره فضحكت وقالت له: لماذا جئت؟

فقال لها: لقد انقلبت !!

فقالت: ينقلبون من الأعلى إلى الأسفل، وليس من الأسفل إلى الأعلى.

فقال وهو يبتسم: المغناطيس فوق السرير، أقوى من جاذبية الأرض ثم قال في بهجة وسرور: لو أن كل النساء مثلك يا نجية، لما طلق رجل زوجته، ولحلّت جميع المشاكل في البيوت، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «من صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها (الله) مثل ثواب آسية بنت مزاحم»، لقد كنت لي يا نجية، نعم المعين على طاعة الله عز وجل، فجزاك الله عني خير الجزاء، ولا فرّق الله بيني وبينك في الدنيا والآخرة.

القوانين والنظم
الحاكمة للزوجة والزوج

القسم الثاني

القوانين والنظم الحاكمة للزوجة والزوج[١]

القسم الثاني

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

وعلى كلّ حال، فإنّ هذا الاطمئنان أو السكن يكون من عدّة جهات «جسمياً وروحيّاً وفردياً واجتماعيّاً» ولا يمكن إنكار الأمراض التي تصيب الجسم في حالة عدم الزواج، وكذلك عدم التعادل الروحي والاضطراب النفسي عند غير المتزوجين، ثمّ إنّ الأفراد العزّاب لا يحسّون بالمسؤولية - من الناحية الاجتماعية - كثيراً.. ولذلك فإن الانتحار يزداد بين أمثال هؤلاء أكثر.. كما تصدر منهم جرائم مهولة أكثر من سواهم أيضاً وحين يخطو الإنسان من مرحلة العزوبة إلى مرحلة الحياة الأُسرية يجد في نفسه شخصية جديدة، ويحس بالمسؤولية أكثر، وهذا السكن والاطمئنان في ظل الزواج[٢].

(١) فكرة الموضوع مقتبسة من محاضرات أحد العلماء الكبار وهو العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه بتصرف من الكاتب.

(٢) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي.

طائفة من الأحاديث الشريفة[1]

- قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة».
- وقال ﷺ: «ركعتان يصليهما متزوج أفضل من رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره».
- وقال ﷺ: «رذّال موتاكم العزاب».
- وعن أبي عبدالله عليه السلام يقول: «إنّ رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة فشم ريحاً طيبة، فقال: أتتكم الحولاء، فقالت: . . . هي تشكو زوجها فخرجت عليه الحولاء فقالت: بأبي أنت وأمي إن زوجي عني معرض، فقال: زيديه يا حولاء، فقالت: لا أترك شيئاً طيباً مما أتطيب له به وهو معرض، فقال: أما لو يدري ما له بإقباله عليك، قالت: وما له بإقباله علي؟ فقال: أما إنه إذا أقبل اكتنفه ملكان وكان كالشاهر سيفه في سبيل الله، فإذا هو جامع تحات عنه الذنوب كما يتحات ورق الشجر، فإذا هو اغتسل انسلخ من الذنوب».

قلنا من حقوق الزوج حقّ القيمومة: قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النِّساء: ٣٤].

---

(١) الأحاديث منقولة من كتاب وسائل الشيعة.

ومن الحقوق المترتبة على حق القيمومة (الطاعة - إحراز رضاه) ومن الحقوق المترتبة على الزوجة:

١ - يستحب لها إظهار العشق له:

كما يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «.. إظهار العشق له بالخلابة والهيئة الحسنة لها في عينه»(١).

وفي رواية (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنّ لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيّعتني، وإذا رأتني مهموماً قالت: ما يهمّك، إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفّل به غيرك، وإن كنت تهتمّ بأمر آخرتك فزادك الله همّاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بشرها بالجنة، وقل لها: إنّك عاملة من عمّال الله، ولك في كلِّ يوم أجر سبعين شهيداً»).

وفي رواية: «إنّ لله عزَّ وجلَّ عمّالاً، وهذه من عمّاله، لها نصف أجر الشهيد» (٢).

٢ - يحرم على الزوجة أن تعمل ما يسخط زوجها ويؤلمه:

في ما يتعلق بالحقوق العائدة إليه، كإدخال بيته من يكرهه، أو سوء خُلقها معه، أو إسماعه الكلمات المثيرة وغير اللائقة.

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيّما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه»(٣).

---

(١) تحف العقول: ٢٣٩.
(٢) مكارم الأخلاق: ٢٠٠.
(٣) مكارم الأخلاق: ٢٠٢.

● وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : «أيّما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حقّ، لم تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها، وأيّما امرأة تطيّبت لغير زوجها، لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها، كغسلها من جنابتها»[١].

الصبر على الأخلاق السيئة كيف ولماذا؟

● قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «مَنْ صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، ومَنْ صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسيا بنت مزاحم»[٢].

● وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «أيما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً، ولا حسنة من عملها حتّى ترضيه، وإن صامت نهارها وقامت ليلها، وأعتقت الرقاب وحملت على جياد الخيل في سبيل الله. فكانت أوّل مَنْ يرد النار، وكذلك الرجل إذا كان لها ظالماً»[٣].

● وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «لو أنّ جميع ما في الأرض من ذهب وفضة حملته المرأة إلى بيت زوجها، ثمّ ضربت على رأس زوجها يوماً من الأيام تقول: مَنْ أنت؟ إنّما المال لي، حبط عملها ولو كانت من أعبد الناس، إلّا أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها»[٤].

(١) الكافي ٥ : ٥٠٧.
(٢) البحار ٥ : ٢٤٧.
(٣) مستدرك سفينة البحار ج١.
(٤) مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٢٠٠.

الأصمعي والمرأة الصابرة[١]

كان الأصمعي وزيراً للمأمون، والمأمون بحدّ ذاته كان شيطاناً كبيراً جداً وعالماً خفياً والأصمعي كان شيطاناً أيضاً ينقل انه ذهب إلى الصيد الترفيهي (وهو عمل قبيح ومحرم في الشرع الإسلامي ورغم ذلك كان يواظب عليه خلفاء بني أمية والعباس) قال الأصمعي: كنت أرافق المأمون في قافلة صيد ترفيهية، وفي أثناء المسير أضعت القافلة ورأيت نفسي وحيداً في صحراء قاحلة، وبعد مسيرة تحملية شاهدت من بعيد خيمة تلوح في الأفق فتحركت صوبها لأجد فيها امرأة شابة جميلة فسلمت عليها، وجلست في ظل خيمتها وقلت لها: هل لي من شربة ماء؟ فتغيّر لونها وقالت: لم أكتسب إذناً من زوجي في مثل هذا الأمر، وإن كان لك أن تشرب شيئاً فهذا غذائي أقدمه لك وهو ضياح من لبن يقول الأصمعي: شربت اللبن وجلست في ظل الخيمة ساعة، بعدها شاهدت فارساً على جمل، فقامت المرأة من جلستها وحملت بيدها قليلاً من الماء وكأني بها تنتظر ذلك الفارس نعم، وصل الفارس إلى الخيمة وكان زوجها، فقدمت له الماء ليشرب ثم نزل من جمله وإذ به رجل عجوز، أسود الشكل قبيح، لا يُطاق منظره، سيّىء الخلق والأخلاق، فهمت المرأة نفسها وجاءته بطبق وإبريق لتغسل له يديه ورجليه ووجهه بدأ زوجها بالتحجج، وأثار ما لا يثيره العاقل الفطن، حيث كان يسيء مخاطبتها، وتتلطف بالرد، ولسوء خلقه لم أتحمل الجلوس في ظل خيمته بل فضلت الجلوس في الشمس المحرقة بعيداً،

(١) القصص الأسرية والبيتية ص٣٥.

على أن أجلس إلى خيمته وأستمع إلى سوء أدبه وما أن تحركت حتى قامت امرأته لتودعني، حيث لم يكن هو مهتماً لهذا الموضوع بالمرة، وعندما دنت المرأة مني قلت لها: أيها المرأة، إنك شابة جميلة، فلِمَ ارتباطك بهذا الشيخ العجوز الذي لا يمتلك من حطام الدنيا إلا أخلاقاً سيئة وجملاً هزيلاً، بالإضافة إلى شكله القبيح؟

فأجابت بعد أن بان عليها الامتعاض: أيها الرجل أتريد الإيقاع بيني وبينه؟ ألا تعلم بأن الدنيا زائلة والآخرة دائمة، وإنني بعملي هذا أروم رضا الله تعالى، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ: الإيمان نصفان: نصف في الصبر، ونصف في الشكر وإن تحملي لسوء خلقه يصل بي إلى درجات الصبر الساميات، وعليه يجب أن أشكر الباري تعالى على هذه النعمة، فنعمة الصبر تحتاج إلى شكر، لذا سأديم خدمتي لزوجي حتى يكتمل إيماني.

القوانين والنظم
الحاكمة للزوجة والزوج

القسم الثالث

القوانين والنظم الحاكمة للزوجة والزوج[(١)]

القسم الثالث

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

وأمّا مسألة «المودة والرحمة» فهما في الحقيقة «ملاط» البناء في المجتمع الإنساني، لأنّ المجتمع يتكون من أفراد متفرقين كما أن البناء العظيم يتألف من عدد من الطابوق و«الآجر» أو الأحجار. فلو أن هؤلاء الأفراد المتفرقين اجتمعوا، أو أن تلك الأجزاء المتناثرة وصلت بعضها ببعض، لنشأ من ذلك المجتمع أو البناء حينئذ.

فالذي خلق الإنسان للحياة الاجتماعية جعل في قلبه وروحه هذه الرابطة الضرورية.

والفرق بين «المودة» و«الرحمة» قد يعود إلى الجهات التالية:

الأولى: المودة هي الباعثة على الارتباط في بداية الأمر بين الزوجين، ولكن في النهاية، وحين يضعف أحد الزوجين فلا يكون قادراً على الخدمة، تأخذ الرحمة مكان المودة وتحلّ محلها.

---

(١) فكرة الموضوع مقتبسة من محاضرات أحد العلماء الكبار وهو العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه بتصرف من الكاتب.

الثانية: المودة تكون بين الكبار الذين يمكن تقديم الخدمة لهم، أمّا الأطفال والصبيان الصغار، فإنهم يتربون في ظلّ الرحمة.

الثالثة: المودّة، غالباً ما يكون فيها «تقابل بين الطرفين»، فهي بمثابة الفعل وردّ الفعل، غير أنّ الرحمة من جانب واحد لديه إيثار وعطف، لأنّه قد لا يحتاج إلى الخدمات المتقابلة أحياناً،فأساس بقاء المجتمع هو «المودة» ولكن قد يحتاج إلى الخدمات بلا عوض، فهو الإيثار والرحمة.

وبالطبع فإنّ الآية تبيّن المودة والرحمة بين الزوجين، ولكن يحتمل أن يكون التعبير ﴿بَيْنَكُمْ﴾ إشارة إلى جميع الناس.. والزوجان مصداق بارز من مصاديق هذا التعبير، لأن الحياة العائلية ليست وحدها لا تستقيم إلّا بهذين الأصلين (المودّة والرحمة) بل جميع المجتمع الإنساني قائم على هذين الأصلين وزوالهما من المجتمع - وحتى نقصانهما يؤدي إلى أنواع الإرباك والشقاء والاضطراب الاجتماعي[1].

طائفة من الأحاديث الشريفة[2]

... جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إلى أن قال: وهممت أن أحرّم خولة على نفسي يعني امرأته قال: لا تفعل يا عثمان، فإن العبد المؤمن إذا أخذ بيد زوجته كتب الله له عشر

(١) تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي - (ج ١٢/ ص ٤٩٦).
(٢) الأحاديث منقولة من كتاب مستدرك الشيعة - باب النكاح - (ج١٤/ ص ١).

حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، فإن قبلها كتب الله له مئة حسنة، ومحا عنه مئة سيئة، فإن ألم بها كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، وحضرتهما الملائكة، فإذا اغتسلا لم يمر الماء على شعرة (من كل واحد) منهما، إلّا كتب الله لهما (بها) حسنة، ومحا عنهما (بها) سيئة، فإن كان ذلك في ليلة باردة، قال الله عز وجل للملائكه: انظروا إلى عبدي هذين اغتسلا في (هذه) الليلة الباردة علماً أني ربهما، أشهدكم أني (قد) غفرت لهما، فإن كان (لهما) في وقعتهما تلك ولد، كان لهما وصيفاً في الجنة، ثم ضرب رسول الله ﷺ بيده على صدر عثمان وقال: يا عثمان، لا ترغب عن سنتي، فإن من رغب عن سنتي، عرضت له الملائكة يوم القيامة، فصرفت وجهه عن حوضي».

قال رسول الله ﷺ: ما من شاب تزوج في حداثة سنه إلّا عج شيطانه: يا ويله عصم مني ثلثي دينه، فليتق الله العبد في الثلث الباقي.

قلنا من حقوق الزوج حقّ القيمومة: قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النِّساء: ٣٤].

قلنا: إن الحقوق المترتبة على حق القيمومة (الطاعة - إحراز رضاه - وقلنا يستحب إظهار العشق له - يحرم على الزوجة أن تعمل ما يسخط زوجها ويؤلمه) **ومن الحقوق المترتبة عليها**:

يستحب للزوجة أن تكسب رضا الزوج وتنال مودّته

- قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : «خير نسائكم التي إن غضبت أو أغضبت قالت لزوجها : يدي في يدك لا أكتحل بغمضٍ حتى ترضى عني»[١] .
- وجعل الإمام محمد الباقر عليه السلام رضا الزوج على زوجته شفيعاً لها عند الله تعالى، فقال: «لا شفيع للمرأة أنجح عند ربّها من رضا زوجها، ولمّا ماتت فاطمة عليها السلام قام عليها أمير المؤمنين عليه السلام وقال: اللهمّ إنّي راضٍ عن بنت نبيك، اللهمّ إنّها قد أوحشت فآنسها»[٢] .

ومن أجل التغلب على المشاكل المعكّرة لصفو المودة والوئام، يستحب للزوجة أن تصبر على أذى الزوج، فلا تقابل الأذى بالأذى والإساءة بالإساءة ؛ لأنّ ذلك من شأنه أن يغمر أجواء الأسرة بالتوترات الدائمة والمشاكل التي لا تنقضي، والصبر هو الأسلوب القادر على إيصال العلاقات إلى الانسجام التام بعودة الزوج إلى سلوكه المنطقي الهادىء، فلا يبقى له مبرر للإصرار على سلوكه غير المقبول.

- قال الإمام الباقر عليه السلام : «وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته»[٣] .

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٠ .
(٢) بحار الأنوار ١٠٣ : ٢٥٧ .
(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٧ .

- وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «مَنْ احتمل من امرأته ولو كلمة واحدة أعتق الله رقبته من النار، وأوجب له الجنّة، وكتب له مئتي ألف حسنة، ومحا عنه مئتي ألف سيّئة، ورفع له مئتي ألف درجة، وكتب الله له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة»[١].

يحرم على الزوجة أن تهجر زوجها دون مبرر شرعي[٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيّما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار إلّا أن تتوب وترجع»[٣].

هل يحق للزوج ضرب الزوجة؟

ومن أجل الحيلولة دون تمادي الزوجة غير المطيعة في ارتكاب الممارسات الخاطئة التي تخلق أجواء التوتر في الأسرة، جعل الإسلام للزوج حق استخدام العقوبات المؤدبة لها إذا لم ينفع معها الوعظ والإرشاد، وتندرج العقوبة من الأخف أولاً ثم الأشد ثانياً حسب حال المرأة ومقدار نشوزها وإعراضها وعدم طاعتها بعد بذل النصيحة والموعظة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النساء: ٣٤].

---

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي ص٢١٦.
(٢) جواهر الكلام ٣١: ٢٠١، ومنهاج الصالحين، المعاملات: ١٠٣.
(٣) مكارم الأخلاق: ٢٠٢.

فتجوز له العقوبة إذا منعته من نفسها، وتسلّطت عليه بالقول أو الفعل، فيبدأ بوعظها وتخويفها من الله تعالى، فإن أثّر ذلك وإلّا هجرها بالإعراض عنها في مدخله ومخرجه ومبيته من غير إخلال بما يحفظ حياتها من غذاء ولباس، فإن أثّر ذلك وإلّا ضربها ضرباً غير مبرّح، وإن خرجت من منزله بغير إذنه أو بإذنه وامتنعت عن الرجوع إليه فله ردّها، وإن أبت فله تأديبها بالإعراض عنها وقطع الإنفاق(١).

وأكدت الروايات على مراعاة حق الزوج، واتّباع الأساليب الشيّقة في إدامة أواصر الحبّ والوئام، وخلق أجواء الانسجام والمعاشرة الحسنة داخل الأُسرة، فجعل الإمام الباقر عليه السلام حسن التبعل جهاداً للمرأة فقال عليه السلام: «جهاد المرأة حسن التبعل»(٢).

ولأهمية مراعاة هذا الحق قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تؤدي المرأة حقّ الله عزَّ وجلَّ حتى تؤدي حقّ زوجها»(٣).

وذكر صلى الله عليه وآله وسلم طاعة الزوج في سياق ذكره لسائر العبادات والطاعات التي توجب دخول الجنة، حيث قال: «إذا صلّت المرأة خَمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أيّ أبواب الجنة شاءت»(٤).

ووضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام منهجاً في العلاقات بين

(١) الكافي في الفقه: ٢٩٤.
(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٨.
(٣) مكارم الأخلاق: ٢١٥.
(٤) مكارم الأخلاق: ٢٠١.

الزوجين يعصم الحياة الزوجية من التصدّع والاضطراب، فأكد على الزوجة أن لا تكلف زوجها ما لا يطيق في أمر النفقة، وهو أمر يسبب كثيراً من المتاعب في الحياة الزوجية ويضرّ بصفوها وانسجامها.

قال ﷺ: «أيّما امرأة أدخلت على زوجها في أمر النفقة وكلّفته ما لا يطيق، لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً إلّا أن تتوب وترجع وتطلب منه طاقته»(١).

وحث ﷺ المرأة على إصلاح شؤون البيت واستقبال الزوج بأحسن استقبال فقال: «حقّ الرجل على المرأة إنارة السراج، وإصلاح الطعام، وأن تستقبله عند باب بيتها فترحب به، وأن تقدّم إليه الطشت والمنديل...»(٢).

الآثار المترتبة على خدمة الزوج والعيال

طبعاً خدمة الزوجة لزوجها وإدارة بيتها بالصورة المطلوبة أخلاقياً يترتب عليها آثار شرعية وأخلاقية... وثواب عظيم وهذا ما بيّنه صادق آل البيت عليه وعليهم السلام حيث قال: سألت أُمُّ سلمة رسول الله ﷺ عن فضل النساء في خدمة أزواجهن، فقال: أيّما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلّا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذّبه(٣).

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠٢.
(٢) مكارم الأخلاق: ٢١٥ - هذا الحق أخلاقي - من الكاتب.
(٣) الأمالي للطوسي.

وعنه عليه السلام أيضاً قال: أيّما امرأة خدمت زوجها سبعة أيّام إلّا أغلق الله عنها سبعة أبواب النار، وفتح لها ثمانية أبواب الجنّة تدخل من أيّها شاءت.[١]

وعنه عليه السلام أيضاً قال: ما من امرأة تسقي زوجها شربة ماء إلّا كان خيراً لها من عبادة سنة[٢].

قصة رجل حسد زوجته[٣]

كان هناك رجل تعب من الذهاب للعمل كل يوم بينما زوجته تبقى في البيت وعند المساء بدأ الصلاة وطلب من الله أن يستبدل جسده مع زوجته ليومين فقط لتعرف زوجته بماذا يشعر، فجأة ظهر له مارد ولبّى له طلبه وفي اليوم التالي استيقظ وقد تبدل جسده من رجل إلى امرأة.

حضّر الفطور أيقظ الأولاد وجهزهم للمدرسة وتناول الأولاد فطورهم.

حضر... أخذ الأولاد للمدرسة عاد للبيت وغسل الغسيل..

ذهب ليتسوق ثم عاد للبيت وكانت الساعة الواحدة ظهراً مسح الأرض نفض الغبار ذهب سريعاً للمدرسة ليأتي بالأولاد.

أطعم الأولاد وجلس يساعدهم في وظائفهم.. طوى الغسيل..

كوى الملابس في السادسة والنصف أخذ يحضر طعام العشاء بعد

---

(١) ميزان الحكمة - الريشهري ج٤ - باب الزواج.
(٢) نفس المصدر.
(٣) القصة وإن كانت من الخيال إلا أن فيها عبرة.

العشاء جلى الصحون ونظف المطبخ حمم الأولاد وأخذهم للنوم أصبحت الساعة التاسعة وعمله لا ينتهي. . .

في صباح اليوم الثالث استيقظ وفي الحال ركع وقال: يا رب لم أكن أعرف حقيقة ما أفكر به كنت مخطئاً عندما فكرت أن البقاء في البيت مريح أكثر.

أرجوك. . . . . . أرجوك. . . . . أعدنا كما كنا!!!

ظهر له المارد وقال: يا ولدي،أظن بأنك تعلمت الدرس وأنا سعيد كي ترجع الأشياء كما كانت ولكن عليك الانتظار تسعة أشهر لأنك الآن. . . . . حامل!!!

نتيجة

ومن آثار مراعاة الزوجة لحقوق الزوج في الوسط الأُسري أن تصبح له مكانة محترمة في نفوس أبنائه، فيحفظون له مقامه، ويؤدون له حق القيمومة فيطيعون أوامره، ويستجيبون لإرشاداته ونصائحه، فتسير العملية التربوية سيراً متكاملاً، ويعمّ الاستقرار والطمأنينة جوّ الأسرة بأكمله، وتنتهي جميع ألوان وأنواع المشاحنات والتوترات المحتملة.

القوانين والنظم
الحاكمة للزوجة والزوج

القسم الرابع

القوانين والنظم الحاكمة للزوجة والزوج(١)

القسم الرابع

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

ومن حقوق الزوج المرتبطة بحق القيمومة:

ائتمار الزوجة والأولاد: على الزوجة والأولاد الائتمار بأوامر رب الأسرة والانتهاء عما نهى انطلاقاً من وجوب احترامه وامتثال ما يريد من الحق، لا من الخوف منه.

فبالتودّد تحيا القلوب الميتة، وبالتمرّد تموت القلوب الحية ومن التودّد معرفة الواجب وأداؤه، وهو كما نصت عليه الآية المباركة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ٣٤].

فللرجل القيمومة على زوجه وتوجيهها حفاظاً على ما بينهما من المودة والرحمة، وإنما أوتي هذا الحق لما له من وعي وصبر على خدمة أسرته والحرص على سعادتها أبداً. فهو لا يحاسب حتى يدرك، وإذا حاسب رحم وأنصف وحسابه تذكير وتنوير لا تسلّط وتجبر.

---

(١) فكرة الموضوع مقتبسة من محاضرات أحد العلماء الكبار وهو العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه بتصرف من الكاتب.

وإذا كانت الزوجة - لا سمح الله - طويلة اللسان على زوجها اضطرب سير الأسرة، واضطر الرجل إلى البطش لتقويم الاعوجاج وقد يزداد الوضع سوءاً باستعمال القوة وسيكون الأمر أشد على المرأة العاصية:

- قال رسول الله ﷺ: «أيّما مرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله منها صرفاً[١] ولا عدلاً ولا حسنةً من عملها حتّى ترضيه وإن صامت نهارها، وقامت ليلها، وأعتقت الرقاب، وحملت على جياد الخيل في سبيل الله، وكانت أوّل من يرد النّار، وكذلك الرجل إذا كان لها ظالماً»[٢].
- عن الإمام الصّادق عليه السلام في حديث قال: «ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله»[٣].

ثمرتان من نتائج عدم الائتمار:

الأولى - تأثر الأولاد: المسألة التي يجب أن نلتفت إليها، هي تأثر الأولاد بسلوك الأبوين من عمل أو قول، وعلى هذا الأساس لا ينبغي أن يسيء الوالدان القول أو الفعل في جميع القضايا التي تحدث بمحضر أولادهم؛ لأنها تسجل في أذهانهم وتنعكس على سلوكهم.

تقول إحدى النساء: أثناء الشروع بالخلاف مع زوجها أحياناً والذي

(١) الصرف والعدل أي واجبات الشريعة ومستحباتها.
(٢) مستدرك سفينة البحار - ج١.
(٣) نفس المصدر.

فيه يضطرب نظام أسرتها، تعمد إلى إرسال أولادها إلى دار أمها حتى لا يكونوا حاضرين ما قد يحدث من حدة في الكلام أو تعبير يجب أن يبقى خافياً عليهم، لئلا يؤثّر في نفوسهم تأثيراً سيئاً.

هذا العمل، عمل جيد إنصافاً، لما للخلافات ولو لساعة واحدة داخل محيط الأسرة من آثار لا تحمد عقباها في تكوين شخصية الأولاد.

الثانية: سوء الخلق: قال علي بن موسى الرّضا عليه السلام بإسناده، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «عليكم بحسن الخلق، فإن حَسَن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سيىء الخلق في النار لا محالة»(١).

ونحن نجد القدوة والأسوة الحقيقية من علمائنا رضوان الله على الماضين وأيّد الباقين في سيرتهم وأخلاقهم الحسنة وأذكر لكم أيها الأعزاء نموذجاً من ذلك في قصة شيقة فيها عِبرة تحت عنوان:

«المقدّس الأردبيلي مثال لحسن السيرة»:

لقد وعى المقدّس الأردبيلي - مرجع الشيعة في زمانه - هذه الحقيقة فطبّقها مبتدئاً بنفسه، حتى أنّه نقل عن حسن سريرته وسيرته ما يقف له الإنسان متعجّباً؛ إذ قيل: إنّه كان ذات يوم يمشي في صحن مرقد الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه، فسأله أحد الزائرين - دون علمه بمن يكون - عمّا إذا كان يعرف محلّاً خاصّاً بغسل الملابس، فقال له المقدّس الأردبيلي: أنا أغسلها لك بنفسي! ضارباً بذلك كلّ ما يمكن

---

(١) جامع الأخبار.

أن يكون عذراً قد يحول ما بين الإنسان وبين أداء الخدمة للمؤمنين والزائرين، الأمر الذي يكشف عن حقيقة السريرة الطاهرة لهذا الرجل النادر المثال، فقام بغسل ملابس الرجل الزائر، وعاد إليه بها في الوقت المحدد لتسليمها، فشاهده بعض من يعرفه، فقال للزائر: هل تعرف من غسل ملابسك؟ إنّه المرجع الأعلى! فأخذ الرجل يبدي كلّ الاعتذار، فردّه المقدس الأردبيلي قائلاً: إنّما أنت صاحب الفضل عليّ، لأنّك من زوّار أمير المؤمنين عليه السلام، ويُنقل أنّ الإمام، كان قد كافأه بأن كان يرحّب به في أيّ وقت أراد الزيارة حيث كانت الأبواب تفتح له دون مفتاح وما أعظم ذلك من قدسيّة وفضل.

القوانين والنظم
الحاكمة للزوجة والزوج

القسم الخامس

القوانين والنظم الحاكمة للزوجة والزوج[١]

القسم الخامس

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

حقوق الزوجة

١ - **حق النفقة**: حيث جعله الله تعالى من الحقوق التي يتوقف عليها حقّ القيمومة للرجل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾.

فيجب على الزوج الإنفاق على زوجته، وشدّد رسول الله ﷺ على هذا الواجب حتى جعل المقصّر في أدائه ملعوناً، فقال ﷺ: «ملعون ملعون من يضيّع من يعول»[٢].

والنفقة الواجبة هي الإطعام والكسوة للشتاء والصيف وما تحتاج إليه من الزينة حسب يسار الزوج[٣].

---

(١) فكرة الموضوع مقتبسة من محاضرات أحد العلماء الكبار وهو العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه بتصرف من الكاتب.

(٢) عدة الداعي - أحمد بن فهد الحلي: ٧٢ - مكتبة الوجداني قم.

(٣) الوسيلة إلى نيل الفضيلة: ٢٨٥.

والضابط في النفقة القيام بما تحتاج إليه المرأة من طعام وأداء وكسوة وفراش وغطاء وإسكان وإخدام[١] وآلات تحتاج إليها لشربها وطبخها وتنظيفها[٢].

ويقدم الإطعام والإكساء على غيره من أنواع النفقة، قال رسول الله ﷺ: «حقّ المرأة على زوجها أن يسدَّ جوعتها، وأن يستر عورتها، ولا يقبّح لها وجهاً، فإذا فعل ذلك أدّى والله حقّها»[٣].

والنفقة هي ملك شخصي للزوجة، فلو دفع لها الزوج نفقتها ليوم أو أسبوع أو شهر، وانقضت المدة ولم تصرفها على نفسها بأن أنفقت من غيرها، أو أنفق عليها أحد بقيت ملكاً لها[٤].

ولو مضت أيام ولم ينفق الزوج عليها اشتغلت ذمته بنفقة تلك المدة سواء طالبته بها أو سكتت عنها[٥].

ولضرورة هذا الحق جعل الإسلام للحاكم الشرعي - وهو الفقيه العادل - صلاحية إجبار الزوج على النفقة، فإن امتنع كان له حق التفريق بينهما[٦]، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إذا أنفق الرجل على امرأته ما يقيم ظهرها مع الكسوة، وإلّا فرّق بينهما»[٧].

ولا تسقط النفقة حتى في حال الطلاق، فما دامت المطلقة في

(١) هذا راجع إلى العرف الاجتماعي وإلّا فلا.
(٢) مهذب الأحكام ٢٥: ٢٩٨. والصراط القويم: ٢١٥.
(٣) عدة الداعي: ٨١.
(٤) مهذب الأحكام ٢٥: ٣٠٥.
(٥) مهذب الأحكام ٢٥: ٣٠٤.
(٦) مهذب الأحكام ٢٥: ٣٠٥.
(٧) وسائل الشيعة ٢١: ٥١٢.

عدتها فعلى الزوج الإنفاق عليها، وتسقط نفقتها في حال الطلاق الثالث، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إنَّ المطلقة ثلاثاً ليس لها نفقة على زوجها، إنّما هي للتي لزوجها عليها رجعة» (١)، إلّا الحامل فإنّها تستحقُّ النفقة بعد الطلاق الثالث(٢).

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا طلّق الرجل المرأة وهي حبلى، أنفق عليها حتى تضع..»(٣).

وتسقط النفقة في حال عدم التمكين للزوج، ولا تسقط إن كان عدم التمكين لعذر شرعي أو عقلي من حيض أو إحرام أو اعتكاف واجب أو مرض(٤).

وتسقط النفقة إن خرجت من دون إذن زوجها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيّما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها فلا نفقة لها حتى ترجع»(٥).

٢ - **المعاشرة بالمعروف**: وحثّ الإسلام على اتخاذ التدابير الموضوعية للحيلولة دون وقوع التدابر والتقاطع، فدعا إلى توثيق روابط المودّة والمحبة وأمر بالعشرة بالمعروف، قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

ومن مصاديق العشرة بالمعروف حسن الصحبة، قال الإمام علي بن

(١) الكافي ٦: ١٠٤.
(٢) المقنعة: ٥٣١.
(٣) الكافي ٦: ١٠٣.
(٤) مهذب الأحكام ٢٥: ٢٩٢.
(٥) الكافي ٥: ٥١٤.

أبي طالب عليه السلام في وصيته لمحمد ابن الحنفية: «إنَّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كلِّ حال، وأحسن الصحبة لها، فيصفو عيشك»(١).

ومن حقها أن يتعامل زوجها معها بحسن الخلق، وهو أحد العوامل التي تُعمّق المودة والرحمة والحب داخل الأُسرة، قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته، وهي: الموافقة؛ ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسعته عليها..»(٢).

٣ - الإكرام والرفق وإحاطتها بالرحمة والمؤانسة: قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «وأمّا حقُّ رعيتك بملك النكاح، فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً وأُنساً وواقية، وكذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وإن كان حقك عليها أغلظ وطاعتك بها ألزم فيما أحبّت وكرهت ما لم تكن معصية، فإنّ لها حقّ الرحمة والمؤانسة وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بدّ من قضائها..»(٣).

وقد ركّز أهل البيت عليهم السلام على جملة من التوصيات من أجل إدامة علاقات الحب والمودّة داخل الأسرة، وهي حق للزوجة على زوجها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي»(٤).

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢١٨.
(٢) تحف العقول: ٢٣٩.
(٣) تحف العقول: ١٨٨.
(٤) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٨١.

وقال ﷺ : «من اتخذ زوجة فليكرمها»[(١)].

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته»[(٢)].

وجاءت توصيات جبرئيل إلى رسول الله ﷺ مؤكّدة لحق الزوجة قال ﷺ : «أوصاني جبرئيل عليه السلام بالمرأة حتى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة»[(٣)].

وهناك نماذج في تأريخنا الماضي والحاضر هم قدوة وأسوة للمحافظة على الأسرة ومنها إليكم هذه القصة تحت عنوان:

ادعى العمى لعشرين سنة شفقة بزوجته[(٤)]

تزوج أحد العلماء فتاة صالحة ولم تمض مدة حتى أصيبت زوجته بمرض جلدي شوه جمالها فأزري بها!

فادعى هذا العالم الزاهد أنه فقد بصره وبات لا يرى شيئاً !فعاشا سعيدين مدة عشرين عاماً حتى توفيت المرأة فأظهر العالم أنه يرى،وكان سبب ادعائه بذهاب نور بصره أول الأمر لئلا تتألم زوجته بسبب تشوه جمالها.

إنه قمة الإيثار وحب الآخرين والتزام الإنسانية في العلاقات الزوجية.

(١) مستدرك الوسائل - النوري ج٢: ٥٥٠.
(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٨١.
(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٨.
(٤) القصص الأسرية والبيتية ص١٩ - للسيد محمد باقر الفياض.

القوانين والنظم
الحاكمة للزوجة والزوج

القسم السادس

القوانين والنظم الحاكمة للزوجة والزوج[(١)]

القسم السادس

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

نتابع: حقوق الزوجة

ومنها:

حق المضاجعة: فإذا حرمها الزوج من ذلك - كما هو الحال في الإيلاء، بأن يحلف أن لا يجامع زوجته - فللزوجة حق الخيار، إن شاءت صبرت عليه أبداً، وإن شاءت خاصمته إلى الحاكم الشرعي، حيث يمهله لمدة أربعة أشهر ليراجع نفسه ويعود إلى مراعاة حقها، أو يطلقها، فإن أبى كلاهما حبسه الحاكم وضيّق عليه في المطعم والمشرب حتى يرجع إلى زوجته، أو يطلقها[(٢)].

ولا يجوز إجبار المرأة على الزواج من رجل غير راغبة فيه وإن كان للرجل زوجتان، فيجب عليه العدل بينهما[(٣)] وعدم ضربها والصياح في

(١) فكرة الموضوع مقتبسة من محاضرات أحد العلماء الكبار وهو العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه - بتصرف من الكاتب.

(٢) المقنعة: ٥٢٣.

(٣) المقنعة: ٥١٦.

وجهها: ونهى ﷺ عن استخدام القسوة مع المرأة ففي جوابه على سؤال خولة بنت الأسود حول حق المرأة قال: «حقك عليه أن يطعمك ممّا يأكل، ويكسوك ممّا يلبس، ولا يلطم ولا يصيح في وجهك»(١).

وقال ﷺ: «خير الرجال من أُمتي الذين لا يتطاولون على أهليهم، ويحنّون عليهم، ولا يظلمونهم»(٢).

الصبر على إساءتها: ومن أجل تحجيم نطاق المشاكل والاضطرابات الأسرية، يستحسن الصبر على إساءة الزوجة، لأنّ ردّ الإساءة بالإساءة أو بالعقوبة يوسّع دائرة الخلافات والتشنجات ويزيد المشاكل تعقيداً، فيستحب الصبر على إساءة الزوجة قولاً كانت أم فعلاً، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «من احتمل من امرأته ولو كلمة واحدة، أعتق الله رقبته من النار، وأوجب له الجنّة»(٣).

وحثّ رسول الله ﷺ الزوج على الصبر على سوء أخلاق الزوجة، فقال: «من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر ما أعطى أيوب على بلائه»(٤).

ولقد ورد في سيرته ﷺ أنّه كان يصبر على أذى زوجاته وغضبهن عليه وهجرهن إياه، فحريٌّ بنا أن نقتدي بسيرة سيّد البشر ﷺ لكي نتجنب كثيراً من حالات التصدّع والتفكك في حياتنا الزوجية، ونحافظ على سلامة العلاقات داخل محيط الأسرة.

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢١٨.
(٢) مكارم الأخلاق: ٢١٦ - ٢١٧.
(٣) مكارم الأخلاق: ٢١٦.
(٤) مكارم الأخلاق: ٢١٣.

وكانت سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام مثالاً لسيرة جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في كل مفردات العقيدة والسلوك، وهكذا كانت في مسألة الصبر على أذى الزوجة لأجل تقويم سلوكها وإصلاحها، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «كانت لأبي عليه السلام امرأة، وكانت تؤذيه، وكان يغفر لها»[١].

ومن مصاديق صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على زوجتيه عائشة وحفصة[٢]

«قال وذكر هشام بن محمد، أن ابن الغسيل، حدثه عن حمزة بن أبي أسيد الساعدي، عن أبيه، وكان بدرياً قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجئت بها، فقالت حفصة لعائشة: اخضبيها أنت وأنا أمشطها ففعلتا ثم قالت لها إحداهما: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك، فلما دخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مد يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكمه على وجهه فاستتر به وقال: عذت معاذاً ثلاث مرات. قال أبو أسيد: ثم خرج إلي فقال: يا أبا أسيد الحقها بأهلها ومتعها برازقيين يعني كرباسين فكانت تقول: ادعوني الشقية قال ابن عمر قال هشام بن محمد فحدثني زهير بن معاوية الجعفي أنها ماتت كمداً»[٣].

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٧٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم - (ج ٤/ ص ٥٨).

(٣) المطلقات بمؤامرة عائشة وحفصة ثمان من زيجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم - راجع السيرة النبوية ج٣/ ٣٣٨/ للمفكر نجاح الطائي أعزه الله - وقد قال المولى بحقهن: =

ووضع الإسلام حدوداً في العلاقات الزوجية، فلا يجوز للزوج أن يقذف زوجته، فلو قذفها جلد الحدّ(١). قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النور: ٤-١٠].

التفاهم والمحبة والتعاطف والتعقل: وإذا حدث أن تخاطب الزوجان بأنا وأنت، ولماذا وكيف؟ وسادت هذه اللغة حياتهما سيادة صارمة بحيث صار الذنب على طرف اللسان وأصبح العفو من الماضي نُكت في صميم الأسرة نكتة سوداء تزداد سواداً كلما ازداد سوء الحساب في تلك الأسرة لأن الذنب يسود القلب حتى يجعل رؤيته منكوسة بحيث يرى الجميل قبيحاً والقبيح جميلاً قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أذنب الرجل خرجت في قلبه نقطة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً»(٢). حتى ينطمس ضياء تلك الأسرة وتغرق في الظلام.

= ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

(١) المقنعة: ٥٤١.

(٢) أصول الكافي ج٣، ص٣٧٣.

إن عدم التفاهم والمحبة يؤدي إلى قسوة القلب وبالتالي إلى قساوة نظام الأسرة والذي بطبيعته تم بناؤه وفق النظرية القرآنية: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

ولذا نقرأ في روايات أهل البيت عليهم السلام أنه: إذا برزت الخلافات عليكم بإزالتها بدقة، ولا تصلوا صباحكم بمسائكم حتى تنتهوا من حل جميع ما ألم بكم من مشكلات. إن الاختلافات الجزئية تتعاظم شيئاً فشيئاً، حتى تجر إلى الطلاق فتحدث الكارثة، والطلاق من الأمور المبغوضة عند الله(١)، والحياة إذا كانت على هذه الهيئة من خصام وشجار، أعنف من أي سجن يعذب فيه الإنسان.

وفي كلتا الحالتين وأعني (الحياة المضطربة أو الطلاق) يُجر الأولاد إلى مخاطر حتمية، فهم حين ينشأون في محيط متخلخل ومضطرب، يكبرون معقدين نفسياً أينما يولوا وجوههم لا يأتوا على شيء. والفتيات غير المقتدرات على الانسجام مع الحياة الزوجية، غير قادرات على تربية النشء الصحيح. والسريعو الغضب والسيئو الأخلاق ذوو الحدة والخشونة من الناس هم ممن تربى في أحضان أُسرٍ مضطربة قلقة أو كانوا أولاد الطلاق.

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «... وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من بيت يعمر بالنكاح، وما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بيت يخرب في الإسلام بالفرقة يعني الطلاق». (وسائل الشيعة ج١٤ ص٢٦٦).

ومن الحقوق المهمة على عاتق الزوج حسن الأخلاق

- قال الإمام علي بن موسى الرّضا عليه السلام بإسناده، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «عليكم بحسن الخلق، فإن حَسَن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سَيىء الخلق في النار لا محالة»(١). إذا كان الرجل سيئ الخلق لأهله يحمّل أسرته ما لا طاقة لهم به، عاملاً طبق ما يمليه عليه هواه، فسوف يلقى حسابه في هذه الدنيا... علاوة على ما ينتظره من ضغطة القبر وخير شاهد على ذلك:

- عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آتٍ فقال له سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلما حنط وكفن وحمل على سريره، تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا حذاء ولا رداء، ثم كان يأخذ السرير مرة يمنة ومرة يسرة حتى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحده وسوى عليه اللبن وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً، فسدد ما بين اللبن، فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوّى قبره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني لأعلم أنه سيبلى ويصل البلى إليه، ولكن الله عز وجل يحب عبده إذا عمل عملاً أحكمه، فلما أن سوّى التربة عليه قالت أم سعد من جانب القبر: يا سعد، هنيئاً لك الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سعد مه لا تجزمي على ربك، فإن سعداً أصابته ضمة قال فرجع

(١) جامع الأخبار.

رسول الله ﷺ ورجع الناس، فقالوا: يا رسول الله، لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا حذاء ولا رداء فقال ﷺ: إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء، فتأسيت بها. قالوا: وكنت تأخذ يمنة ويسرة السرير قال ﷺ: كانت يدي في يد جبرئيل عليه السلام آخذ حيث يأخذ. قالوا: وأمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره، ثم قلت: إن سعداً أصابته ضمة قال فقال ﷺ: نعم، إنه كان في خلقه مع أهله سوء وإنكم تعلمون أن الحساب في عالم البرزخ وعالم القيامة يختلف عن الحسابات الدنيوية.

فهناك عذاب شديد وعظيم تعادل فيه الدقيقة من العذاب آلاف السنين من حسابنا في هذه الدنيا الفانية.

ولاية أهل البيت عليهم السلام
شرط لقبول الأعمال

ولاية أهل البيت عليهم السلام
شرط لقبول الأعمال

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

كلمة (غفّار)، صيغة مبالغة، وتوحي أنّ الله سبحانه لا يقبل هؤلاء التائبين ويشملهم برحمته مرّة واحدة فقط، بل سيعمّهم عفوه ومغفرته مرّات ومرّات.

وممّا يستحقّ الانتباه أنّ أوّل شرط للتوبة هو ترك المعصية، وبعد أن تتطهّر روح الإنسان من هذا التلوّث، فإنّ الشرط الثّاني هو أن يغمرها نور الإيمان بالله والتوحيد، وفي المرحلة الثّالثة يجب أن تظهر براعم الإيمان والتوحيد - والتي هي الأعمال الصالحة والمناسبة - على أغصان وجود الإنسان.

وبخلاف سائر آيات القرآن التي تتحدّث عن التوبة والإيمان والعمل الصالح فقط فقد أضافت هذه الآية شرطاً رابعاً، وهو قوله: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

وقد ذكر المفسّرون لهذه الجملة تفسيرات عديدة، يبدو أنّ اثنين منها هما الأوفق والأدقّ:

الأوّل: إنّها إشارة إلى أنّ الاستمرار في طريق الإيمان والتقوى والعمل الصالح، يعني أنّ التوبة تمحو ما مضى وتكون سبباً للنجاة، وهي مشروطة بأن لا يسقط التائب مرّة أُخرى في هاوية الشرك والمعصية، وأن يراقب نفسه دائماً كي لا تعيده الوساوس الشيطانيّة وأهواؤه إلى مسلكه السابق.

والثّاني: هذه الجملة إشارة إلى لزوم قبول الولاية، والالتزام بقيادة القادة الربّانيين، أي أنّ التوبة والإيمان والعمل الصالح كلّ ذلك سيكون سبباً للنجاة والفلاح إذا كان في ظلّ هداية القادة الربّانيين، ففي زمان تحت قيادة موسى عليه السلام، وفي زمن آخر تحت لواء نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، ومرّة تحت لواء أمير المؤمنين علي عليه السلام، أمّا اليوم فينبغي أن ننضوي تحت لواء الإمام المهدي عليه السلام لأنّ أحد أركان الدين قبول دعوة النّبي والانضواء تحت قيادته ثمّ قبول قيادة خليفته ونائبه.

ينقل العلّامة الطبرسي عليه الرحمة في ذيل هذه الآية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ثمّ اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت» ثمّ أضاف: «فوالله لو أنّ رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام، ثمّ مات ولم يجيء بولايتنا لأكبّه الله في النّار على وجهه».

وقد نقلها العلّامة الحاكم «أبو القاسم الحسكاني» من كبار محدّثي أهل السنّة وقد رويت روايات عديدة في هذا الباب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الإمام زين العابدين عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام [1].

(١) مجمع البيان ذيل الآية محلّ البحث نقلاً عن الأمثل.

ولكي نعلم أنّ ترك هذا الأصل - إلى أي حدّ هو - مهلك لتاركيه، يكفي أن نبحث الآيات التالية، وكيف أنّ بني إسرائيل قد ابتلوا بعبادة العجل والشرك والكفر نتيجة تركهم ولاية موسى عليه السلام وخروجهم عن نهجه ونهج خليفته هارون عليه السلام.

ومن هنا يتّضح أنّ ما قاله العلّامة الآلوسي في تفسير روح المعاني بعد ذكر جملة من هذه الرّوايات:

«لا شكّ عندنا في وجوب محبّة أهل البيت، ولكن هذا لا يرتبط ببني إسرائيل وعصر موسى»... لأنّ البحث أوّلاً ليس حول المحبّة، بل حول قبول الولاية والقيادة، وثانياً: ليس المراد من انحصار الولاية بأهل البيت عليهم السلام، بل في عصر موسى كان هو وأخوه قائدين، فكان يلزم قبول ولايتهما، أمّا في عصر النّبي فتلزم قبول ولايته، وفي عصر أئمّة أهل البيت يلزم قبول ولايتهم عليهم السلام.

ويتّضح أيضاً أنّ المخاطب في هذه الآية وإن كانوا بني إسرائيل[1]، إلّا أنّه لا ينحصر فيهم ولا يختّص بهم، فإنّ كلّ فرد أو جماعة تطوي هذه المراحل الأربع فستشملها مغفرة الله سبحانه وعفوه[2].

سؤال: ما هي ولاية أهل البيت عليهم السلام والتي هي شرط لقبول العمل؟

(١) قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٠-٨٢].

(٢) نقلاً عن تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي -.

الولاية هي الاعتقاد بأنّ الأئمة عليهم السلام منصوص عليهم من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم خلفاء من بعد الرسول وطاعتهم واجبة مطلقاً وهي التي يسمونها الولاية بالمعنى الأخص.

ويمكن تقسيم المسلمين إلى أقسام أربعة بالنسبة إلى الولاية:

الأول: مبغض لهم عليهم السلام قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النّمل: ١٤].

الثاني: محبّ ومخالف لهم عليهم السلام أي لا يقبل الولاية بالمعنى الأخص.

الثالث: محبّ ولا يأتم بهم لجهله أو لعدم معرفته بهم عليهم السلام.

وهؤلاء الأصناف الثلاثة لا يستحقون الثواب على الله سبحانه وتعالى وإن صلّوا وصاموا وحجّوا... الخ وسبب عدم الاستحقاق أنّ الله سبحانه وتعالى كل شيء يعطيه من خير هو تفضّل منه سبحانه، نعم الله في بعض الموارد قال: من عمل خيراً فله الأجر والثواب وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢]، ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] والله وعد المطيعين أن يثيبهم الجنة... ولكن لم يخلف وعده... إذن سبحانه كتب لنفسه بشرط... وهذا الشرط هو الإيمان بالمعنى الأخص بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام.

وعليه غير الموالي (بالمعنى الخاص) لا يستحق الوعد الإلهي على عمله لأن الله لم يكتب على نفسه ثواباً لهؤلاء.

يبقى القسم الثالث مع عدم استحقاقهم الثواب المرجون لرحمة الله سبحانه وتعالى كما يقول العلامة الطباطبائي صاحب الميزان قدس سره الشريف في رسالة الولاية في هذا الحديث الشريف وفي تفسير علي بن ابراهيم في الصحيح: عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال، قلت: جعلت فداك، ما حال الموحدين المقرين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال عليه السلام: أما هؤلاء فإنهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح لم تظهر منه عداوة فإنه يخدّ له خداً إلى الجنة التي خلقها الله تعالى بالمغرب فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته، فإما إلى الجنة وإما إلى النار، فهؤلاء من الموقوفين (أي المرجون) لأمر الله.

قال عليه السلام: وكذلك يفعل بالمستضعفين، والبله، والأطفال، وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم، وأما النصاب من أهل القبلة، فإنهم يخدّ لهم خداً إلى النار التي خلقها الله بالمشرق تدخل عليهم منها اللهب، والشرر، والدخان، وفورة الجحيم إلى يوم القيامة، ثم بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر: ٧٢-٧٤] أي أين إمامكم الذي اتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً؟[(١)].

(١) تفسير القمي ٢: ٢٦٠. نقلاً عن خاتمة المستدرك.

دلائل الروايات لهذه الأصناف الثلاثة:

الأولى: عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن صفوان بن يحيى، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير، والله شانئ لأعماله - إلى أن قال -: وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق، واعلم يا محمد، أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلوا، فأعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد(١).

الثانية: وعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن هشام ابن سالم، عن عبد الحميد بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - قال: والله لو أن إبليس سجد لله بعد المعصية والتكبّر عمر الدنيا ما نفعه ذلك، ولا قبله الله عز وجل، ما لم يسجد لآدم كما أمره الله عز وجل أن يسجد له، وكذلك هذه الأمة العاصية، المفتونة بعد نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم لهم، فلن يقبل الله لهم عملاً، ولن يرفع لهم حسنة، حتى يأتوا الله من حيث أمرهم، ويتولوا الإمام الذي أمروا بولايته، ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم.

---

(١) وسائل الشيعة باب بطلان العبادة من دون ولاية الأئمة عليهم السلام واعتقاد إمامتهم.

الثالثة: عن محمد بن علي بن الحسين، بإسناده، عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين عليه السلام: أي البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال لنا: أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلاً عمر ما عمر نوح في قومه، ألف سنة إلّا خمسين عاماً، يصوم النهار، ويقوم الليل في ذلك المكان، ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً.

الرابعة: . . . عن علي بن موسى، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن كرام الخثعمي، عن أبي الصامت، عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا معلى، لو أن عبداً عبد الله مئة عام ما بين الركن والمقام، يصوم النهار، ويقوم الليل، حتى يسقط حاجباه على عينيه، ويلتقي تراقيه هرماً، جاهلاً بحقنا لم يكن له ثواب.

الخامسة: عن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أبيه عقبة بن خالد، عن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث - قال: إن أفضل البقاع ما بين الركن الأسود، والمقام، وباب الكعبة وذاك حطيم إسماعيل، ووالله، لو أن عبداً صف قدميه في ذلك المكان، وقام الليل مصلياً حتى يجيئه النهار، وصام النهار حتى يجيئه الليل، ولم يعرف حقنا وحرمتنا أهل البيت، لم يقبل الله منه شيئاً أبداً.

السادسة: وعن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن حسان السلمي، عن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد، السلام يقرئك السلام، ويقول: خلقت السماوات السبع وما فيهن،

والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبداً دعاني مذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية علي لأكبته في سقر.

السابعة: وعن أبيه، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه، عن ميسر، عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - قال: أي البقاع أعظم حرمة؟ قال: قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، قال: يا ميسر، ما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة، وما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، ووالله، لو أن عبداً عمره الله ما بين الركن والمقام، وما بين القبر والمنبر، يعبده ألف عام، ثم ذبح على فراشه مظلوماً كما يذبح الكبش الأملح، ثم لقي الله عز وجل بغير ولايتنا، لكان حقيقاً على الله عز وجل أن يكبه على منخريه في نار جهنم.

الثامنة: وعن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن سنان، عن حماد بن أبي طلحة، عن معاذ بن كثير أنه قال لأبي عبد الله عليه السلام - في حديث -: إن أهل الموقف لكثير، فقال: غثاء يأتي به الموج من كل مكان، لا والله، ما الحج إلا لكم، لا والله، ما يتقبل الله إلّا منكم.

التاسعة: وعن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيسى، عن الفضل بن كثير المدائني، عن سعيد بن أبي سعيد البلخي قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إن لله في وقت كل صلاة يصليها هذا الخلق لعنة، قال: قلت: جعلت فداك، ولم؟ قال: بجحودهم حقنا، وتكذيبهم إيانا.

العاشرة: وعنه، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الحكم بن أيمن، عن القاسم الصيرفي شريك المفضل قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: الإسلام يحقن به الدم، وتؤدّي به الأمانة، وتستحل به الفروج، والثواب على الإيمان(١).

القسم الرابع بالنسبة للولاية: محب وتابع لهم ويعتقد بأنّهم منصوص عليهم من الله ورسوله ومطيع لهم مطلقاً وهي الولاية بالمعنى الأخص: وهم الذين يستحقون الثواب والجنة على أعمالهم لأنهم دخلوا من الباب الذي فرضه الله سبحانه وهم الرسول وأهل بيته عليه وعليهم السلام.

قصّة السيّد جواد الكربلائيّ والشيخ السنّيّ المستضعف(٢)

قصّة نقلها... العلّامة الطباطبائيّ تستحقّ التأمّل والملاحظة قال سماحته: كان هناك في كربلاء واعظ اسمه السيّد جواد، وكان يُلقّب بالكربلائيّ باعتباره من أهل تلك المدينة؛ وكان يقطن كربلاء، إلّا أنّه كان قد اعتاد الذهاب أيّام المحرّم إلى النواحي والقصبات والقرى النائية لتبليغ الأحكام، فيصلّي بأهلها صلاة الجماعة ويبيّن لهم المسائل ثمّ يقفل راجعاً إلى كربلاء.

وصادف مرّة أن عرّج على إحدى القصبات التي كان جميع سكّانها من العامّة، فالتقى هناك بشيخ عجوز ذي شيبة نورانيّة. ولأنّه رآه سنّيّاً

---

(١) وسائل الشيعة.

(٢) القصص العرفانية.

فقد فتح معه باب الحديث والمذاكرة، فشاهد أنّه لا يمكنه إفهامه أمر التشيّع فوراً، فقد كان قلب ذلك الرجل الساذج الطيّب قد طفح بحبّ غاصبي مقام الخلافة بحيث لم يكن لديه استعداد لذلك ، بل ربّما أدّى بيان الأمر له إلى عكس المتوخّى ؛ ثمّ حصل أنّه كان يتحدّث معه يوماً فسأله: مَن هو شيخكم؟ يسمّي العرب كبير العشيرة ورئيسها بالشيخ وكان السيّد جواد يرمي من سؤاله هذا إلى فتح باب المذاكرة مع ذلك الشيخ ليجد الإيمان سبيله إلى قلبه تدريجياً، فيجعله شيعيّاً.

أجاب الشيخ : شيخنا رجل مقتدر له عدّة مضائف ، وله من الإبل والضأن الشيء الوفير، وله أربعة آلاف نفر من الرماة، أمّا عشيرته وقبيلته فما أكثرهم!

فقال السيّد جواد: أنعِم بشيخكم ، ما أكثر قدرته وتمكّنه!

ثمّ التفت الشيخ العجوز بعد هذه المذاكرات إلى السيّد جواد فقال: ومن هو شيخكم؟ قال : شيخنا سيّدٌ يُغيث كلّ محتاجٍ وملهوف، فلو كنتَ في شرق العالَم وكانَ في غربه، أو كنتَ في غرب العالم وكانَ في شرقه، وانتابك غمّ أو محنة ، فما عليك إلّا أن تندبه وتهتف باسمه فإنّه يأتيك على الفور فيغيثك ويحلّ لك ما أشكل عليك.

فقال الشيخ العجوز: عجباً! ما أحسنه من شيخ! أَكْرِم بالشيخ أن يكون هكذا؛ فما اسمه؟

قال السيّد جواد: الشيخ علي! ثمّ انقطع الحديث إلى هذا الحدّ، وانفرط عقد المجلس وافترق الاثنان عن بعضهما فعاد السيّد جواد إلى كربلاء، لكنّ الإعجاب بالشيخ عليّ كان قد غمر ذلك الرجل العجوز فكان لا يبرح مخيّلته.

وبعد مدّة عاد السيّد جواد إلى تلك القرية بشوق ولهفة ليُنهي المذاكرة ويجعل الشيخ شيعيّاً، وكان يردّد في نفسه: لقد وضعنا الحجر الأساس ذلك اليوم، وعلينا اليوم أن نُكمل البناء. لقد تحدّثنا ذلك اليوم عن الشيخ عليّ، وسنعرّفه به اليوم فنهدي الرجل العجوز ذا القلب المشرق إلى المقام المقدّس لأمير المؤمنين عليه السلام.

ثمّ دخل القرية وسأل عن ذلك الرجل العجوز فقيل له: لقد رحل عن دار الدنيا! فتأثّر السيّد لذلك غاية التأثّر، وقال في نفسه: عجباً له من رجل عجوز! لقد كنّا وطّنّا النفس على تعريفه بالولاية، لكنّه - ويا للأسف - رحل عن الدنيا بدونها. لقد أردنا أن نعمل شيئاً فنعين الرجل العجوز، فقد استبان بجلاء أنّه لم يكن من أهل العناد والنصب، وأنّ الإعلام السيّئ والإلقاءات والتلقين قد حرم الرجل العجوز من النزوع إلى الولاية.

ولقد أثّر موت العجوز فيّ كثيراً (والكلام للسيّد جواد الكربلائيّ)، فحزنتُ له حزناً جمّاً، ثمّ ذهبت لرؤية أولاده وعزّيتهم وسألتهم أن يأخذوني إلى قبره، فقادني أولاده إليه، فقلتُ: يا إلهي! لقد كان لنا أملٌ في هذا الشيخ العجوز، فَلِمَ أخذتَه من عالم الدنيا؟ لقد كان على مشارف أعتاب الولاية، فواأسفاً على رحيله من الدنيا ناقصاً محروماً!! ثمّ عدتُ من قبر الشيخ العجوز ورافقتُ أبناءه إلى داره فبتُّ هناك ليلتي تلك، فرأيتُ في عالم النوم أنّي دخلت من باب فشاهدت ممرّاً طويلاً وضع على جانب منه مصطبة عالية جلس عليها شخصان، والرجل العجوز واقف أمامهما.

فدخلتُ وسلّمتُ وسألتُه عن حاله، ثمّ رأيت أنّ هناك في نهاية

الممرّ باباً زجاجيّة تُشاهد منها روضة كبيرة. فسألتُ الرجل العجوز: أين هذا المكان؟

قال: هذا عالم قبري وعالم برزخي، وهذه الروضة في نهاية الممرّ خاصّة بي وبقيامتي .

قلتُ: فلِمَ لَمْ تذهب إليها؟ ردّ قائلاً: لم يحن الوقتُ بعدُ. يجب عليَّ اجتياز هذا الممرّ أوّلاً، ثمّ الذهاب إلى تلك الروضة .

قلتُ: فلِمَ لا تجتاز وتذهب؟ قال: هذان الشخصان معلّماي، وهما ملكان سماويّان جاءا لتعليمي الولاية، وسأذهب حين تكمل ولايتي . أيّها السيّد جواد، لقد قلتَ ولم تقلْ (أي أنّك قلتَ: إنّ شيخنا الذي لو نودي من شرق العالم أو غربه لأجابَ وأغاثَ اسمه الشيخ عليّ، لكنّك لم تقل إنّ الشيخ عليّ هذا هو عليّ بن أبي طالب أُقسم بالله، ما إن هتفتُ: يا شيخ عليّ أغثني! إلّا وحضر على الفور؟قلتُ: ما القصّة؟

أجاب: حين رحلتُ عن الدنيا جيء بي إلى القبر فوضعوني فيه، ثمّ جاءني منكر ونكير وسألاني: مَن ربّك ومن نبيّك ومن إمامك؟ فاضطربتُ وغمرني الخوف الشديد، ومهما حاولتُ الإجابة تلجلج لساني، ومع أنّني كنت مع أهل الإسلام فإنّني مهما حاولت أن أقول من هو ربّي ومن هو نبيّي، تلجلج لساني فلم ينطق .

ثمّ إنّ منكراً ونكيراً تحرّكا ليمسكا بتلابيبي ويخضعاني لسيطرتهما وعذابهما، فصرتُ بائساً بكلّ ما للكلمة من معنى، ورأيتُ أن ليس لي من محيص . لقد صرتُ ممتحناً أسيراً مضطرباً! ثمّ خطر في ذهني فجأة أنّك قلتَ لي: إنّ لدينا شيخاً لو ناداه مضطرّ وندبه في شرق العالم أو

غربه لحضر لديه فوراً وأغاثه وكشف كُربته . فهتفتُ: يا عليّ أغثني! فحضر عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام على الفور إلى هذا المكان وقال لمنكر ونكير: اتركا الرجل فإنّه ليس معانداً ولا من أعدائنا فقد رُبِّي هكذا. إنّ عقائده غير كاملة لأنّه لم يمتلك سعةً لذلك .

هكذا ردّ الإمام ذينك الملكين، وأمر ملكين آخرين بالمجيء ليكملا عقائدي، فهذان الشخصان الجالسان على المصطبة هما الملكان اللذان جاءا بأمر الإمام ليعلّماني العقائد. وحين ستصبح عقائدي صحيحة فسأكون مجازاً بعبور هذا الممرّ والدخول إلى تلك الروضة .

إنّ هذه الرؤيا التي توضّح جهات من إعانة المستضعفين والعفو عنهم والتكامل البرزخيّ وجهات كثيرة أُخرى، لها دلالة أيضاً على السؤال عن العقائد في عالم القبر.

وهذه الرؤيا نظير أحلام أُخرى من الوقائع المسلّمة الوقوع في عصرنا هذا.

وعلى هذا الأساس في تكميل النفوس الناقصة التي رحلت عن الدنيا والتي لم تصل إلى مقام فعليتها، فقد وردت روايات في أنّ أولاد المؤمنين الذين رحلوا عن الدنيا في سنيّ طفولتهم يُربّون في عالم البرزخ على يد إبراهيم الخليل عليه السلام أو على يد الزهراء سلام الله عليها.

نعمة العلم والعلماء
«السياسة والتدبير»

نعمة العلم والعلماء «السياسة والتدبير»

حسن السياسة: هو حسن التدبير والقيادة والإصلاح.

حسن التدبير: هو حسن الإدارة والتصرف.

عنه عليه السلام: من حسنت سياسته دامت رياسته[١].

بالمال والسياسة أمن شرّه

روي أن بعض أولاد الصحابة على عهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان يعادي الإمام وكان يبغضه ويسبّه وإذا مرّ كان يلعنه وآباءه عليهم السلام، فقال له غلمانه ومواليه: دعنا نقتل هذا الملعون فقال: لا، فخرج ذات يوم وطلبه فقيل له: إنه في ضيعة له على سواد المدينة، فركب بغلته وتبعه (غلامه) إلى ضيعته ودخل الإمام أرضه ببغلته، وكان الرجل يقول: أفسدت أرضنا، فلما دنا منه سلّم عليه فرد السّلام ببغض وكراهة فجلس عنده وباسطه، وقال: كم ترجو في حرثك هذا؟ قال: ما رزقني الله تعالى، فأخذ موسى عليه السلام من غلامه صرّة فيها ثلاثمئة دينار أحمر فدفعها إليه وقال: خذ هذه وهب لي أبي وجدي مما أساؤوا إليك، فلما رأى ذلك وقع بين يديه في الأرض وجعل يقبّل يده ورجله

(١) موسوعة الإمام علي عليه السلام/ باب السياسة والتدبير/ رقم ١٨٥١.

ويعتذر مما كان فيه وانصرف موسى عليه السلام فلما رآه بعد ذلك في السّوق وثب عليه وقال: السلام عليك يابن رسول الله وأشهد أنك من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة لعن الله من أبغضكم ولم يعرف حقاً جعل الله لكم، فقال الناس له: ما رأيناك تقول هذا بالأمس؟ فقال: رأيت من حلمه وكرمه ما دلّني على أنه من شجرة النبوة ودوحة الرسالة.

حسن تدبير وسياسة السيد أبي الحسن الأصفهاني[١]

ذكر فضيلة السيد عبد الحميد الأصفهاني حفيد آية الله العظمى السيد أبي الحسن الأصفهاني المرجع المعروف الذي سادت رئاسته الدينية العالم الشيعي كله والمتوفى سنة ١٣٦٥هـ أنه قبل عشرين عاماً ذهب مع السيد محمد حسين مير سجادي للاعتكاف والصيام في مسجد الكوفة خلال الأيام البيض من شهر رجب وقال: كنا نبحث عن غرفة داخل المسجد ولكن لم نحصل عليها بسبب كثرة المعتكفين فأخذنا غرفة عند الباب حيث لم يرغب فيها المعتكفون لكثرة الحركة والضجيج قربها، وأذكر أن الطقس كان بارداً وفي الليلة الثانية من الاعتكاف دخل علينا اثنان من العرب وكان يبدو عليهما الوقار وعلمنا فيما بعد أنهما من وجهاء منطقة العباسيات وهي منطقة زراعية تقع بين الحلة والكوفة تتبع محافظة الحلة إدارياً، وقد كان خادم المسجد قد عرفنا عليهما وعرفني بأني حفيد المرجع الراحل السيد أبي الحسن الأصفهاني، وبعد شيء من

(١) «المصدر قصص وخواطر للمهتدي البحراني ص٩٩».

الأحاديث الودية قال أحدهما: إني أودّ إخبارك عن قصة وقعت لنا في العباسيات تعتبر كرامة لجدّكم المرجع السيد أبي الحسن الأصفهاني (قدس سره الشريف) والقضية كالآتي: كان رئيس شرطة العباسيات رجلاً يشرب الخمر ويظلم الناس ولا يعرف لسلطته حدوداً ولا يلتزم بالصلاة ولا بأي واجب من الواجبات الدينية، فهو رئيس شرطة ولكنه كان يتصرف وكأنه رئيس دولة، ولم نجد نحن الوجهاء أي وسيلة لإنقاذ المظلومين، وذات مرة كنت ذاهباً إلى النجف الأشرف لزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام فطرأت عليَّ فكرة اللقاء بالسيد المرجع لأشتكي عنده حالنا وبالفعل تم اللقاء وأبلغته بذلك وشرحت للسيد المرحوم حالنا مع ذلك الظالم فسألني: متى ترجعون إلى العباسيات؟ قلت: هذه الليلة فقال: اذهب إلى هذا الرجل وقل له: إن السيد يسلم عليك ويطلب حضورك عنده، وبالفعل ذهبت إليه وأبلغته بذلك فقال: لا علاقة لي به ولا أعرفه ولست أنا بهذا الوادي ما لي والدين والعلماء؟ ولكنه تأمل قليلاً ثم قال: طيب أنا اليوم حالق لحيتي أحبذ حتى تخرج ثانية فنذهب معاً، وبعد أيام دخلت معه النجف الأشرف وزرنا مرقد الإمام علي عليه السلام.

لأول مرة في حياته يرى ذلك المشهد العظيم، ثم خرجنا متجهين صوب منزل المرجع الكبير السيد أبي الحسن (قدس سره) وقلت له: إننا نحن المسلمين الشيعة من أدبنا أن نقبّل يد مرجعنا إجلالاً واحتراماً له ودخلنا على منزل المرجع الكبير السيد أبي الحسن فقبّلت يده الشريفة وكذلك فعل رئيس الشرطة، فرحب به السيد بحرارة وكأنه يعرفه منذ زمن، وكان رئيس الشرطة مرتبكاً في كلامه وتصرفه، وأما أنا فكنت شديد القلق لا أدري إلى أين سينتهي اللقاء وماذا يقدّر الله لي عندما

نرجع إلى العباسيات، كنت أخشى أن يكلمه السيد الأصفهاني بشيء فتأخذه العزة بالإثم ولكن العجب أن السيد لم يلمح له بأنه يعلم عن ظلمه وطغيانه فكان يقول: إن الناس في العباسيات مسلمون وأنا سمعت أنك رئيس الشرطة هناك. فقال الرجل: نعم أنا رئيس الشرطة في العباسيات. . . فقال له السيد: كم تعطيك الحكومة شهرياً؟ فأجاب: أربعة عشر ديناراً. قال السيد: عجيب أنت رئيس شرطة ولك مصاريف كثيرة بحكم مكانتك بين الناس، أظن أن هذا الراتب لا يفي بجميع حاجاتك، فقال الرجل: نعم إنه قليل، ولكن لا بدّ من القناعة، فقال له السيد الأصفهاني: أنا عندي في الحلة وكيل يجمع لي أموالاً من الحقوق الشرعية للمسلمين فيرسلها إليَّ سوف أكتب لك رسالة إليه ليعطيك من تلك الأموال أربعة عشر ديناراً كل شهر وهذا سرّ بيني وبينك ولا تطلع أحداً عليه. فرح رئيس الشرطة بشدة، إلا أن السيد أضاف قائلاً له: تعلم أن هناك فرقاً بين المال الذي تستلمه من الحكومة وبين الذي سوف تستلمه مني؟ فالمال الذي تأخذه مني مال حلال لا يعطى إلّا للمصلين فقال رئيس الشرطة مرتبكاً: نعم سيدي أنا أصلي وهكذا انقضت الجلسة وعند الوداع همس السيد في أذنه: لا تنس المواظبة على صلاتك في أوقاتها لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتسعدك في الدنيا والآخرة. وعندما خرجنا من عند السيد تغيّر هذا الرجل بشكل عجيب وطلب مني أن أزوره كل يوم في بيته كي أعلمه الصلاة وأعلّم عائلته أيضاً الأحكام الشرعية فصارت زوجته وبناته يلتزمن بالصلاة والحجاب وحسن سلوكه مع الناس ولم يعد إلى ظلمه وفساده قط والحمد لله رب العالمين.

هيأت لك جيشاً في الليل وآخر في النهار

ومما يذكر في التاريخ أن أحد العلماء كان وزيراً لأحد الملوك الكبار، وكان هذا العالم يصرف الأموال في سبيل الأمة الإسلامية التي تعيش في ظل ذلك الملك، فوشى به الوشاة: بأن هذا العالم يصرف الأموال بلا حساب، فأحضر الملك ذلك العالم وقال له: يا فلان ماذا تفعل بالأموال؟ فانتبه الوزير العالم إلى الوشاية وقال: أيها الملك أنت شاب جميل، إذا باعوك في سوق العبيد والنخاسة، تسوي قيمتك ستين درهماً، وأنا شيخ كبير ضعيف إذا باعوني في سوق النخاسة لا تصل قيمتي إلى أكثر من عشرين درهماً.. هذا بالنسبة إلى قيمتك وقيمتي.. وأما جنودك فرمحهم لا يعدو ذراعين، وسهمهم لا يتجاوز أكثر من مئة ذراع، فهل بالإمكان أن نقبض على أطراف هذا الحكم الواسع بقيمتك أو قيمتي أو برماحنا وسهامنا، مع كثرة الأعداء؟.. وإني هيأت لك جيشاً في الليل وآخر في النهار.. جيش الليل يرفعون إلى الله سبحانه وتعالى أيديهم بالدعاء والتوسل، وجيش النهار يدافعون عنك وعن سياستك وحكومتك ويدافعون عن الإسلام والمسلمين، وإني أصرف المال في هذين الجيشين: جيش الليل والنهار، وذلك هو سبب رسوخ الحكم وبقائه في تلك المدة الطويلة.

فاقتنع الملك بكلامه، وقربه أكثر مما كان سابقاً.

والحمد لله رب العالمين

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع: العلامة الدكتور الشيخ حسن موسى الصفار.

٣. الاختصاص: فخر الشيعة أبو عبدالله محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد رَحِمَهُ اللهُ المتوفى ٤١٣.

٤. أخلاق أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ للسيد مهدي الصدر أعلى الله مقامه.

٥. الأخلاق والآداب الإسلامية: تأليف عبد الله الهاشمي.

٦. آداب الأسرة في الإسلام: مركز الرسالة.

٧. الأربعون للسيد الخميني: ط٣: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني.

٨. أعلام الدين في صفات المؤمنين: الشيخ الجليل الحسن بن أبي الحسن الديلمي.

٩. الأمالي: للشيخ الصدوق: محمد بن علي ابن بابويه، ت: ٣٨١هـ.

١٠. الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ قدوة وأسوة لآية الله العظمى محمد تقي المدرسي دامت إفاضاته.

١١. أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري.

١٢. بحار الأنوار: الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: للعلامة المجلسي، المولى محمد باقر بن محمد تقي (١٠٣٧ - ١١١٠) هـ.

١٣. تحف العقول للحرّاني: مؤلفه أبو محمد، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من علماء الشيعة العظام وفقهائهم في القرن الرابع الهجري.

١٤. تعليقات على مسائل مهذب الأحكام لآية الله السيد محمد تقي المدرسي.

١٥. تفسير الأمثل: لآية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي.

١٦. تفسير البرهان السيّد هاشم البحراني (ت١١٠٧ أو ١١٠٩ هـ).

١٧. تفسير الصافي: المولى محسن الملقب، «الفيض الكاشاني» المتوفى سنة ١٠٩١ هـ.

١٨. تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي.

١٩. تفسير المنار: الشيخ محمّد عبده.

٢٠. تفسير الميزان، للعلامة محمد حسين الطباطبائي.

٢١. التقوى في القرآن لآية الله العظمى المحقق السيد كمال الحيدري.

٢٢. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان الله عليه.

٢٣. جامع الأخبار لأبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قدس سره.

٢٤. جهاد النفس - للعلامة محمد تقي المدرسي.

٢٥. جهاد النفس للعلامة حسين مظاهري.
٢٦. جواهر الكلام «في شرح شرائع الإسلام» تأليف شيخ الفقهاء وإمام المحققين الشيخ محمد حسن النجفي المتوفى س ١٢٦٦.
٢٧. الحقوق الاجتماعية في الإسلام: مركز الرسالة.
٢٨. الخصائص الحسينية للعلامة الشيخ جعفر التستري.
٢٩. خصائص المعلم الناجح للعلامة حسين مظاهري.
٣٠. الخصال: لمؤلفه الشيخ الصدوق، أبي جعفر، محمد بن علي بن حسين ابن بابويه القمي (٣٠٥ - ٣٨١).
٣١. دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري: هاشم معروف الحسني.
٣٢. دراسات في نهج البلاغة - محمد مهدي شمس الدين.
٣٣. دروس العلامة الحيدري لشرح الأربعين للإمام الخميني قدس سره الشريف.
٣٤. دروس في الأخلاق لآية الله المشكيني.
٣٥. دلائل النبوة: إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني.
٣٦. روضة الواعظين: الشيخ العلامة زين المحدثين محمد ابن الفتال النيسابوري الشهيد في سنة ٥٠٨ هـ.
٣٧. الزهراء عليها السلام لمكارم الشيرازي.
٣٨. سنن ابن ماجة، تصنيف: أبي عبدالله محمّد بن يزيد ابن ماجة القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣).
٣٩. سنن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: مجمع البحوث الإسلامية.

٤٠. السيرة النبوية: للمفكر نجاح الطائي أعزه الله.
٤١. صحيح الترغيب والترهيب: محمد ناصر الدين الألباني.
٤٢. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري.
٤٣. عدة الداعي - أحمد بن فهد الحلي.
٤٤. علم اليقين في أصول الدين: المحدث محمد بن المرتضى الملقب بالمولى محسن الكاشاني.
٤٥. العين: الخليل بن أحمد.
٤٦. غرر الحكم ودرر الكلم للعلامة عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي.
٤٧. الفضائل والرذائل للعلامة حسين مظاهري.
٤٨. فلسفة الدين، لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.
٤٩. قاموس الكتاب المقدس.
٥٠. قرب الإسناد: لأبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري.
٥١. القصص الأسرية والبيتية: محمد باقر الفياض.
٥٢. قصص الأنبياء: السيد نعمة الله الجزائري.
٥٣. قصص الأنبياء: قطب الدّين سعيد بن هبة الله الرّاونديّ.
٥٤. القصص العرفانية للسيد محمد رضا حدرج.
٥٥. قصص وخواطر للمهتدي البحراني.
٥٦. قيم التقدم في المجتمع الإسلامي لآية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.

٥٧. الكافي: لثقة الإسلام، أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي من أبرز علماء الشيعة في بداية القرن الرابع الهجري: المتوفى ٣٢٩ هـ.

٥٨. كتاب «الصوم طريقة حديثة لعلاج الأمراض».

٥٩. كلمات الإمام الحسين عليه السلام الشيخ الشريفي.

٦٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المؤلف: علي بن حسام الدين المتقي الهندي: الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩ م.

٦١. كنز الفوائد: أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي.

٦٢. كيمياء المحبة للعلامة محمد الريشهري.

٦٣. مجالس الشيخ الصدوق.

٦٤. مجموعة ورام ج٢: باب صفة المساءلة: ح٢٢٦٩: ط١: إصدارات العتبة الحسينية المقدسة: قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٤ هـ: ص: ٣٧٩.

٦٥. محاسبة النفس، علي بن موسى ابن طاوس (ت: ٦٦٤ هـ)، ط ٣، منشورات المكتبة المرتضوية، طهران.

٦٦. محاضرات العلامة حسين مظاهري أعلى الله مقامه.

٦٧. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي.

٦٨. مستدرك الوسائل: تأليف خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة ٢٣١.

٦٩. مستدرك سفينة البحار: المؤلف: العلامة آية الله الشيخ علي النمازي.

٧٠. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم النيسابوري، الشافعي.

٧١. مسند أحمد: للشيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. الفقيه والمحدث، صاحب المذهب..

٧٢. المسند الجامع: لأبي الفضل السيد أبي المعاطي النوري.

٧٣. مشكاة الأنوار: لأبي الفضل، علي بن الحسن بن الفضل الطبرسي حفيد أمين الإسلام الطبرسي، من علماء القرنين السادس والسابع للهجرة.

٧٤. المصباح (مصباح الكفعمي): الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسين بن محمد العاملي الكفعمي.

٧٥. مصباح المتهجد: للطوسي، محمد بن الحسن، ت: ٤٦٠ هـ.

٧٦. مفاتيح الجنان ط٣ دار التعارف للمطبوعات ١٤٢٤ هـ، ط٢: مطبعة سبحان: بني الزهراء عليها السلام.

٧٧. المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني: ٥٠٢ هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٧٨. المقنعة: للشيخ محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد قدس سره.

٧٩. مكارم الأخلاق: لمؤلفه رضي الدين حسن بن فضل الطبرسي من علماء القرن السادس الهجري: وهو ابن أمين الإسلام الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان.

٨٠. من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي ابن حسين ابن بابويه القمي، من كبار علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري.

٨١. مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٨٢. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،للعلامة الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، ج٣: بيروت - لبنان.

٨٣. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: المؤلف: محمد الريشهري: دار الحديث للطباعة والنشر: الطبعة الثانية، ١٤٢٥.

٨٤. موسوعة ميزان الحكمة: لمحمد الريشهري: دار الحديث للطباعة والنشر قم: ط١: ١٤٢٥ هـ.

٨٥. موقع العلامة حسين العايش دامت بركاته.

٨٦. نساء هن المثل الأعلى: مؤسسة البلاغ.

٨٧. نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلمات الإمام عليّ عليه السلام ، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة: الدكتور صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة، قم: الخطبة ١٣٣.

٨٨. وسائل الشيعة: «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»: للمحدث الكبير والعلامة المحقق الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي من علماء الشيعة الكبار ومن فقهائهم البارزين في القرن الحادي عشر(١٠٣٣ - ١١٠٤هـ): لمؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ١٤٠٨: ط١.

٨٩. الوسيلة إلى نيل الفضيلة. . . . ابن حمزة الطوسي.

٩٠. وصول الأخيار إلى أصول الأخبار: الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي (٩١٨ - ٩٨٤).

الفهرس

الموضوع	الصفحة